



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مختصر في تفسير القرآن
التفسير الميسر

مُرْتَبَعَاتُ الْقُرْآنِ

الجزء الثاني

سُورَةُ الْمُلْكَةِ - سُورَةُ الْجِنِّ - سُورَةُ الْغَاثِ

دار الفکر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٨	من هدى القرآن المجلد ٢
٢٨	اشاره
٢٩	سوره النساء
٢٩	اشاره
٣١	فضل السوره:
٣٢	الإطار العام
٣٢	(أ)-اسم السوره:
٣٢	(ب)-موضوعات السوره:
٣٧	[سوره النساء (٤): آيه ١]
٣٧	اشاره
٣٧	اللغه
٣٨	الخطوط العامه للمجتمع الاسلامى
٣٨	بينات من الآيات:
٣٨	اشاره
٣٨	الالتزام المبدئى
٤٠	التوحيد منطلق التشريع:
٤٠	النساء كالرجال:
٤١	الاسره تنظيم ايجابى:
٤٢	قيم المجتمع الاسلامى:
٤٣	[سوره النساء (٤): الآيات ٢ الى ١٠]
٤٣	اشاره
٤٣	اللغه
٤٤	التشريعات الماليه فى الإسلام

٤٦ هدى من الآيات:

٤٧ بينات من الآيات:

٤٧ اشاره

٤٨ علاج اليتيم:

٤٩ المهر حق المرأة:

٥٠ البعد الاجتماعي في الحق المالي:

٥٢ المراهقه الفكرية جذر السفه...

٥٣ الإرث لماذا؟ لمن؟ كيف؟

٥٥ كما تدين تدان:

٥٧ [سوره النساء (٤): الآيات ١١ الى ١٤]

٥٧ اشاره

٥٧ اللغه

٥٩ الإرث بين الاهداف والالتزام

٥٩ هدى من الآيات:

٦٠ بينات من الآيات:

٦٠ حكمه الإرث:

٦٢ موارد الإرث:

٦٥ [سوره النساء (٤): الآيات ١٥ الى ٢١]

٦٥ اشاره

٦٥ اللغه

٦٧ المرأة و المجتمع حقوق و علاقات

٦٧ هدى من الآيات:

٦٨ بينات من الآيات:

٦٨ التشريعات حصن المجتمع:

٧٠ حرمة القذف:

٧٠ لمن التوبه؟ و كيف؟

٧١	من حقوق المرأة الزوجيه:
٧٤	[سوره النساء (٤): الآيات ٢٢ الى ٢٨]
٧٤	اشاره
٧٤	اللغه
٧٧	المحرمات الزوجيه و مفهوم الزواج
٧٧	هدى من الآيات:
٧٨	بينات من الآيات:
٧٨	النساء المحرمات... ..
٧٩	فلسفه التحريم:
٨١	شرعيه الزواج المؤقت
٨٢	فلسفه الرق:
٨٥	كيف ننظر الى التاريخ؟
٨٦	مميزات التشريع الاسلامى:
٨٨	[سوره النساء (٤): الآيات ٢٩ الى ٣٣]
٨٨	اشاره
٨٨	اللغه
٩٠	الإنسان و منطلقات العمل
٩٠	هدى من الآيات:
٩١	بينات من الآيات:
٩١	حرمة المال و النفس:
٩٣	اجتناب الظلم غفران الذنب:
٩٤	لا تحسد الآخرين:
٩٥	الإرث عامل تفاضلى:
٩٧	[سوره النساء (٤): الآيات ٣٤ الى ٤٢]
٩٧	اشاره
٩٧	اللغه

- ١٠٠ الحقوق الاجتماعيه فى القرآن -
- ١٠٠ هدى من الآيات: -
- ١٠١ بينات من الآيات: -
- ١٠١ لماذا قيمومه الرجل -
- ١٠٣ متى تبدأ مسئوليه المجتمع -
- ١٠٤ كيف تكون علاقاتك الاجتماعيه -
- ١٠٧ البخل مرض الأغنياء -
- ١٠٩ المرائى شيطان ناطق -
- ١١٠ من هو القائد -
- ١١٢ [سوره النساء (٤): الآيات ٤٣ الى ٥٠] -
- ١١٢ اشاره -
- ١١٢ اللغه -
- ١١٤ مسئوليه العلم و خطر الانحراف -
- ١١٤ هدى من الآيات: -
- ١١٥ بينات من الآيات: -
- ١١٥ الاغتسال زكاه الجسد: -
- ١١٨ الضلاله نتيجته الخيانه: -
- ١١٨
الله نصير المؤمنين: -
- ١١٩ كيف تعرف العالم المزيف -
- ١٢١ ما هو مصير الخونه -
- ١٢١ الشرك نهايه المطاف: -
- ١٢٢
الله مقياس الحق: -
- ١٢٤ [سوره النساء (٤): الآيات ٥١ الى ٥٧] -
- ١٢٤ اشاره -
- ١٢٥ شروط قياده العلماء -
- ١٢٥ هدى من الآيات: -

- بينات من الآيات: ١٢٦
- ما هو معنى الجبت ١٢٦
- من هو الطاغوت ١٢٦
- صفات العالم المزيف: ١٢٧
- جزاء الايمان و الخيانه: ١٢٨
- [سوره النساء (٤): الآيات ٥٨ الى ٧٠] ١٣٠
- اشاره ١٣٠
- طاعه القيادة الرساليه ١٣٣
- اشاره ١٣٣
- هدى من الآيات: ١٣٣
- بينات من الآيات: ١٣٤
- بين الرقابه الذاتيه و الاجتماعيه ١٣٤
- السلطه و فصل القرار ١٣٥
- طاعه الطواغيت ضلال ١٣٦
- هدف بعث الأنبياء ١٣٨
- مفهوم الشفاعه فى القرآن: ١٣٩
- الطاعه دليل الايمان ١٤١
- الطاعه شامله ١٤٢
- الطاعه بين التأثير و الجزاء ١٤٢
- [سوره النساء (٤): الآيات ٧١ الى ٧٦] ١٤٤
- اشاره ١٤٤
- اللغه ١٤٤
- الجهاد مظهر الطاعه ١٤٦
- اشاره ١٤٦
- هدى من الآيات: ١٤٦
- بينات من الآيات: ١٤٧

- ١٤٧ واجب الاعداد
- ١٤٨ المصلحيه داء الجهاد..
- ١٤٩ كيف نصنع الاراده
- ١٤٩ أهداف الجهاد
- ١٥١ [سوره النساء (٤): الآيات ٧٧ الى ٧٩]
- ١٥١ اشاره
- ١٥٢ عوامل الانهزام و فوائد الالتزام
- ١٥٢ هدى من الآيات:
- ١٥٣ بينات من الآيات:
- ١٥٣ الانضباط صمام الامان:
- ١٥٤ كيف نتحرر من خوف الموت
- ١٥٥ بين الحسنات و السيئات:
- ١٥٧ [سوره النساء (٤): الآيات ٨٠ الى ٨٣]
- ١٥٧ اشاره
- ١٥٨ طاعه القياده امتداد لطاعه الله
- ١٥٨ هدى من الآيات:
- ١٥٩ بينات من الآيات:
- ١٥٩ امتداد الطاعه:
- ١٦٠ لا تنافق:
- ١٦٠ القياده رمز الامه:
- ١٦٢ القياده مرجع الامه:
- ١٦٤ [سوره النساء (٤): الآيات ٨٤ الى ٩١]
- ١٦٤ اشاره
- ١٦٤ اللغه
- ١٦٦ دور الرسول و موقف الأمة
- ١٦٦ هدى من الآيات:

- ١٦٧ بينات من الآيات:
- ١٦٧ الأدوار التنفيذية للرسول:
- ١٦٩ اعمل تشفع:
- ١٦٩ كن محسنا:
- ١٧٠ ضروره الالتزام:
- ١٧١ الهجره انفصال و التحاق:
- ١٧٢ من نسالم
- ١٧٢ جزاء المخادعين:
- ١٧٤ [سوره النساء (٤): الآيات ٩٢ الى ٩٤]
- ١٧٤ اشاره
- ١٧٤ اللغه
- ١٧٤ الأمن الشخصى
- ١٧٤ هدى من الآيات:
- ١٧٧ بينات من الآيات:
- ١٧٧ قتل الخطأ بين الجواز و الكفاره:
- ١٧٩ جزاء القتل العمد:
- ١٨٠ تشريعات واقية للدماء:
- ١٨٢ [سوره النساء (٤): الآيات ٩٥ الى ١٠٠]
- ١٨٢ اشاره
- ١٨٢ اللغه
- ١٨٤ أهداف الجهاد
- ١٨٤ هدى من الآيات:
- ١٨٥ بينات من الآيات:
- ١٨٥ مواقف المجتمع من الجهاد:
- ١٨٧ أجر المجاهدين:
- ١٨٨ واجب المستضعفين

- المستضعفون و واجب الهجره: ١٨٩
- ماذا تعنى الهجره ١٩١
- [سوره النساء (٤): الآيات ١٠١ الى ١٠٤] ١٩٣
- اشاره ١٩٣
- صلاه الخوف ١٩٥
- هدى من الآيات: ١٩٥
- بينات من الآيات: ١٩٦
- القصر و صلاه الخوف: ١٩٦
- الحرب و صلاه الجماعه: ١٩٧
- ذكر الله بصيره المؤمن: ١٩٩
- [سوره النساء (٤): الآيات ١٠٥ الى ١١٠] ٢٠١
- اشاره ٢٠١
- اللغه ٢٠١
- المذنبون بين التوبه و العصيان ٢٠٢
- هدى من الآيات: ٢٠٢
- بينات من الآيات: ٢٠٣
- المبدئيه فى القيادة الاسلاميه: ٢٠٣
- حفظ الاستقلال مهمه القيادة ٢٠٤
- ازدواجيه الشخصيه ٢٠٥
- [سوره النساء (٤): الآيات ١١١ الى ١١٥] ٢٠٧
- اشاره ٢٠٧
- اللغه ٢٠٧
- التبرير باب النفاق ٢٠٩
- اشاره ٢٠٩
- هدى من الآيات: ٢٠٩
- بينات من الآيات: ٢١٠

- ٢١٠ مسئولية الإنسان:
- ٢١١ الاجرام المضلل و القياده المبدئيه:
- ٢١٣ أهداف المنافقين:
- ٢١٤ معصيه الرسول كفر بالله:
- ٢١٦ [سوره النساء (٤): الآيات ١١٦ الى ١٢٢] -
- ٢١٦ اشاره -
- ٢١٦ اللغه -
- ٢١٨ الشرك بين الاراده،و الهوى
- ٢١٨ هدى من الآيات: -
- ٢١٩ بينات من الآيات: -
- ٢١٩ الشرك بالله و حدود المغفره -
- ٢٢٠ منشأ الشرك -
- ٢٢١ أهداف الشيطان -
- ٢٢٢ الشيطان و فساد الحياه -
- ٢٢٣ تسويق الشيطان -
- ٢٢٣ ما هي النتيجة -
- ٢٢٥ [سوره النساء (٤): الآيات ١٢٣ الى ١٢٦] -
- ٢٢٥ اشاره -
- ٢٢٥ اللغه -
- ٢٢٦ إبراهيم قدوتنا في الالتزام -
- ٢٢٦ هدى من الآيات: -
- ٢٢٧ بينات من الآيات: -
- ٢٢٧ الأمانى و واقع المسؤوليه: -
- ٢٢٨ تخزين الأعمال -
- ٢٢٩ خط إبراهيم: -
- ٢٣١ [سوره النساء (٤): الآيات ١٢٧ الى ١٣٠] -

- ٢٣١ اشارة
- ٢٣١ اللغه
- ٢٣٣ العدالة فى العلاقات الأسريه
- ٢٣٣ هدى من الآيات:
- ٢٣٤ بينات من الآيات:
- ٢٣٤ حقوق المرأه:
- ٢٣٥ الصلح فى العلاقات الأسريه:
- ٢٣٧ تعدد الزوجات:
- ٢٣٨ و ان يتفرقا:
- ٢٣٩ [سوره النساء (٤): الآيات ١٣١ الى ١٣٥]
- ٢٣٩ اشارة
- ٢٣٩ اللغه
- ٢٤١ المسئوليه الاجتماعيه
- ٢٤١ هدى من الآيات:
- ٢٤٢ بينات من الآيات:
- ٢٤٢ مشكله الخوف عند الإنسان:
- ٢٤٣ الاستعانه بالله من الخوف:
- ٢٤٤ المسئوليه الاجتماعيه:
- ٢٤٧ [سوره النساء (٤): الآيات ١٣٦ الى ١٤١]
- ٢٤٧ اشارة
- ٢٤٧ اللغه
- ٢٤٩ المنافقون و ازدواجيه الولاء
- ٢٤٩ هدى من الآيات:
- ٢٥٠ بينات من الآيات:
- ٢٥٠ الايمان الكامل:
- ٢٥١ المواقف المترزله تجاه القوه:

- ٢٥١ المنافقون و حقيقه الارتباط بالأجنبي
- ٢٥٣ لئلا نصير عملاء
- ٢٥٥ [سوره النساء (٤): الآيات ١٤٢ الى ١٤٦]
- ٢٥٥ اشاره
- ٢٥٥ اللغه
- ٢٥٦ المنافقون صفات و تقييم
- ٢٥٦ هدى من الآيات:
- ٢٥٧ بينات من الآيات:
- ٢٥٧ خداع الله
- ٢٥٨ فقدان المقاييس و الحكم بالشك:
- ٢٥٩ لمن الولاء
- ٢٦٠ سبيل العوده:
- ٢٦٢ [سوره النساء (٤): الآيات ١٤٧ الى ١٥٢]
- ٢٦٢ اشاره
- ٢٦٣ صفات الكافرين عرض و تقييم
- ٢٦٣ هدى من الآيات:
- ٢٦٤ بينات من الآيات:
- ٢٦٤ شكر الله و النظره الايجابيه
- ٢٦٥ علاج بعض الأمراض الاجتماعيه
- ٢٦٦ كيف تعبد الذات
- ٢٦٦ ما هو الايمان
- ٢٦٨ [سوره النساء (٤): الآيات ١٥٣ الى ١٦٢]
- ٢٦٨ اشاره
- ٢٦٨ اللغه
- ٢٧٠ دوافع الكفر
- ٢٧٠ هدى من الآيات:

- ٢٧١ بينات من الآيات:
- ٢٧١ حقيقه الكفر من واقع بنى إسرائيل:
- ٢٧٥ قصه المسيح و أمه:
- ٢٧٦ متى يؤمنون:
- ٢٧٧ علاقه الكفر بنقص النعم:
- ٢٧٩ علم راسخ، و فطره ايمانيه:
- ٢٨٠ [سوره النساء (٤): الآيات ١٦٣ الى ١٧٠]
- ٢٨٠ اشاره
- ٢٨٢ دلائل صدق الرساله
- ٢٨٢ هدى من الآيات:
- ٢٨٣ بينات من الآيات:
- ٢٨٣ خط الأنبياء:
- ٢٨٤ التبشير و التحذير وظيفتا الرسل:
- ٢٨٥ شهادة الله دليل صدق الرساله:
- ٢٨٦ شهادة الملائكه:
- ٢٨٦ شهادة الكفار دليل حى:
- ٢٨٧ الواقع دليل بارز:
- ٢٨٩ [سوره النساء (٤): الآيات ١٧١ الى ١٧٣]
- ٢٨٩ اشاره
- ٢٨٩ اللغه
- ٢٩١ لا تغلوا فى دينكم
- ٢٩١ هدى من الآيات:
- ٢٩٢ بينات من الآيات:
- ٢٩٢ الغلو:
- ٢٩٤ العباده لله هى الامتياز:
- ٢٩٦ [سوره النساء (٤): الآيات ١٧٤ الى ١٧٦]

- ٢٩٤ اشارة
- ٢٩٤ اللغه
- ٢٩٧ حكم الإرث
- ٢٩٧ هدى من الآيات:
- ٢٩٧ بينات من الآيات:
- ٢٩٧ القرآن نور و هدى:
- ٢٩٩ كيف ترث الطبقة الثانيه:
- ٣٠٣ سورة المائده
- ٣٠٣ اشارة
- ٣٠٥ فضل السوره
- ٣٠٧ الإطار العام
- ٣١٣ [سوره المائده (٥): الآيات ١ الى ٣]
- ٣١٣ اشارة
- ٣١٣ اللغه
- ٣١٥ ركائز المجتمع المؤمن
- ٣١٥ هدى من الآيات:
- ٣١٦ بينات من الآيات:
- ٣١٦ الوفاء بالعقود:
- ٣١٨ أنواع الأحكام:
- ٣٢٠ التكتل الايماني:
- ٣٢٦ [سوره المائده (٥): الآيات ٤ الى ٥]
- ٣٢٦ اشارة
- ٣٢٧ الضوابط القانونيه فى العقود
- ٣٢٧ هدى من الآيات:
- ٣٢٨ بينات من الآيات:
- ٣٢٨ كل شىء طيب الآ:

- ٣٢٨ وسائل الكسب:
- ٣٣٠ والمحصنات من أهل الكتاب:
- ٣٣٢ الإيمان قول و عمل:
- ٣٣٣ [سوره المائده (٥): آيه ٦]
- ٣٣٣ اشاره
- ٣٣٤ التطهر واجب اسلامى
- ٣٣٤ بينات من الآيات:
- ٣٣٤ اشاره
- ٣٣٥ الوضوء:
- ٣٣٥ الغسل:
- ٣٣٥ شرائط الغسل:
- ٣٣٦ كيفيه الغسل:
- ٣٣٦ كيفيه المسح:
- ٣٣٧ التيمم:
- ٣٣٨ الحرج:
- ٣٣٩ انهم أناس يتطهرون:
- ٣٤١ [سوره المائده (٥): الآيات ٧ الى ١١]
- ٣٤١ اشاره
- ٣٤١ اللغه
- ٣٤٢ الميثاق
- ٣٤٢ هدى من الآيات:
- ٣٤٢ بين الرب و العبد:
- ٣٤٤ تطبيق الميثاق:
- ٣٤٤ بينات من الآيات:
- ٣٤٤ الرساله:
- ٣٤٥ بنود الميثاق:

- ٣٤٧ مكتسبات تنفيذ الميثاق:
- ٣٤٨ سبيل الانتصار:
- ٣٤٩ [سوره المائده (٥): الآيات ١٢ الى ١٤]
- ٣٤٩ اشاره
- ٣٤٩ اللغه
- ٣٥١ الامه التي نقضت ميثاق ربها
- ٣٥١ هدى من الآيات:
- ٣٥٢ بينات من الآيات:
- ٣٥٢ ميثاق بنى إسرائيل:
- ٣٥٣ □
لنستوجب رحمه الله:
- ٣٥٤ القلب و التحريف:
- ٣٥٧ النصرى النموذج الآخر:
- ٣٥٩ [سوره المائده (٥): الآيات ١٥ الى ١٨]
- ٣٥٩ اشاره
- ٣٦١ الإسلام بصيره هدى و منهاج صلاح
- ٣٦١ هدى من الآيات:
- ٣٦٢ بينات من الآيات:
- ٣٦٢ □
رساله الله بين التجديد و التكامل:
- ٣٦٣ □
رساله الله الكنز الأعظم:
- ٣٦٣ □
كيف تستحق هدى الله
- ٣٦٥ لقد كفر الذين قالوا:
- ٣٦٩ [سوره المائده (٥): الآيات ١٩ الى ٢٦]
- ٣٦٩ اشاره
- ٣٧٠ اللغه
- ٣٧١ بنو إسرائيل في التيه
- ٣٧١ هدى من الآيات:

٣٧٢ بينات من الآيات:

٣٧٢ استمراريه الرسالات:

٣٧٣ دور الأنبياء و مسئوليتهم:

٣٧٤ التبرير افيون الحضاره:

٣٧٥ القيادة مشعل هدايه لا واقع تبرير:

٣٧٨ [سوره المائده (٥): الآيات ٢٧ الى ٣٢]

٣٧٨ اشاره

٣٧٨ اللغه

٣٨٠ دوافع الصراع و آثاره النفسيه

٣٨٠ بينات من الآيات:

٣٨٠ الاستعلاء في قصه الاعتداء الاول:

٣٨١ عبرتان:

٣٨٦ [سوره المائده (٥): الآيات ٣٣ الى ٣٤]

٣٨٦ اشاره

٣٨٦ اللغه

٣٨٧ جزاء المحارب

٣٨٧ هدى من الآيات:

٣٨٧ بينات من الآيات:

٣٨٧ الجريمه و العقاب:

٣٨٩ الهروب الى التوبه أسلم:

٣٩٠ [سوره المائده (٥): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

٣٩٠ اشاره

٣٩٠ اللغه

٣٩١ الحسره الكبرى

٣٩١ هدى من الآيات:

٣٩١ بينات من الآيات:

٣٩١ حقيقه النظام الاسلامى: حقيقه النظام الاسلامى:

٣٩٢ الكمال المنشود: الكمال المنشود:

٣٩٢ الوسيله الى الله: الوسيله الى الله:

٣٩٣ لا للفداء: لا للفداء:

٣٩٥ [سوره المائده (٥): الآيات ٣٨ الى ٤٠] [سوره المائده (٥): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

٣٩٥ اشاره اشاره

٣٩٦ كيف نحقق الأمن الاجتماعى كيف نحقق الأمن الاجتماعى

٣٩٦ هدى من الآيات: هدى من الآيات:

٣٩٦ بينات من الآيات: بينات من الآيات:

٣٩٦ اشاره اشاره

٣٩٧ حد القطع: حد القطع:

٣٩٧ الهروب إلى التوبه أسلم: الهروب إلى التوبه أسلم:

٣٩٨ حقيقه التوبه: حقيقه التوبه:

٤٠٠ [سوره المائده (٥): الآيات ٤١ الى ٤٣] [سوره المائده (٥): الآيات ٤١ الى ٤٣]

٤٠٠ اشاره اشاره

٤٠٠ اللغه اللغه

٤٠٢ حواجز تطبيق الشريعة حواجز تطبيق الشريعة

٤٠٢ هدى من الآيات: هدى من الآيات:

٤٠٣ بينات من الآيات: بينات من الآيات:

٤٠٣ لا يَخْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ : لا يَخْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ :

٤٠٤ اليهود و صناعه الأفكار: اليهود و صناعه الأفكار:

٤٠٦ واجب الرسول: واجب الرسول:

٤٠٧ [سوره المائده (٥): الآيات ٤٤ الى ٤٧] [سوره المائده (٥): الآيات ٤٤ الى ٤٧]

٤٠٧ اشاره اشاره

٤٠٧ اللغه اللغه

٤٠٩ وحده الرسالات الالهيه وحده الرسالات الالهيه

- ٤٠٩ هدى من الآيات:
- ٤١٠ بينات من الآيات:
- ٤١٠ التوراه نور و هدى:
- ٤١١ الائمة و العلماء:
- ٤١٢ صفات العلماء:
- ٤١٣ التشريعات التوراتيه:
- ٤١٤ حقيقه التبديل:
- ٤١٤ الإنجيل صنو التوراه
- ٤١٧ [سوره المائده (٥): الآيات ٤٨ الى ٥٠]
- ٤١٧ اشاره
- ٤١٧ اللغه
- ٤١٩ فاستبقوا الخيرات
- ٤١٩ هدى من الآيات:
- ٤٢٠ بينات من الآيات:
- ٤٢٠ الكتاب الحق:
- ٤٢١ لما ذا الاختلاف!؟
- ٤٢٢ الأهداف البعيده للاختلاف:
- ٤٢٣ تسريب الثقافه الباطله:
- ٤٢٤ تصدير الإسلام:
- ٤٢٤ [سوره المائده (٥): الآيات ٥١ الى ٥٣]
- ٤٢٤ اشاره
- ٤٢٤ اللغه
- ٤٢٧ الكفار بعضهم أولياء بعض
- ٤٢٧ هدى من الآيات:
- ٤٢٨ بينات من الآيات:
- ٤٢٨ الولاء المنحرف:

- ٤٢٩ انتظار الفرج:
- ٤٣١ [سوره المائده (٥): الآيات ٥٤ الى ٥٦]
- ٤٣١ اشاره
- ٤٣٢ حزب الله
- ٤٣٢ هدى من الآيات:
- ٤٣٣ بينات من الآيات:
- ٤٣٣ صفات المجتمع الفاضل:
- ٤٣٥ ولاية الله أهم مظاهر حزب الله:
- ٤٣٦ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ :
- ٤٣٨ [سوره المائده (٥): الآيات ٥٧ الى ٦٠]
- ٤٣٨ اشاره
- ٤٣٩ عبد الطاغوت
- ٤٣٩ هدى من الآيات:
- ٤٤٠ بينات من الآيات:
- ٤٤٠ لا توال هؤلاء
- ٤٤٢ سوء العاقبه:
- ٤٤٤ [سوره المائده (٥): الآيات ٦١ الى ٦٦]
- ٤٤٤ اشاره
- ٤٤٤ اللغه
- ٤٤٦ اليهود: غلت أيديهم
- ٤٤٦ هدى من الآيات:
- ٤٤٧ بينات من الآيات:
- ٤٤٧ تارك الرسالة..صفات و تقييم:
- ٤٤٩ بل يده مبسوطتان:
- ٤٥٢ [سوره المائده (٥): الآيات ٦٧ الى ٧١]
- ٤٥٢ اشاره

- ٤٥٣ اللغة
- ٤٥٥ الولايه ذروه الأيمان
- ٤٥٥ هدى من الآيات:
- ٤٥٦ بينات من الآيات:
- ٤٥٦ و هل الدين الا الولايه
- ٤٥٧ موقف أهل الكتاب من الولايه:
- ٤٦٠ [سوره المائده (٥): الآيات ٧٢ الى ٧٧]
- ٤٦٠ اشاره
- ٤٦٠ اللغة
- ٤٦٢ انحرافات النصرى شرك و غلو
- ٤٦٢ هدى من الآيات:
- ٤٦٣ بينات من الآيات:
- ٤٦٣ دوافع الشرك بالله لدى النصرى:
- ٤٦٥ عيسى ليس باله:
- ٤٦٧ الغلو محراب الشرك:
- ٤٦٨ [سوره المائده (٥): الآيات ٧٨ الى ٨١]
- ٤٦٨ اشاره
- ٤٦٩ تأثير الولاء على قيم الرسالات
- ٤٦٩ هدى من الآيات:
- ٤٦٩ اشاره
- ٤٧٠ بينات من الآيات:
- ٤٧٠ لعنه بنى إسرائيل:
- ٤٧٠ عوامل انهيار المجتمع:
- ٤٧٢ [سوره المائده (٥): الآيات ٨٢ الى ٨٦]
- ٤٧٢ اشاره
- ٤٧٣ المسلمون بين

٤٧٣ اشاره

٤٧٣ هدى من الآيات:

٤٧٤ بينات من الآيات:

٤٧٤ أشد الناس عداوه و أقربهم موده:

٤٧٧ [سوره المائده (٥): الآيات ٨٧ الى ٨٩]

٤٧٧ اشاره

٤٧٧ اللغه

٤٧٨ ابدأ بنفسك يصلح مجتمعك

٤٧٨ هدى من الآيات:

٤٧٩ بينات من الآيات:

٤٧٩ تحريم الطبيات

٤٨٠ كفاره العهد و اليمين:

٤٨٢ [سوره المائده (٥): الآيات ٩٠ الى ٩٣]

٤٨٢ اشاره

٤٨٢ اللغه

٤٨٣ كيف نبلي الفلاح

٤٨٣ بينات من الآيات:

٤٨٣ البشر عقل و اراده:

٤٨٤ الخمر و الميسر من جنود إبليس:

٤٨٤ طريق العوده:

٤٨٤ كل شيء حلال:

٤٨٩ [سوره المائده (٥): الآيات ٩٤ الى ٩٦]

٤٨٩ اشاره

٤٨٩ اللغه

٤٩٠ الصيد في الحج

٤٩٠ هدى من الآيات:

- ٤٩١ بينات من الآيات:
- ٤٩١ الصيد و امتحان الإردادات:
- ٤٩٢ اهداف الحرمة:
- ٤٩٢ كفاره الصيد:
- ٤٩٤ أحل لكم صيد البحر:
- ٤٩٥ [سوره المائده (٥): الآيات ٩٧ الى ١٠٠]
- ٤٩٥ اشاره
- ٤٩٥ اللغه
- ٤٩٦ الحج أيام الحرية
- ٤٩٦ هدى من الآيات
- ٤٩٧ بينات من الآيات:
- ٤٩٧ رموز الحرية:
- ٤٩٨ الحرية بين الفوضى و التحرك:
- ٤٩٩ معنى الحرية:
- ٥٠٠ من المسؤول:
- ٥٠٢ [سوره المائده (٥): الآيات ١٠١ الى ١٠٥]
- ٥٠٢ اشاره
- ٥٠٢ اللغه
- ٥٠٤ الجهل و التقليد آفه الصلاح
- ٥٠٤ هدى من الآيات:
- ٥٠٥ بينات من الآيات:
- ٥٠٥ المرحليه فى التشريع القرآنى:
- ٥٠٦ الاستعجال طريق الكفر:
- ٥٠٦ تحريم الطبيبات:
- ٥٠٨ رساله السماء لا تقليد الآباء:
- ٥٠٩ الإنسان بين الهدايه و تحدى المجتمع:

٥١١ [سوره المائده (٥): الآيات ١٠٦ الى ١٠٨]

٥١١ اشاره

٥١٢ الاشهاد و التوثيق

٥١٢ هدى من الآيات:

٥١٣ بينات من الآيات:

٥١٣ الشهاده و الشهود:

٥١٤ إثبات الشهاده:

٥١٨ [سوره المائده (٥): الآيات ١٠٩ الى ١١٥]

٥١٨ اشاره

٥١٨ اللغه

٥٢٠ الأنبياء في حضرة الله ﷻ

٥٢٠ هدى من الآيات:

٥٢١ بينات من الآيات:

٥٢١ الرسل بين يدي الرحمن:

٥٢٣ معجزه المائده بين الايمان بالغيب و الشهود:

٥٢٧ [سوره المائده (٥): الآيات ١١٦ الى ١٢٠]

٥٢٧ اشاره

٥٢٨ عيسى: اعبدوا الله ربي ﷻ

٥٢٨ بينات من الآيات:

٥٢٩ دور الرسول:

٥٣٠ سلطان الله: ﷻ

٥٣٣ تعريف مركز

سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-۱۸؛ ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ١

سوره النساء

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الهداه الميامين.

فضل السوره:

فى مصباح الكفعمى عنه عليه السلام :

(من قرأها فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثا، و أعطى من الأجر كمن اشترى محررا و برىء من الشرك، و كان فى مشيئه الله من الذين يتجاوز عنهم) (تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٢٩)

عن زر بن جيش عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قال :

(من قرأ سوره النساء كل جمعه أو من ضغطه القبر) (-تفسير العياشى ج ١ ص ٢١٥-)

ص:٣

(أ) – اسم السوره:

اختار القرآن اسم «النساء» ليضعه على هذه السوره لأنها تتحدث عن حقوق المرأه فى بدايتها، ثم عن علاقه المرأه بالرجل، و عن جوانب من حياه المرأه.

و المرأه هى: وجه حضاره البشر، و التى تعكس مدى التزام الحضاره بالقيم الساميه التى تأمر بالمحافظه على حقوق الضعفاء، و لأن الإسلام يوليها اهتماما كبيرا كان من المفروض أن يعالج موضوعها فى سوره من القرآن، و كانت سوره النساء بحكم موضوعها الاجتماعى أفضل موقع للحديث عنها.

(ب) – موضوعات السوره:

من الآيه الأولى و حتى الآيه (٢٥)، ثم من آيه (٣٣) الى (٣٥)، ثم من (١٢٧) الى (١٣٠) ثم فى الآيه الأخيره تتحدث السوره عن حقوق المرأه (و بالمناسبه حقوق الأيتام و السفهاء)، و طريقه تقسيم الإرث بين الرجل و المرأه، و المعادله السيئه، و الشهاده الباطله عند وارث المرأه كرها، و استلاب حقوقها

فى المهر، و حرمة الزواج من نساء معينه بينهن زوجه الأب السابقه.

ثم عن سيطره الرجل على المرأه فى حدود الشريعة، و عن النساء الفضلات، و الصلح بين الزوجين، ثم عن التزام العدالة و الواقعيه فى بناء الأسره، و أخيرا عن بعض موارد الإرث.

أما الموضوع الآخر الذى تتحدث عنه السوره فى الآيات (٢٦-٣٢) يرتبط بحرمة المال، و النفس، و ضروره المحافظه عليهما، و الأسباب التى قد تدعو البشر الى الاعتداء عليهما كالجهل و الحسد.

أما الموضوع الثالث، فتتحدث السوره فى الآيات (٣٦-٤٠) عن ضروره الإحسان الى الضعفاء، و حرمة البخل، أو إنفاق المال رياء.

بيد ان الموضوع الرئيسى الذى تتحدث عنه معظم آيات سوره النساء يكاد يكون موضوع الحكم الاسلامى بوجهه المختلفه، ففى الآيات (٤١-٤٢) نجد الحديث عن أن الرسول شاهد على أمته، بمعنى أنه حاكم عليها، و حرمة عصيان الرسول، و حرمة كتمان الشهاده.

و فى الآيات (٤٤-٥٧) نجد حديثا مفصلا عن دور العلم فى اقامه الحق، و مسئوليته رجال العلم فى أداء أمانه العلم، ببيان الحقائق من دون تزيف أو تحريف، و مدى جريمه الذين يفترون على الله الكذب، و صفاتهم السيئه التى تكشف زيفهم، و تفضح نياتهم الفاسده.

و فى الآيات (٥٨-٧٠) يتحدث القرآن عن القيم التى تعتمد عليها السياسه الاسلاميه، و أبرزها أداء الأمانه (أداء حقوق الناس)، و الحكم بالعدل.

ثم تتحدث الآيات ذاتها عن طاعه الرسول و أولى الأمر، و حرمة الاحتكام الى

الطاغوت، و نعت الذين يتبعون الطاغوت بأنهم منافقون و مثل عن الطاعة الصعبة التي يتهرب منها المنافقون، و هي طاعة الرسول في الحرب.

ثم حديث عن قيمة الدفاع عن المستضعفين في السياسة الاسلاميه.

أما الآيات: (٧٧-٧٩) ثم (٨٠-٨٧) فهي تتحدث:

أولاً: عن ضروره الانضباط في القتال، و الترام الطاعة التامه في كل الأوامر.

ثانياً: عن دور القائد في التحريض على القتال، و حمل الناس على طاعة الأوامر.

و في الآيات (٨٨-٩١) نجد الحديث يتركز حول اتخاذ موقف موحد و حازم من المنافقين، فيحدد القرآن طبيعه المنافقين و أنواعهم، ثم يحدد الموقف منهم.

ثم يتحدث خلال الآيات (٩٥-١٠٠) عن المجاهدين و القاعدين و المهاجرين كطبقات متميزه في المجتمع الاسلامي، و متقابله مع طبقات المنافقين السالفه الذكر.

و يعود القرآن في الآيات (١٠٥-١١١) الى الحديث عن قيم السياسة الاسلاميه و كيف انها دوله القانون البعيده عن الفساد الاداري، فينهى الرسول عن الجدل مع الخائنين و المختائين الذين يحاولون تضليل الرسول.

و في الآيات التاليه (١١٧-١٢٦) يتناول القرآن جوانب شتى عن النفاق منها أصل النفاق، و دور الشيطان فيه بأمانيه الخلايه الكاذبه، و اساطيره الساذجه.

و بعد أن يبين القرآن في الآيات (١٣١-١٣٤) ضرورة التقوى و الالتزام، و اقامه القسط و الشهاده لله لكى يزكى النفوس عن عوامل النفاق، بعدئذ يعود مره اخرى فى الآيات (١٣٦-١٤٦) ليبين أن الايمان حقيقه بسيطه لا تتجزأ، و ان الذين يفرقون بين فكره و اخرى فى الايمان فهم كفار و منافقون يخادعون أنفسهم، لأنهم يتخذون الكافرين أولياء، و هم فى الدرك الأسفل من النار.

ثم يبين السبيل الوحيد لإخراج هؤلاء من حالتهم و هو التوبه و الإصلاح، ثم الشكر و الايمان، و عدم الجهر بالسوء من القول، و ابتغاء مرضاه الله بالأعمال الصالحه.

و يكرر القرآن و بتفصيل أكثر هذه المره بيان بساطه الايمان، و انه حقيقه لا- تتجزأ، و يبين فى الآيات (١٥٠-١٦٠) ان الذين لا يؤمنون، بحجه عدم الاقتناع هم أناس كاذبون و مثلهم بنو إسرائيل حين سألوا موسى أن يريهم الله جهره، ثم اتخذوا العجل بعد أن توضحت لهم الآيات، و انهم نقضوا الميثاق، و اختاروا الكفر بآيات الله، و اتهموا مريم بالفحشاء، و ادعوا أنهم قتلوا عيسى، و ظلموا أنفسهم و أخذوا الربا.

□
و فى الآيات الاخيره من السوره يتحدث القرآن عن ضروره الايمان بالله و بالرسول بشكل كامل، و الاعتصام بالنور الذى أنزله، و كمثل لهذا الايمان يذكر القرآن حكما فى الإرث و ينهى به سوره النساء.

هذا الاستعراض الموجز لتفصيل سوره النساء، يكشف لنا الخيط الذى يربط بين موضوعاته الرئيسيه، و هو المجتمع الاسلامى بما فيه من قيم الحق، و العداله و التقوى، و بما فيه من حقوق المرأه، و اليتيم، و السفيه و الفقير، و الدفاع عن المستضعفين و المحرومين و ما له من قياده حكيمه، و سياسيه واضحه، و إرادته

حازمه، معتمده على قواعد راسخه من ايمان الامه بالرسول و بأولى الأمر من بعده.

و بالطبع لا- يتحدث القرآن عن المجتمع المسلم بطريقه علميه فحسب، بل و تربويه أيضا، فنكشف من خلال حديثه المبارك كيف نبني هذا المجتمع و ما هي الدواعى التى تدفعنا الى اختياره؟

ص: ٨

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)

اللغه

١[بث]:نشر.

[رقيبا]:من الترقب و هو الانتظار و يكون بمعنى الحفيظ الذى لا يغيب عنه شىء.

ص:٩

بينات من الآيات:

اشاره

المجتمع الاسلامى مبنى على قاعده التوحيد، و شعار التوحيد اسم الله، و المجتمع الجاهلى طافح على غرور الطاغوت، و شعارهم اسم الطاغوت.

و توحيد الله يعطى المجتمع الاسلامى فضلا من الله، و رحمه شامله و دائمه، و شعار الرحمه الشامله (الرحمن) و شعار الرحمه الدائمه (الرحيم).

و هذا يعنى ان المجتمع الاسلامى: مستقر و مستمر، متكامل و دائم، فهو خير و رفاه، و تقدم لجميع الناس فى جميع العصور.

الالتزام المبدئى

[١] الخط العام الذى تتفرع عنه سائر الخطوط المميزه للمجتمع الاسلامى انه مجتمع ملتزم بمنهج الله، و قد عبر القرآن عن هذه الفكره فى آيه: (وَ أَلْزَمَهُم كَلِمَةَ التَّقْوَى) فهو مجتمع مبدئى، و حين نقول مجتمع مبدئى فاننا نتصور شرطين أساسيين

هما:

أ) انه لا يؤمن بالفوضى فى أى حقل من حقول المجتمع، بل يؤمن بالتنظيم فى كافة الأبعاد الخاصه و العامه.

ب) انه ينطلق فى تنظيمه من بصائر سماويه ليست فيها تحديدات قوميه أو اقليميه أو عنصريه أو غيرها..لان السماء هى التى اوحت بهذه البصائر.

من هنا جاءت الكلمه الاولى فى هذه السوره نداء الى الناس: ان يتقوا الله لينوا على أساسه مجتمعهم الفاضل..

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ .

و معروف ان الخطاب للناس الواقعيين الذين يتحركون فى أرض الواقع، و ليس الخطاب الى الإنسان أو البشر كصفات تجريديه، ان هذا الخطاب تعبير عن روح الواقعيه فى الرؤيه الاسلاميه، و بالتالى روح توجيه الحياه مباشره، و من دون الالتفات حولها بمسائل نظريه.

و السؤال هو: لماذا قال الله «ربكم»؟ الجواب: ان كلمه الرب تدل على معنى التربيه فهى أقرب الى التشريع الذى يأمر الله عباده باتباعه، و لذلك ترى ان القرآن، لا يكتفى بكلمه رب، بل يضيف قائلاً:

الَّذِي خَلَقَكُمْ لِيَذْكُرُوا أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي رَبَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ خَلَقَكُمْ، أَجْدَرُ أَنْ يَتَّبِعَ النَّاسُ تَشْرِيْعَهُ وَ يَتَّقُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ.

ص: ١١

التوحيد منطلق التشريع:

و الميزه الاساسيه فى تشريع السماء، انطلاقه من مبدأ التوحيد، و الذى يعنى فيما يعنى الارتفاع فوق كل الحواجز المصطنعه بين الناس، اننا نفهم اليوم و بعد ان اكتشفنا ان أكثر الولايات التى أصابت البشرىه و لا تزال تصيبها حتى اليوم آتیه من هذه الحواجز. (العنصريات، القوميات، الاقليميات، الطبقيات و... و... و هكذا...) نحن نعرف انها هى العقبات الحقيقيه فى طريق الإنسان الى السعاده و التقدم.

□
و لذلك يركز القرآن على ان الله خلق الناس جميعا من نفس واحده و يقول:

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً

النساء كالرجال:

□
و السؤال: كيف خلق الله زوج الإنسان من نفسه؟ و هل يعنى هذا ان الإنسان الاول كان ذا طبيعه مزدوجه، ثم انفصلت طبيعه الذكر عن طبيعه الأنثى فى سائر الأجيال؟ أم هل يعنى هذا ان الله خلق آدم عليه السلام ثم انتزع من اضلعه صلصالا و خلق منه حواء؟ لا اعلم ذلك بالضبط، و لكن هذا التعبير يوحى بفكره علميه تهمنىما فى تلاوه آيات القرآن و هى ان الذكر و الأنثى جنس واحد، و ليست الأنثى أقل شأنًا من الذكر، لا فى الطبيعه و لا فى منهج الله، و قد تكررت فى آيات القرآن هذه الفكره

مثل قوله تعالى:

«خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» و قد نسف القرآن هذه الفكره العنصريه الجنسيه (كما اسميها) التي تقول:

ان للذكر سلطه مطلقه على الأنثى بسبب انه من جنس أعلى، و الفارق بينه و بينها يشبه تماما الفارق بين الإنسان و الحيوان!! لقد نسف القرآن هذه الفكره و بيّن ان كل الحواجز بين الناس مصطنعه، و لا رصيد لها من الحق أبدا.

الاسره تنظيم ايجابي:

بين القرآن إن فكره التساوى بين الناس لا- تعنى الانفلات و الفوضى، انما يجب ان يكون داخل المجتمع تنظيم متقن، و نقبل بالحواجز بقدر أدائها لعملية التنظيم الايجابي، فالاسره مثلا- كأطار ينظم علاقه مجموعه بشريه بأخرى، و يجعلها أكثر تعاونا و تفاعلا...مقبوله و ضروره، و لكن الاسره كأطار لضرب الأسر الثانيه و اشاعه العصبية و القبليه بين المجتمع مرفوضه أساسا.

و لذلك أكد القرآن على الاسره و قال:

وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ أَي اتَّقُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوا الْأَرْحَامَ.

ان التعاون مع الاسره يجب ان يبقى ضمن اطار منهج الله، فلا- يصيح وسيله للفساد و الرشوه، و غضب الحقوق، و اشاعه الفحشاء، لذلك بدأ الحديث بذكر

تقوى الله و جعلها ركيزه البناء الاجتماعى، ثم بين اهميه الأرحام(الأقارب) و تعبير القرآن ب(تساءلون به) يعنى ان الله هو المقياس النهائى و الأخير الذى يمكن ان يجعل ركيزه التعاون الاجتماعى، فاذا تساءل أحد شيئا من آخر هل فعله أم لا، كيف يستطيع ان يثبت انه سيقول له الصحيح أم يكذب عليه.

لا طريق له الى ذلك الا ان يحلفه بالله، و يستشير ضميره و فطرته المؤمنه بالله، و يجعل من ذاته على ذاته رقيبا.

ان المجتمع الذى يتمتع بالايمان، هو القادر على إيجاد تعاون حقيقى بين ابنائه على أساس من العدالة و المساواه، و ان لم يكن المجتمع مؤمنا فكل الانظمه الموضوعه تصبح حبرا على ورق يتلاعب بها الناس كما يتلاعب الرياضيون بالكره.

من هنا لا بد ان يبنى المجتمع المسلم على ركيزه الايمان و التقوى.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

قيم المجتمع الاسلامى:

ان هذه الايه استهلكت الحديث عن المجتمع الاسلامى ببيان قيم المجتمع بايجاز و هى:

أ) تقوى الله.

ب) المساواه التامه بين جميع عباد الله الذكر منهم و الأنثى.

ج) اعتماد التنظيم الاسرى (و غيره) فى اطار تقوى الله.

إشارة

وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَهُ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤) وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥) وَابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلَا يَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَليَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا (١٠)

اللغة

٢[حوبا]:إثما و الحوبه الحزن.

٣[تقسطوا]:تعدلوا و تنصفوا.

[تعولوا]:تميلوا عن الحق و تجوروا و قيل عال يعول يحتاج و يفتقر.

٤[صدقاتهن]:مهورهن.

[نحله]:عطيه من غير المئامنه يقال نحلت الرجل إذا و هبت له نحله.

[هنيا مريئا]:الهنىء الطيب المساغ و المرىء المحمود العاقبه يقال هنانى الطعام و مرانى أى صار لى دواء و علاجا شافيا.

٥[قياماً]:العماد و السناد لما يعمد و يسند به.

٦[انستم]:الإيناس الأبصار من قوله«انس من جانب الطور نارا» و قيل انستم اى أحسستم بمعنى وجدتم.

[إسرافاً]:تجاوزا للحد المباح الى ما لم يح.

[بداراً]:مصارعه.

[حسبياً]:محاسباً و شاهداً.

ص:١٦

هدى من الآيات:

النظام الاقتصادى وجه بارز من أوجه المجتمع، و لذلك بدأ القرآن حديثه عن المجتمع الإسلامى ببيان النظام الاقتصادى فى هذا المجتمع، الذى يكفل الملكيه الفرديه فى اطار من الرقابته الاجتماعيه، فهو يشجع الناس على العمل و الانتاج، و تطوير التجربه الذاتيه فى التمتع بالحياه.

كل ذلك عن طريق كفاله الملكيه الفرديه، كما انه يحافظ على دور المال البّناء لثلا- يتحول الى صخره فى طريق الحريه الاجتماعيه أو القيم الساميه للمجتمع.

من هنا نجد ان الآيه الأولى تركز على ضروره المحافظه على حقوق اليتامى و النساء لأنهما العضوان الضعيفان فى المجتمع، و لهذا اقتضى التركيز عليهما، و المجتمع الذى يحافظ على حقوق الضعفاء يحافظ طبيعيا على حقوق الأقوياء.

و لكن القرآن عاد فبين حدود الملكيه الفرديه فى الآيه الخامسه، و منع إعطاء

السفهاء اموال المجتمع، لان السفهاء يخالفون فلسفه المال و هى تنظيم حياه المجتمع به، و من هذا المنطلق اشترط الرشد فى اليتيم الذى يبلغ، و يريد ان يتسلم أمواله.

و تحدث بعدئذ عن الإرث باعتباره من توابع الملكيه الفرديه، و ركز حديثه على ضروره المحافظه على حقوق الضعفاء «النساء و الأيتام و اولو القربى و اليتامى و المساكين».

و خلال الحديث فى الآيتين (٤/٣) تحدث القرآن عن الزواج تمهيدا للحديث عن حقوق المرأه فى امتلاك المهر، و ضروره المحافظه عليها.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢] اليتيم هو أضعف الحلقات الاجتماعيه، و الولى عليه (الوصى) هو أقوى الحلقات فى قدرته على أكل أمواله من دون رادع اجتماعى، لذلك حذر القرآن الأولياء من ظلم اليتيم ظاهرا أو خفيا، و الظلم الخفى هو تبديل أموال اليتامى بالتى هى أسوأ لحساب الولى عليهم.

و من يأكل أموال اليتامى يتعود على التبذير، لأنه يجد أمامه مالا لا تعب فيه فيلتهمه بدون تدبير، فاذا انتهت أموال اليتيم دفعته عاده التبذير الى تبديد أمواله الخاصه بذات الكيفيه السابقه، فاذا به يخسر ماله الحلال أيضا. من هنا قال الله تعالى:

وَ آتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ

ای انکم تبدأون بأكل أموال الیتیم و تنتهون بأكل أموالکم:

إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا أَنَّهُ ظَلَمَ عَظِيمًا.

علاج الیتیم:

[۳] لحل مشكله الیتیم وضع الإسلام حلاً اجتماعياً هو الزواج بالأرمله «صاحبه الأیتام».

و من هنا نعرف ان فلسفه تعدد الزوجات هی حل لبعض المشاكل الاجتماعیه.

ذلك انه لا يوجد شاب يقدم على الزواج ابتداء من أرمله عجوز، الا إذا جعلها زوجته الثانيه لكي يسترها و يحافظ على حقوقها و حقوق ابنائها، لان الزواج من الام يعطى الزوج دافعا نفسيا الى المحافظه على حقوق أولادها (الیتامی) باعتبار انهم سوف يصبحون كأولاه بالنسب، و سوف ينفعون عند الكبر، و يرفعون اسمه عند الناس و هكذا.

من هنا ربط القرآن بين الخوف من ظلم الیتیم و بين تعدد الزوجات فقال:

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ثُمَّ عَادَ وَ حذر من الزواج بنیه سيئه، أو مع عدم قدره على الوفاء بحقوق الزوجیه فقال:

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً و عدم العدالة قد يكون بالاهتمام بزوجه و ترك الاخريات كالمعلقات لا يحظين بحقوق الزوجيه الجنسيه و الاقتصاديه و الاجتماعيه، و لا هن مطلقات حتى يتزوجن غيره.

و من الناس من يتزوج أرمله بهدف التهام أموالها ثم يتركها تعاني الأمرين، و لقد حذر القرآن من ذلك و أمر هؤلاء بالاعتصار على زوجه واحده.

أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَى التسرى بالإماء بهدف تفرغ الشهوه الجنسيه، و الامتناع عن الفساد، و هذا جانب من واقعيه التشريع الاسلامى الذى يمنع بشده الفوضى الجنسيه، و من جانب آخر يفتح طريق اللذه الحلال بالزواج أو الملك.

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا فالافتاء بزوجه واحده، أو بالتسرى بالإماء، يمنع الميل عن الحق الى الباطل، بينما تعدد الزوجات قد يتسبب فى الظلم و الفقر و المسكنه.

المهر حق المرأة:

[٤] بعد الحديث عن اليتيم جاء دور حقوق المرأة، و أبرزها المهر، لأنه مال ثابت تمتلكه أغلب النساء. فأمر الإسلام بإعطاء المهر للنساء، و بين بذلك ان المرأة تمتلك تماما كالرجل، سواء كانت متزوجه أم عانسا، و قد كانت الانظمه البشريه تنفى حق المرأة فى الامتلاك خصوصا المتزوجه، و قريبا جدا استطاعت المرأة الغربيه ان تحافظ على حريتها فى التملك بعد الزواج، بالرغم من ان

الإسلام أعطاها هذا الحق منذ اليوم الاول.

و الواقع ان الجاهليه لا تستطيع إلا ان تظلم الضعفاء، و المرأه هى العضو الضعيف فى المجتمع، و لا يزال العالم الغربى يظلمها فى شخصيتها و حقوقها العامه.

و يسمى القرآن المهر صداقا ليبين فلسفته التى هى: المصادقه على عهد الزوجيه، ذلك ان الرجل يغرى فتاه بحلم الزواج، و عند ما يقضى و وطره منها يتركها للفحشاء، فكان عليه ان يقدم دليلا على صدق حبه لها، و حسن نيته فى ادعاء الزواج، و ذلك الدليل هو المهر، من هنا قال ربنا:

وَ آتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا النحله هى: العطاء، أى قدموا لهن المهر عطاء لا رجعه فيه، و الهنىء ما يسبب الراحة النفسيه، و المرىء ما يسبب الراحة الجسديه.

و لا ريب ان المال الحلال الذى يأكله الإنسان براحه نفسيه يعطى الجسد راحه جسميه أيضا لطبيعته العلاقه بين النفس و الجسم.

البعد الاجتماعى فى الحق المالى:

[٥] المال حق من حقوق الفرد، و لكنه ملك لجميع الناس، و للناس أن يفرضوا الرقابته عليه لئلا يصبح أذاه فساد، و لذلك فان السفهاء يحرمون من حق التصرف فى أموالهم، لان تلك الأموال هى أموال المجتمع قبل أن تكون للسفهاء.

و لأن المال وضع ليؤدى دور المنظم لا نشطه المجتمع، و الحافظ لجهود الناس،

فاذا استغله صاحبه فى الفوضى و الفساد و السلبه و السرف فانه يفقد دوره و يصيب الضرر جميع أبناء المجتمع، و لتصور سفيها بدأ يشتري البضاعه بأضعاف ثمنها، انه سوف ينشر الخلل فى موازين السوق، و بالتالى يصاب الكثيرون من المحتاجين الى تلك البضاعه بالضرر الفادح.

من هنا يخط الإسلام خطا وسطا بين الرأسماليه و الشيوعيه، فيحفظ للفرد حقوقه، و يعطيه دوافع للإنتاج و مجالا- للاختيار و التحرك، كما يحفظ للمجتمع حقوقه فى الرقابه على نشاطات الفرد، و توجيهها حسب مصلحه الجميع و من أجل البناء و الازدهار.

من هنا تجد التعبير القرآنى يؤكد على ان المال ملك للجميع بالرغم من ان السفينه مختص به أكثر من غيره، و بين فلسفه ذلك بقوله:

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا هَذَا الغنى الذى يصرف أموال المجتمع على متاعه الخاصه، بينما كان عليه ان يصرفها فى بناء المشاريع العمرانيه و الانسانيه، و هذا المستكبر الذى يستثمر ثروته فى محاربه الرساله و مقاومه اصلاحاتها، و هذا المترف الذى يشجع الفاحشه و يبني دور اللهو و البغاء و المخدرات، و هذا المفسد الذى يحتكر التجاره لذاته، و يعمل بطريقه انانيه تضر بمصلحه سائر التجار و الجماهير، انهم جميعا يتجاوزون حدّهم، و يتصرفون فى أموال المجتمع بما يخالف النظام الذى يستقيم بالمال، و يضارون بالناس. و هنا عليهم ان يقفوا ضدهم و يحجروا على أموالهم و لا يعنى ذلك مصادره أموالهم حتى لا يعطى ذلك مبررا لبعض المنتفعين بالحكومات ان يتهموا الناس ببعض هذه التهم لمصادره أموالهم: كالا... بل يعنى وضع أموالهم تحت رقابته هيئه مخلصه تقوم هى باستثمارها فى الصالح العام، و تضع الأرباح فى

حسابهم، بعد أن تأخذ من أموالهم قدراً معروفاً لقاء أتعابها.

و تقوم الهيئه بتوجيه هؤلاء نفسياً، و تحاول تربيتهم على الأفكار التجاريه السليمه تمهيدا لإصلاحهم، و اعاده أموالهم إليهم.

لذلك تجد القرآن يستخدم كلمه (فى) و يقول:

وَ ارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ بِهَا مِنَ الْمَالِ كَمَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَتَتَبَعُوا أَفْسَاسَ بَيْنِ يَدَيْهِ فَتَهْتَكُوا مَنَاجِرَهُمْ وَأَنْزَلُوا عَلَيْهَا مِنَ الْمَوَدِّعِ وَصَلُّوا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَمُوتُوا فِي كِبَرِهِم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَجِدْنَاهُمْ عَنِ الْمَوْلَىٰ ذَرْبًا مَّجِيدًا لِّذُنُوبِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِنَا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَمَّاكِنَ لَّيْسَ فِيهَا مِثْلُ شَيْءٍ عَلَىٰكَ وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ثم قال ربنا عن الجانب التربوى لهؤلاء:

وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا حَتَّىٰ لَا تَتَحَطَّم نَفْسِيَتَهُمْ، و لا يعودوا يصلحون للحياه أبدا.

يبقى ان نقول: ان السفه هو الذى يخالف مصالحه الحقيقيه حسب رؤيه الشرع، و مقياس العرف الصالح. و القيام استخدم فى القرآن بمعنى النظام، أو ما به استمرار الشئ و بقاؤه.

المراهقه الفكرية جذر السفه...

[٦] السفه قد يكون بسبب آفه عقليه أو نفسيه تطراً على صاحبه، و قد يكون بسبب المراهقه، و عن هذه الثانيه تتحدث الآيه:

وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَمَا يَعَاد لِلْيَتِيمِ أَمْوَالَهُ بَعْدَ أَنْ يُخْتَبَرُوا، لِيُكْشَفَ بَلُوغُهُ سِنَ النِّكَاحِ، وَ تَمْتَعَهُ بِالرُّشْدِ الْكَافِي لِلتَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِهِ بِمَا يَخْدُمُ مَصْلَحَتَهُ وَ مَصْلَحَةَ مَجْتَمَعِهِ.

و يؤكد القرآن هنا مره اخرى ضروره المحافظه على حقوق اليتامى و يقول:

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَ بَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ذَلِكَ أَنْ يَكْبُرُوا أَمْوَالُ الْيَتِيمِ يَسْرَفُ فِيهَا، وَ يَسَابِقُ الزَّمَنُ فِي التَّهَامِهَا قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ الْيَتِيمُ فَيَطْلُبُهُ بِالْأَمْوَالِ، بَدَارًا: أَي مَبَادِرُهُ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ الْيَتِيمُ.

و لكن مع ذلك يبقى لولى اليتيم الحق فى أخذ أجرته فى المحافظه عليه و على أمواله ان كان فقيرا أو محتاجا الى ذلك.

وَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسِّرْ تَعْفُفٌ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا أَي ان الأهم من الاشهاد هو الوازع النفسى الذى يرى الله عليه حسيبا، فيمنعه عن أكل مال اليتيم.

الإرث لماذا؟ لمن؟ كيف؟

[٧] من مظاهر الاقتصاد الموجه الذى يؤمن به الإسلام هى حقوق الإرث، و التى تشجع الأفراد على العمل و الانتاج باثاره غريزه حب الأبناء لديهم، حتى إذا كان الفرد غنيا عن المال بالنسبه الى حاجاته الخاصه، عمل من أجل إسعاد

ثم ان الإنسان معرض للموت فى أية لحظه، وقد تراوده فكره خبيثه فيفكر:

لما ذا اعمل و لمن؟ و بالرغم من بعض العادات و الانظمه الجاهليه التى منعت الإرث عن النساء، يؤكد القرآن هنا على مخالفه تلك العادات و الانظمه و يقول:

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا أَى لكل رجل أو امرأه حق مفروض فى تركه الميت القريب منهما فى الرحم.

[٨]و للمجتمع حق معلوم فى تركه الميت..

وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ مِمَّنْ لَا تَرْبِطُهُم بِالْمَيِّتِ صَلَهِ قَرَابِهِ تَقْتَضِي تَوْرِيثَهُمْ.

وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَ الْقَوْلُ الْمَعْرُوفُ هُنَا وَ فِى كُلِّ مَنَاسِبَةٍ تَشْبَهُ الْإِرْثَ يَعْنِي: ضَرُورَةُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ رَفْعِ مَسْتَوَى الطَّبَقَاتِ الْمَحْرُومَةِ نَفْسِيًّا وَ تَرْبِيًّا حَتَّى لَا يَشْعُرُوا بِالذُّلِّ وَ الْمَهَانَةِ، بَلْ وَ لَكِي يَسَاعِدَهُمْ مَسْتَوَاهُمْ الرَّفِيعَ عَلَى مَحَارِبِهِ وَاقِعَهُمْ، وَ الْعَمَلُ الْجَادُ عَلَى إِصْلَاحِهِ وَ تَطْوِيرِهِ.

فهذا اليتيم الذى اضطرته الحاجه المؤقتة الى ان يحضر قسمه الإرث، يرمق ببصره تركه الأموات، انه سيصبح غدا شابا قويا قادرا على العمل البناء، لو لم

تحطم نفسيته أيام فقره و حاجته، و لو لم تحطم سمعته امام الناس و ينظر اليه كطبقه هابطه و منبوذه فى المجتمع، و كذلك المسكين العاقل عن العمل اليوم قد يجد غدا عملا يناسبه، فيصبح عضوا فعلا فى جسم المجتمع ان لم يشعره المجتمع أيام مسكنته بأنه من طبقه منبوذه.

من هنا يركز القرآن على ضروره إعطاء الطبقات المحرومه جرعات روحيه بالاضافه الى توفير الحاجات الماديه لهم، لتساعدهم تلك الجرعات على مقاومه واقعهم بأنفسهم، أو لا أقل لكي يحظوا بالسعاده من تقدير المجتمع لهم، و عدم النظر الى وضعهم الاقتصادى المنحط.

كما تدين تدان:

[٩] و بمناسبه الحديث عن الإرث بين القرآن مره أخرى حكم اليتيم باعتبار ان كثيرا من الأموات يتركون ذريه صغارا من ورائهم و يتعرض هؤلاء لطمع الجشعين، و أخذ القرآن يحرك فينا خوفنا الفطرى من الموت، و ضياع ذريتنا من ورائنا و قال لو لم يحتّم المجتمع حقوق اليتامى فكل فرد مهدد ان تغتصب حقوق يتاماه غدا كما يغتصب هو حق اليتامى اليوم. إذا... فان لم يكن لله فلا نفسنا نحافظ على حقوق اليتامى.

وَ لِيُخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ ضَلَالًا كَاذِبًا ۖ خَافُوا عَلَيْهِمْ اذْنُ فَلَا يَظْلَمُونَ ذُرِّيَّهُ النَّاسِ مَا دَامُوا هُمْ اَصْحَابُ ذُرِّيهِ يَخْشُونَ عَلَيْهِمْ لَوْ مَاتُوا... أ فلا يعرفون ان من طرق باب الناس طرق باب.

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا

فلا يخالطون في حساب الإرث و يقسمونه بحيث يظلمون حق اليتامى.

[١٠] ثم هدد القرآن الحكيم الذين يأكلون أموال اليتامى و قال:

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا مَا هَذِهِ النَّارُ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا؟ هَلْ هِيَ هَذِهِ الْمَوَادُّ الْحَرَامُ الَّتِي تَتَحَوَّلُ -بِقَدْرِهِ اللَّهُ- إِلَى نَارٍ لَاهِبَةٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ أَمْ أَنَّهَا الْأَلَامُ النَّفْسِيَّةُ وَ مِنْ ثَمَّ الْجَسَدِيَّةُ الَّتِي تَلَاخَقُهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمُ الْيَتَامَى؟ أَمْ أَنَّهَا الانْحِرَافَاتُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الَّتِي سَوْفَ تَحْرَقُ حَضَارَتَهُمْ وَ تَخْرِبُ عُمُرَانَهُمْ عَاجِلًا أَمْ آجِلًا؟ الْمَهْمُ أَنَّهَا نَارٌ فِي الدُّنْيَا وَ سَعِيرٌ فِي الْآخِرَةِ... وَ كَفَى بِذَلِكَ رَادَعًا عَنِ الْاِقْتِرَابِ مِنْ حَقِّ الضَّعْفَاءِ.

ص: ٢٨

اشاره

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنَ آبَائِكُمْ وَأَبْنَاؤِكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) وَ لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنَ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاهُمَا أَوْ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنَ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّتَهُ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)

اللغة

١٢ [كلاله]: أصل الكلاله الاحاطه و منه الإكليل لاحاطته بالرأس و منه.

الكل لاحاطته بالعدد فالكلاله تحيط بأصل النسب الذى هو الولد و الوالد.

ص: ٣٠

هدى من الآيات:

فى الآيات هذه بعض احكام الإرث، و التى تكشف ما وراءها من النظره الاسلاميه فى الطبقات المتدرجه للتنظيم الأسرى، و للحقوق المتبادله فيها.

و الإرث عموما رابطه وثيقه تشد أبناء الاسره ببعضها، كما انه فى الاقتصاد الاسلامى طريقه لتوزيع الثروه فى المجتمع.

و أهم حكم يعكسه أحكام الإرث فى هذه الآيات و أشده إثارة للجدل هو:

تفضيل الذكر على الأنثى فى أغلب موارد الإرث، إذ ان الإسلام يعطى الذكر دورا قياديا أكبر فى الاسره، و تحميله نفقات العائله دون الأنثى فيضاعف نصيبه من الإرث و مع ذلك فانه عند التعمق نجد ان المرأه تشارك الرجل فى ارثه، دون ان يشاركها الرجل فيتعادلان، أو تميل كفه المرأه قليلا فتحصل على قدر أكبر من الإرث.

و تتحدث الآيه الاولى عن ارث أبناء العائله التى تتكون من الوالدين و الأبناء

و الاخوه.

بينما تتحدث الآيه الثانيه عن العلاقه الزوجيه و كيفيه تبادل الزوجين الإرث من بعضهما.

اما الآيتان الثالثه و الرابعه، فهى تبين ضروره الالتزام الدقيق بأحكام الله التي يسميها القرآن بالحدود، و يوعد من تجاوزها بأشد العذاب.

بينات من الآيات:

حكمه الإرث:

[١١] انطلاقا من طبيعه الدور الذى يكلف الذكر به فى الحياه العامه و فى الحياه الزوجيه و هو دور الإنفاق و التوجيه الأشد صعوبه و الأكثر جهدا، فقد حدد القرآن للذكر ضعف نصيب الأنثى من الإرث، و عبر عن ذلك بقوله تعالى:

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ و يبدو هذا التعبير رؤيه حياتيه أكثر من ان يكون قاعده قانونيه.

فالذكر فى طبيعه و دوره الفطرى الذى خلق له، هو ان يصبح له مثل حظ الأنثيين فى المجال الاقتصادى، كما ان الأنثى تملك مثل حظ الذكرين فى المجالات الاخرى العاطفيه و الجاذبيه، و قدره على التريه.

و استعاض الله (بالوصيه) عن صيغه الأمر فقال (يوصيكم) للدلاله على ان فى ذلك فائده كبيره لكم قبل ان تكون امرا عليكم.

هذا إذا كانوا أولادا مختلطين من ذكور و إناث، اما لو كن إناثا فقط فإنهن يقتسمن ثلثى التركه بينهن بالسويه.

ص: ٣٢

فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ أما بقيه المال: فان كان للميت أبوان فإنهما يرثان الثلث فيما إذا كانتا اثنتين و أكثر، و تراث الام السدس و يرث الأب البقيه فيما إذا كانت واحده فلها النصف، و كذلك يشاركهما الزوجان حسب التفصيل القادم.

اما إذا لم يكن للميت أبوان و لا زوج فان بقيه المال يرد على البنات أو البنت بطريقه الرد.

وَ إِمَّا بَوَّيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَّرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ اما الأب فنصيبه غير محدود فهو يأخذ البقيه الباقيه أنى كانت قلت أم كثرت، فمثلا- إذا ماتت البنت فلأُم الثلث أن كان للميت أم من دون أولاد و للأب الثلثان الباقيان، اما لو كان الميت امرأه فلزوجها النصف مما تركت، و لأُمها الثلث، و يبقى لأبيها السدس فقط.

فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ لان اخوه الميت يحجبون الأم عن سدس إرثها، كل هذه التفاصيل و الفروضات تحسب...

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا الْمَيِّتُ يَتَصَرَّفُ فِي حُدُودِ ثُلْثِ الْمَبْلُغِ الَّذِي خَلْفَهُ لَا أَكْثَرَ، إلا إذا رضى الورثه بالزيادة فتعطي لمن وصى به حقه، ثم تقسم التركة كذلك بعد الدين.

أَوْ دَيْنٍ

ص: ٣٣

فالدين المتعلق بالميت مقدم على الوصيه، و على الورثه حتى و لو غطى التركه كلها.

ان الإنسان يجب ان يرث أبناؤه كل ثروته دون أبويه، و هما على شفا الموت بينهما أبناؤه يستقبلون الحياه الحافله بالمشاكل و الصعوبات، من هنا يتساءل: لماذا وضع الله نصيبا مفروضا للأبوين؟ و يجب القرآن الكريم على ذلك:

﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرُبَّمَا يَكُونُ الْآبَاءُ هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ نَفْعِكُمْ مِنَ الْأَبْنَاءِ، فَلَوْلَا جُهدُ أَوْلَادِكُمْ وَمَسَاعِيهِمْ، وَلَوْلَا رِعَايَتُهُمْ وَلَوْلَا خَيْرَتُهُمْ لَكَانَتْ حَيَاتِكُمْ جَحِيمًا، فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مَكَافَأَهُ رَمْزِيهِ.

﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

موارد الإرث:

[١٢] بعد الحديث عن القرابه «الرحميه» جاء دور القرابه الزوجيه «السببيه» و بين القرآن ان الزوج يرث نصف تركه الزوجه ان لم يكن لها ولد، و الا فالربع، اما الزوجه فترث الربع ان لم يكن له ولد، و الا فالثلث.

و أكدت الآيه أكثر من مره ضروره أداء دين الميت و احترام وصيته، و أكدت هنا أكثر من الآيه السابقه باعتبار ان العلاقه الزوجيه لا تكون قويه فيستأثر الوارث منها بالمال دون ان يعير وصيه الميت انتباها.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ

الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ لِهِنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ إِنْ كَانَ لِأَخِيهِمُ الْقُرْآنُ كَلَالَةً، لِأَنَّهُمْ فِي طَبَقَتِهِ يَشْكُلُونَ زِينَتَهُ كَالْكَالِيلِ فَإِنْ أَخُو الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِمِّ يَرْتُونَ هَكَذَا: إِذَا كَانَ أَخٌ الْمَيِّتِ وَاحِدًا فَانْ يورث سُدسَ التَّرَكَةِ، إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَانٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَانْ ثَلَاثُ الْمَالِ يَخْصُصُ لَهُمْ فَيَتَقَاسَمُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالسُّوْبَةِ، لِأَنَّ فَرْقَ بَيْنِ الذَّكَرِ وَ الْأُنْثَى (أَي بَيْنِ الْإِخْتِ وَ الْأَخِ).

لذلك قال ربنا:

وَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ أَى إِنْ كَانَ مَيِّتٌ يَرِثُهُ أَقْرَبُهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْكَلَالَةِ سِوَاكَانِ الْمَيِّتِ رَجُلًا [أَوْ امْرَأَةً].

و هناك مثل لارث الكلاله هو ان يكون للميت وارث واحد.

وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ .

اما إذا كان له أكثر من ذلك أى اثنان فرائد فالحكم يختلف:

فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلْثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ إِنْمَا قَدِمَتِ الْوَصِيَّةُ عَلَى الدَّيْنِ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُوصُونَ بَيْنَمَا قَدْ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الدَّيْنِ.

و الا فان الدين مقدم على الوصيه لان الدين يتعلق بحقوق الناس.

و لكن الوصيه يجب ان لا تكون بقصد الإضرار بالورثه، و فى هذه الحاله تلغى

الوصيه بسبب قانون «الضرار».

كما ان من كتب على نفسه دينا كاذبا بهدف الإضرار بورثته فان اعترافه هذا لا يؤخذ به، و يتحقق القاضى فى الأمر ليرى هل هو مديون فعلا أم لا؟...

وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادَ بِبَعْضِهِمْ مِنَ الظُّلْمِ، لَكِنَّهُ يَحْلُمُ عَنْهُمْ لِغَفْرَتِهِ دُونَ أَنْ يَنْسَاهُمْ، إِذْ سَيَأْتِي يَوْمٌ يُؤْخَذُ فِيهِ الْمَسِيءُ بِأَشَدِّ الْجَزَاءِ.

[١٣] يسمى القرآن احكام الدين ب(الحدود) تعبيراً عن الدقه المتناهيه التى تتميز بها هذه الأحكام، و التى من الضرورى ان يراعيها المؤمن فليس من الصحيح الزيادة أو النقيصه فيها باجتهادات خاصه أو حسب مصالح مؤقتة، لأن أيه زياده أو نقيصه تحمل فى طياتها عقوبه تجاوزها.

تَلَمَّكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [١٤] وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ان الاستخفاف بحدود الله ينتهى الى الهوان فى الآخره، و لأنه فى الواقع يصل الى درجه معصيه الله و التهاون به.

ص: ٣٦

إشاره

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَهُ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَانْتَابَا وَاصْلَمَا فَاعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَ أَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)

اللغة

١٩ [تعضلوهن]: العضل التضيق بالمنع من التزويج و أصله الامتناع.

٢٠- [قنطارا]: المال الكثير.

[بهتانا]: كذبا.

٢١ [أفضى]: الإفضاء الى شىء هو الوصول اليه بالملامسه.

ص: ٣٨

هدى من الآيات:

من الحقوق الثابته للمرأه الحصانه عن القذف و التهمه، ذلك أن رأسمال المرأه سمعتها و عفتها و نظافه حصنها، و لا بد أن تبقى هذه السمعته مصونه من ألسنه العابثين.

الا إذا اخترقت حجاب العفه، و مارست الفاحشه علنا، و بصوره جلبت أنظار أربعه شهود من المؤمنين آنشد يجب ان تحجز بعيده عن أصحاب الشهوات الذين يتخذونها سلعه و متاعا رخيصا.

و ابعاد المرأه عن ممارسه الفحشاء، و توفير حاجاتها من بيت المال، حق آخر من حقوقها على المجتمع.

و بمناسبه الحديث عن القذف، و لأنه جريمه تشتهر فى المجتمعات الجاهليه، و يستهين بأبعادها الناس، فقد ذكر القرآن التوبه، و بين ان باب التوبه مفتوح لمن أراد أن يدخله، و لكن بشرط أن يسارع اليه قبل ان يحضره الموت، فاذا حضره

فان التوبه لن تقبل.

بعد حق الحصانه الاجتماعيه بين القرآن مره اخرى حق المرأه فى المملكه و حرمه أكل إرثها جبرا،أو الضغط عليها لتنازل عن بعض مهرها للزوج كما بين حق العشره المعروفه معها بالرغم من سلبياتها.

و عاد و بين حق المرأه فى المهر بمجرد الزوجيه،و انه لا يحق للزوج استرجاع المهر ان أراد أن يطلقها.

و عموما:يتحدث هذا الدرس عن جانب من حقوق المرأه بالنسبه الى علاقتها الزوجيه و الاجتماعيه.

بينات من الآيات:

التشريعات حصن المجتمع:

[١٥]اهتمام الإسلام بالاسره يفوق اهتمامه بأيه روابط اجتماعيه(غير المبدئيه)،لأنها الإطار الطبيعى المتين للتعارف و التعاون و التفاعل من أجل بناء حضاره الإنسان،و لكى يحافظ الإسلام على الاسره حصنها بسور منيع من الانظمه و التعليمات،و من أهمها تحريم الفاحشه و القذف.

فلا يحق للمرأه فى أى وجه من الوجوه أن تتجاوز حدود الاسره،و بينها هو بين الزوج فى علاقاتها الجنسيه أو العاطفيه.

و إذا امتنعت الأنثى عن تعاطى الجنس اللامشروع،فان الرجل يضطر الى أن يبحث عن الزواج المشروع،و ان يقدم فى سبيله الكثير من التنازلات،و بالتالى أن يحافظ على كرامه المرأه من جهه،و على متانه الاسره و قوتها و تماسكها من جهه

و إذا سقطت المرأه فى أحضان الفاحشه فان عقوبتها التى ذكرها القرآن فى هذه الآيه هى حجزها فى البيت، لماذا؟ لأنها تجاوزت حدود البيت حين منحت الحريره، فمن الطبيعى ان تعاد الى هذه الحدود جبراً، و لأنها إذا تركت حره بين الناس فان رجالاً- كثيرين قد يسقطون فى أحضان الجريمه و لا- يجدون دافعا قويا للزواج، و بالتالى فان نساء كثيرات يحرمن من نعمه الزواج، و أسر كثيره تتحطم على صخره الفاحشه.

من هنا فان الوسيله الجيدهه هى حجز المرأه الزانيه فى البيت.

وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَهُ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَ التّعبير القرآنى يستخدم كلمتين (يأتين) و(استشهدوا) للدلاله على ان المرأه التى تعمل الفاحشه فعلاً، و التى تتعاطى فى المجتمع هذه الجريمه على عين السلطه و سمعها، انها مع ذلك لا- تعاقب بمجرد وجود أدله خفيه على جرمها بل يجب ان تكون هناك أدله ظاهره، فيستشهد عليها أربعه من المؤمنين أى يطلب منهم الأدلاء بشهاداتهم ليكون العقاب بعد حجه ظاهره.

و هذا يفسر ضروره توفر شهاده أربعه من الرجال فى هذه الجريمه التى تعتبر عاده من الجرائم الخفيه- خصوصاً فى أجواء المجتمع الاسلامى، حيث ان شهاده هؤلاء انما هى ممكنه بحق المرأه المعلنه بالفاحشه، و اما التى تسقط مره ثم تتوب فلا يمكن عاده ان يلاحظها أربعه من الشهود.

وَ السبيل الذى أشار اليه القرآن فى نهايه الآيه: أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: هو

اقامه الحد عليها و اطلاق سراحها كبديل عن حجزها فى البيت.

حرمه القذف:

[١٦] و لكى يعطى القرآن حصانه للأسره و للمرأه بالذات، و لكى يستر على السقطات الجنسيه التى قد تتعرض لها نساء شريفات، و لكى يقضى على الشائعات الجنسيه التى يتسلى بها خبثاء النفوس فى سهراتهم الليله و يستعرضون بها عن حرمانهم الجنسي أو عقدهم الاجتماعيه.

لكل ذلك حَرَمَ و عاقب على القذف بالزنا ما لم يصل الى مستوى شهاده أربعه من الرجال و قال:

وَ الذَّانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا الأذى قد يكون بأشهارهما أمام الناس، أو بضربهما بالسياط، أو حتى بسجنهما أو تقييعهما من قبل الحاكم و هكذا.

لمن التوبه؟ و كيف؟

[١٧] و لان القذف و التهمه بالسقطات الجنسيه تكثر فى المجتمع، و يمارسها كثير من الناس فى بعض فترات حياتهم، لذلك فقد استعمال القرآن المؤمنين و دعاهم الى التوبه و قال:

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

ص: ٤٢

ثم قال:

[١٨] وَ لَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ فَمَا كَانَ صَنْفَانِ مِنَ النَّاسِ: صَنْفٌ يَتُوبُ بِسَبَبِ رُوحِهِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَ تَذَكَرَهُ عَذَابُ اللَّهِ وَ خَوْفَهُ وَ تَقْوَاهُ، وَ صَنْفٌ لَا يَتُوبُ إِلَّا بَعْدَ اضْطِرَارِهِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَ التَّوْبَةُ تَقْبَلُ فَقَطْ مِنَ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ.

و ليس هناك صنف ثالث، ذلك لان الذين يسوفون التوبه و يؤجلونها من يوم لآخر، انهم لا يضمنون حياتهم حتى يتوبوا قبل موتهم بأيام مثلا، كلا بل لا يصدقون بالموت إلا حين يحضرهم فعلا و هناك لا تنفعهم التوبه.

و مثل هؤلاء مثل الكفار الذين يؤمنون قبل موتهم بلحظات، و لذلك ساقهم القرآن بعصا واحده مع الكفار فقال:

وَ لَا لِلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

من حقوق المرأة الزوجية:

[١٩] فى حصن الأسره يجب ان تسود العداله، لأنها لو سادت فى الاسره استطاعت ان تسود فى المجتمع كله و أبرز مظاهر العداله المحافظه على حقوق المرأة فى حياتها و بعد موتها، فلا يمكن خلط حسابها مع حسابه حتى يلتهم أموالها بعد موتها، انه لا يرث إلا جزءا من مالها قد لا يتجاوز الربع، فلا يجوز أن يأكلها جميعا.

كما لا يجوز الضغط على المرأة حتى تتنازل عن بعض حقوقها أو كلها فى

سبيل إنقاذ نفسها من إرهاب الزوج الوحشى (هناك قانون فى الطلاق يسمى بالخلع و يكون ذلك بعد تنازل المرأة عن مهرها لقاء فك سراحها) كما لا يجوز له أيضا أن يرث نكاح النساء كما هو المعمول فى الجاهليه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا نِسَاءَكُمْ كَرِهًا وَلَا تَعْضُمُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ يَبْدُو لِي أَنْ التَّعْبِيرَ (لتذهبوا ببعض) يوحى بالطلاق، لان كلمه الذهاب به يدل على الابتعاد مع الشئ مثل ذهب السارق بالمال.

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ هُنَالِكَ يَحِقُّ لِلزَّوْجِ أَنْ يَضْغَطَ عَلَى زَوْجَتِهِ حَتَّى تَتَنَازَلَ عَنْ بَعْضِ مَهْرِهَا وَيَطْلُقَهَا، وَذَلِكَ جَزَاءُ خِيانتِهَا بِهِ.

و من الحقوق الثابته للمرأة أن تعاشر بالمعروف، فتعطى لها الحقوق التى يراها العرف و بالقدر الذى يحكم به، و الا تخضع حقوق المرأة للانفعالات المؤقتة.

وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يُجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا إِنْ النِّزَامِ الإِسْلَامِيَّ يَعْتَمِدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَفْصِيْلَاتِ تَشْرِيْعِهِ عَلَى الْعُرْفِ الْعَامِ بَعْدَ أَنْ يُضْعَ إِطَارًا عَامًا لَهُ مَعْتَمِدًا عَلَى الْقِيَمِ الرِّسَالِيَّةِ، وَ فِي عَشْرَةِ الزَّوْجِ وَ حَقُوقِهَا اعْتَمَدَ التَّشْرِيْعُ الإِسْلَامِيَّ عَلَى الْعُرْفِ لِيَحْدُدَ مَا هِيَ الْمَعَاشِرَةُ السَّلِيمَةُ.

[٢٠] الصداق الذى يقدمه الزوج هل هو رهن فى يد الزوجه مقابل استمرار عقد الزواج فاذا أرادت الزوجه أو الزوج فسخ العلاقة الزوجيه يستعيد الزوج

الصداق؟! كلا... بل هو تصديق على صدق الزوج فى ادعاء الزواج، و بناء الاسره و عليه فان المهر يصح ملكا كاملا للزوجه بمجرد الدخول بها، و لا و لا يحق للزوج أن يسترجع المهر أنى كان كثيرا إذا أراد أن يطلقها.

وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِخْدَانًا فَظِارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَ تَأْخُذُونَ بِهِتَانًا وَ إِنَّمَا مُبِينًا [٢١] وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَ أَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا أَى كَيْفَ يَحَقُّ لَكُمْ أَخْذُهُ بَعْدَ إِتْمَامِ الْعَمَلِيَةِ الزَّوْجِيَةِ بِالْدُخُولِ الَّتِي كَانَتْ مَقَابِلَ الْمَهْرِ فِي الْعَقْدِ، وَ اتَّخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ.

ص: ٤٥

اشاره

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَيَنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّحِدَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (٢٨)

اللغه

٢٣[ربائبكم]:الربائب جمع ربيبه و هي بنت زوجه الرجل من غيره و سميت بذلك لتربيته إياها.

[حلائل]:الحلائل جمع الحليله و هي بمعنى المحلله مشتقه من الحلال.

٢٥[المحصنات]:من حصنت المرأة فرجها من الفجور و السفاح يقال أحصن الرجل زوجته،أى حفظها من الفجور..

[مسافحات]:من السفاح و هو الزنا و أصله من السفح و هو صب الماء

ص:٤٧

لأنه يصب الماء باطلا.

[طولا]:الطول الغنى و هو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغنى به لأنه ينال به معالى الأمور.

[أخدان]:جمع خدن و هو الصديق.

[العنت]:الجهد و الشده من جهه ترك الزواج.

ص:٤٨

هدى من الآيات:

فى هذا الدرر ينظم التشريع القرآنى الحكيم العلاقه الزوجيه بين الذكر و الأنثى، فيبين النساء المحرمات ابتداء بزوجه الأب و انتهاء بالجمع بين الأختين، أو التفكير فى الزواج من امرأه ذات بعل.

ثم تتحدث الآيات عن العلاقه المشروعه بين الذكر و الأنثى التى تتم عن طريق الزواج كعقد يتراضى عليه الطرفان، و ان من الضرورى الالتزام بكافه بنوده، و ليست الزوجيه امتلاكاً للأنثى من قبل الذكر كما كان يتصوره الجاهليون.

و تتحدث عن الزواج من الإماء، و كيف يجب ان تنظم العلاقه معهن حتى لا- تتحول الامه الى باغيه بحكم حاجتها الى المال و الى حمايه الاجتماعيه بسبب انها امرأه غريبه عن المجتمع المسلم.

و يشدد الإسلام على ذلك فى الآيات الثلاث الاخيره من الدرر حين يقول:

ان هذه التشريعات هي عماد حضارتكم، و ان الاستهانه بها يهدد كيانكم بالدمار كما فعل بالذين كانوا من قبلكم.

و يبين ان التشريع الاسلامى تشريع واقعى يلاحظ ضعف الإنسان، و حدود قدراته على الضبط، و انه لو لا واقعيه هذا التشريع لانهار كثير من الناس فى بؤره الفساد و اتباع الشهوات.

بينات من الآيات:

النساء المحرمات...

[٢٢] كانت العادات الجاهليه تقضى بتوريث زوجة الأب لأكبر أبنائه، و كأنها سلعه من السلع، فجاءت الآيه الأولى من آيات تنظيم العلاقة الزوجيه فى هذا المجال:

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ أَيْ مَا سَلَفَ مِنْكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فانه بالرغم من حرمة يعتبر نكاحا فى ذلك العرف و لا يوصم أبناء هذا النكاح بأنهم أولاد زنا، أما الآن فيجب الفراق و الابانه بين الزوجين.

و بين القرآن ان هذا النكاح عمل جنسى حرام (فاحشه) و انه يجلب الذل و الهوان (مقت) و انه ليس السبيل السوى فى العلاقة الزوجيه.

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ مَقْتًا وَ سَبِيلًا. ان الحاجة الجنسيه تجرى فى الإنسان كالسيل تكاد تتدفق من جوانبه، فلو لا وجود قنوات تمتصها و تنظم مسيرتها لفاضت فى كل اتجاه، و نشأت منها

الصراعات و الخلافات و هدمت الاسره الواحده.

□
و قد جعل الله في الإنسان و في موازاه الحاجه الجنسيه الهائله جعل حواجز الحياء الفطرى لتمنع الفوضى الجنسيه، و لكي يدعم الحياء الفطرى وضع قوانين شرعيه منظمه لهذه الحاجه، و حرمة زوجه الأب على الابن من تلك القوانين، ذلك لأنها ترفع الزوجه الى درجه الام، و تجعلها مصونه من حاجات الأولاد الجنسيه، و بالتالى من صراعاتهم عليها، و من معاملتهم لها كسلعه تورث.

□
و من هنا قال الله انه مقت يورث الهوان، لأنه تحطيم لكرامه المرأه، و هدر لحق الأب.

فلسفه التحريم:

[٢٣] و يسرد القرآن المحرمات من النساء و هن: القريبات فى الطبقة الاولى و الثانيه، و فلسفه الحرمة ان ذلك الزواج يهدد الاسره بالخلافات الداخليه، و يسبب شيوع علاقات فاحشه بين الأقارب فى الاسره الواحده، و يسبب نقل الأمراض الوراثيه بشكل فظيع الى الأجيال التاليه، و يسبب بالتالى ضعف النسل البشرى الى درجه خطيره، و تحول نظره الأقارب فى الاسره الواحده من نظره تعاون بناء الى نظره جنسيه شاذه و هكذا. قال ربنا:

□
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ بَنَاتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعِ وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بِنْتِ زَوْجِ الْإِنْسَانِ (من غيره) محرمة عليه إذا دخل بأُمها، فلا يحق له ان

يستعيض زوجته بابنتها من أب غيره بعد ان تكبر و تكون صالحه للزواج.

ان ذلك يشكل اهانه بحق الزوجه حيث ان الزوج،يريد منها ان تكون فقط اداه لإشباع غرائزه و حين استنفذ حاجته منها استبدلها ببنتها المولوده من غيره.

اما قبل ان يدخل بها فان ذلك يجوز لأن هذه الفلسفه لا تحكم فيه.

ولا- يجوز ان يتزوج الإنسان من زوجات ابناؤه لأنهن يصبحن بحكم بناته، و لا يجوز ان ينظر الأب إليهن نظره جنسيه حتى لا تنمو الكراهيه فى الأسره الواحده،و تؤدى الى الصراعات العائليه.

وَ حَلَّالٌ أَبْدَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ □ أما الابن المتبنى فانه يجوز لأبيه(بالتبنى) ان يتزوج زوجته بعد طلاقها، خلافا للاعراف الجاهليه التى نسخها القرآن الحكيم فى قصه «زيد»ابن رسول الله بالتبنى،حيث طلق زوجته زينب فزوجها الله لرسوله.

وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْمُخْتَيْنِ لَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِثَارِهِ لِلصَّرَاعَاتِ فِي الْأَسْرَةِ الْوَاحِدَةِ بِسَبَبِ تَنَافُسِ الضَّرْتَيْنِ فِي وَدِّ الزَّوْجِ، وَ يَتَحَوَّلُ التَّنَافُسُ إِلَى خِلَافٍ بَيْنَهُمَا يَنْعَكِسُ بِالتَّالِيِ عَلَى اسْرَتَهُمَا.

□
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ فِي الْجَاهِلِيَةِ.

□ □
إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا [٢٤] لا يجوز للإنسان ان ينظر بريبه الى زوجات الناس اللاتي دخلن فى

حصن الزواج و حریم البيت، فان ذلك يهدد البناء الاسرى للمجتمع، و يجر اليه رياح الفوضى و الخلاف.

ان الرجل الذى يعتز بماله و جماله و يحاول ان يخدع نساء الآخرين لا بد ان يعرف ان فى المجتمع من هو أكثر مالا و أروع حمالا، و ارفع شهره منه، و انه من الممكن ان يطمع فى زوجته فهل يرضى؟ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ان كتاب الله يشهد عليكم لو انكم تجاوزتم حدود الله فى المحرمات من النساء، حيث لا- يجوز مباشرتهن الا فى حدود احكام الله بالعقد أو بملك اليمين.

وَ أَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنَاتٍ بَيْنَ غَيْرٍ مُسَافِحِينَ اى يحل لكم إنشاء علاقات جنسيه بهدف تكوين اسره، و الدخول فى حصن الزوجيه، و فى حصانه العلاقه الجنسيه المستقره، لا بهدف السفاح و الهبوط الى مستوى البهائم، و سفح ماء الحياه فى كل ارض صالحه أو طالحه.

ان الهدف من اى عمل هو الذى يحدد طبيعته و صبغته، و حسنه و قبحه، و حرمة و حليته، و العلاقه بهدف تكوين الاسره هى علاقه جيده، حتى و لو كانت مؤقتة مثل المتعه التى استدلت طائفه من المفسرين جوازها انطلاقا من هذه الآيه.

شرعيه الزواج المؤقت

الزواج المؤقت (المتع) يختلف عن الزنا فى انه ذو هدف شريف، و هو أشبه شىء بالزواج و الطلاق بعد فتره لظروف طارئه. بيد ان المتعه تأخذ تلك الظروف

بعين الاعتبار و تقصر فتره العقد منذ البدايه، مثل ان يكون الرجل مسافرا (للدراسه أو للعمل) الى بلد بعيد و لا يستطيع ان يجلب اليه زوجته كما لا يريد ان يستوطن ذلك البلد الى الأبد، فاذا أراد البقاء هناك لمدة خمس سنوات مثلا فالأفضل له ان يتزوج خلال الفتره زواجا بهدف بناء الاسره، و انجاب و تربيته الأولاد، و لكن محدد بفترة معينه.

و بدلا من ان يلعب على المرأه و يوعداها بالزواج الدائم ثم يفترق عنها بسبب قهر الظروف فانه منذ البدء يصارحها بالحقيقه حتى تكون على بينه من أمرها.

و القانون الاسلامى الذى شرع الطلاق لا يمكنه ان يشرع الزواج المؤقت لأنه فى المحتوى يتشابه مع الزواج ثم الطلاق لذلك قال الله تعالى:

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً حَيْثُ شَرَعَ الْمَتْعَةُ بِهَذِهِ الْآيَةِ حَسَبَ تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ السَّرِيِّ وَ ابْنِ سَعِيدٍ وَ جَمَاعِهِ مِنَ التَّابِعِينَ وَ الصَّحَابَةِ، وَ لَكِنَّهُ اشْتَرَطَ فِيهَا شَرْطَيْنِ، الْأَوَّلُ: ارَادَهُ الزَّوْجَ وَ لَيْسَ السَّفَاحَ وَ بَتَعْبِيرٍ آخَرَ: أَنْ يَكُونَ التَّزَامًا بِنَاءً اسْرِهِ.

الثانى: ان يدفع الرجل كامل المهر للزوجه، و ان يضع لها مهرا واجبا عليه.

نعم إذا تنازلت المرأه عن مهرها طواعيه جاز لها ذلك.

وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

فلسفه الرق:

[٢٥] قانون الرق فى الإسلام يختلف عنه فى التشريعات الجاهليه اختلافا

كبيراً، و ابرز نقاط الخلاف ان القانون الاسلامى يحرم الاسترقاق القسرى أو الطوعى للأحرار الا فى حاله واحده هى اسرى الحرب الذين وضع الإسلام امامهم طريق الاسترقاق لتدويهم فى المجتمع المسلم بصوره تدريجيه، و من دون وجود مضاعفات سلبيه.

ان الأسير الذى يفترض ان يكون معتديا على امن الوطن الاسلامى، و محاربا سابقا ضد الامه المسلمه لا يمكن ان يطلق سراحه فى البلاد الاسلاميه ليعيث فيها فسادا، بل لا بد ان يمر بدوره تربويه تؤهله ليصبح مواطنا صالحا للبلاد الاسلاميه، و عضوا ببناء فى المجتمع المسلم.

اين توجد هذه دوره التربويه؟ هل تستطيع الدوله الاسلاميه ان تؤسس آلاف المعسكرات (و بتعبير آخر المعتقلات) و تحتفظ فيها بهؤلاء الأسرى؟ و هل ينجح هذا الأسلوب لو فعلت؟ كلا.. ان دوره الجيده هى إعطاء الأسير جزءا من حريته، و ربطه بواحد من المسلمين و إعطاء حق التوجيه لذلك المسلم و تشجيعه على ان يصبح عضوا جيدا لإعاده كامل حريته اليه، و أخيرا تزويد مولاه بالوصايا المؤكده لرعايه حقوقه، بل بالأوامر المشدده تحت طائله العقوبه القانونيه.

و بهذه الطريقه استطاعت الامه الاسلاميه استقطاب الشعوب التى فتحت بلادها فى فترات متعاقبه، بالرغم من ان تلك الشعوب كانت أضعاف عدد الامه، و تحولت فى فتره وجيزه الى جزء من الامه حملت رسالتها الى آفاق جديده.

ان المقاتل العدو الذى أسر فى هذا العام مثلا كان يتحول فى العام المقبل الى قائد اسلامى لموجه جديده من الفتوحات، و ربما فى بلاده هو و ضد رفاق السلاح، كيف كان ذلك ممكنا لو لم تكن هناك دورات تربويه داخل كل بيت و كل

اسره يتأثر الأسير بها فيتحول الى مؤمن صادق.

و بالطبع لا تفلح التربية الا بإشراف المربي، و هذا هو هدف الإسلام من إعطاء حقوق معينه للمولى على العبد و من تلك الحقوق حق زواج الامه ممن يراه المولى صالحا.

و لكن من جهه اخرى يفرض قيودا على الزوج، و يهدد علاقته الزوجيه و بنائه الاسرى للخطر.

لذلك نصح الإسلام عدم الزواج من الإماء الا فى حاله الاضطرار و قال:

وَمَنْ لَمْ يَشَيْتَعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ لَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ تَصَوُّرُ أَنْ الْأَسِيرَةَ لَمْ تَصِبْ مِنْهُ أَيْمَانًا حَقِيقِيًّا، بَلْ أَيْمَانًا ظَاهِرًا بِسَبَبِ مَغْرِيَاتِ الْإِيمَانِ، وَ يَقُولُ الْقُرْآنُ لَيْسَ هَذَا التَّصَوُّرُ صَحِيحًا: إِذْ أَنْ اللَّهَ هُوَ الْعَالِمُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ.

و أما الناس فلو أرادوا ان يتعاملوا مع بعضهم بهذا المقياس، إذا لسرى الشك الى كل إنسان و لا يمكنهم ان يتعاونوا أبدا، انما علينا ان نلاحظ ظواهر الايمان، كما انه ليس من الصحيح الاعتقاد بأن الاسيره ذات عنصر أدنى من العنصر العربى، لأن الله خلق الناس جميعا من نفس واحده، و الناس بعضهم من بعض.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَ لَكِنَّ الزَّوْجَ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ بِإِذْنِ أَهْلِهَا بِاعْتِبَارِهَا عَبْدَهُ مَمْلُوكَةً لِمَوْلَاهَا، وَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا جَدِيدَةُ الْعَهْدِ بِالتَّقَالِيدِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَ لَرُبَّمَا كَانَتْ فِي بِلَادِهَا تَمَارِسُ

الفاحشه حسب تقاليدها، و يخشى ان يتخذها المفسدون سلعه للهوى، و اشاعه الفاحشه فى البلاد الاسلاميه مستغلين ظروفها المعيشيه، و عاداتها الخلقيه، و حداته عهدا بالقيم الاسلاميه، من هنا ركز الإسلام على هذه الحقيقه و قال:

فَمَا نَكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَ لَا مُتَّحِدَاتٍ أَخْدَانٍ يَحْذَرُ الْقُرْآنُ مِنْ تَسِيبِ الْإِسْرَاتِ وَ تَحْوِلُهُنَّ إِلَى بَنَاتِ هَوَى فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَ لَكِنَّهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى خَفَّفَ الْعِقَابَ عَنْهُنَّ لِمَّا فَعَلْنَ الْفَاحِشَةَ، لِأَنَّهِنَّ جَدِيدَاتُ عَهْدِ الْإِسْلَامِيِّ، وَ لظروفهن المعيشيه و الاجتماعيه الخاصه التى تساعد على الفاحشه، و قال الله:

فَإِذَا أَحْصَنَ فَبِإِذْنِ أَهْلِهَا فَفَاحِشَهُ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ وَ عَادَ الْقُرْآنُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الزَّوْجَ مِنَ الْإِسْرَةِ مَحْدُودٌ بِظَرْفِ الْإِضْطِرَارِ وَ قَالَ:

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

كيف ننظر الى التاريخ؟

[٢٦] هذه شرائع الله يبينها للناس لكي يفتحوا أعينهم، و يبصروا دربهم بوضوح، ذلك الدرب الذى مشى عليه السابقون الصالحون فبلغوا اهدافهم، و تنكب عنهم الفاسقون فسقطوا فى جهنم.

ان استخلاص تجارب التاريخ، و إعطاء رؤيه حياتيه منبثقه من حقائق التاريخ هو من أهم ما يقوم به القرآن الذى فيه خبر من قبلنا كما يقول الرسول

الأكرم محمد صلى الله عليه وآله .

و على المؤمن ان يتسلح بمنظار القرآن، ثم ينظر الى احداث التاريخ ليعرف فلسفه أحكام الدين، حتى يربى نفسه على الأعمال الصالحة، و يتوب الى الله من سيئات اعماله.

□
□
□
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [٢٧] هذا ما يريد الله، أما ما يريد الغاوون الذين يتبعون أهواءهم، و يسترسلون مع شهواتهم دون حكمه أو علم، ولا ينظرون الى تجارب الأولين ليتخذوا منها العبره و الموعظه، فإنهم يريدون ان يفرط الإنسان تفریطا ذات اليمين أو اليسار، و يذهب بعيدا فى انحرافه عن جاده الحق المستقيمه.

□
□
□
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا

مميزات التشريع الاسلامى:

[٢٨] و إذا مال الإنسان الميل العظيم، فانه سوف يحمل مآسى و ويلات أكبر من طاقاته، و الإنسان ضعيف لا يحتمل الصعاب.

□
□
□
اما منهج الله فهو يحافظ على استقامه الإنسان على الطريق السوى حتى لا يكلف أكثر من طاقته.

□
□
□
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا فى هذه الآيات الثلاث بين الله مميزات التشريع الاسلامى بتلخيص و هى:

ص: ٥٨

أ/انه تشريع واضح مبين.

ب/انه تشريع يعتمد على رصيد ضخم من التجربه التاريخيه.

ج/انه يربى الإنسان و يخلصه من سلبياته.

د/انه متين و مستقيم و بعيد عن الانحرافات.

ه/انه تشريع واقعى يلاحظ طبيعه الإنسان الضعيف.

ص: ٥٩

اشاره

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَاْكُلُوْا اَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوْا اَنْفُسَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا (٢٩) وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدُوًّا وَّ ظُلْمًا فَسَوْفَ نُوْضِلُهٗ نَارًا وَّ كَانَ ذٰلِكَ عَلٰى اللّٰهِ يَسِيْرًا (٣٠) اِنْ تَحْتَبْتُمْ كَجَآئِزٍ مَّا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرُوْا عَنْكُمْ سِيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلُكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيْمًا (٣١) وَ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهٖ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اِكْتَسَبُوْا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اِكْتَسَبْنَ وَ سِئَلُوْا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهٖ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا (٣٢) وَ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْاَقْرَبُوْنَ وَ الَّذِيْنَ عَقَدْتُمْ اٰيْمَانَكُمْ فَاتُوْهُم بِنَيْبِهِمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)

اللغة

٣٣[موالى]:أصل المولى من ولى الشيء يليه ولايه و هو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل.

هدى من الآيات:

الحلقه الاولى فى المجتمع الاسلامى هى الاسره التى تحدثت عنها الآيات السابقه، حيث بينت حقوقها و أنظمتها، أما الحلقه الثانيه فهى المرتبطه بسائر أبناء المجتمع الذين نظم القرآن علاقات بعضهم ببعض عبر كثير من سور القرآن، و لكن أشار الى بعضها هنا لتكتمل الصوره، و لكى لا يقتصر الحديث عن الحقوق فى اطار الاسره الصغيره، بل تتعدها الى الاسره الكبرى و هى المجتمع.

و الحقوق الاجتماعيه هى:

حرمة المال، حرمة الدم، و الوفاء بالعقود، و تكافؤ الفرض، و احترام الميزات...

و تحدث القرآن أولاً عن حرمة المال (احترام الملكيه الخاصه) ثم عن الدم، لان الاعتداء على المال هو السبب المباشر للاعتداء على النفس غالباً.

ص: ٦٢

و بين القرآن ان المحرمات الاجتماعيه هي أهم و أكبر ذنب من المحرمات الاخرى،و أن الذى يتجنبها يكفر الله عنه سيئاته الاخرى،ذلك لان الالتزام بهذا الجانب من الدين أصعب كثيرا من الالتزام بالجوانب الشخصيه،و لذلك تجد الكثير من الناس يفرغون الدين من محتوياته الاجتماعيه تماما،فاختص التحذير من قبل الله بهم...

و فى الآيه الاخيرہ ذکرنا الله بالإرث،باعتباره سببا من أسباب التفاضل فى المجتمع المسلم...

بينات من الآيات:

حرمة المال و النفس:

[٢٩]الإنسان محترم،و يحترم كل ما يمت بصله اليه،و المال جزء من جهد الإنسان،و بالتالى جزء من الإنسان و الاعتداء عليه حرام لأنه اعتداء على كرامته،و من يعتد على كرامه الناس فلا بد ان يستعد لاعتداء الآخرين عليه.

لذلك تجد التعبير القرآنى يوجه الخطاب للجميع و يأمرهم باحترام حقوق بعضهم و يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ تَحْكَمْ قِيمَةَ الاحترام المالى أوساط المجتمع،فان كل فرد سوف يعانى من الاعتداء فى يوم من الأيام،إذن لنعد أكل الأموال بالطرق الباطله...

و الطرق الباطله هي كل ما ترفضه قيم الدين،و لا تكون خاضعه للتجاره المتراضى عليها،فأكل الأموال أما بالقمار أو بيع الخمر و المخدرات،أو بالاحتيال

و السرقة و النهب باطل و حرام، و الاستثناء الوحيد هو التجاره بتراض و تعنى أمرين:

الاول: أن تكون تجاره، أى تدويرا للمال بالطرق المشروعه (البيع، الايجار، الرهن) فلا يجوز أكل الأموال غصبا أو احتيالا.

الثانى: أن تكون هذه التجاره بعيده عن الإكراه، و الجبر، أو الغش و الخداع، لان ذلك يفقد شرط التراضى....

و هذه القاعده توضح ان كل العقود التجاريه التى يتراضى عليها الطرفان صحيحه حسب الرؤيه الاسلاميه، إلا إذا خالفت شرطا أكيدا من الشروط المبينه فى الدين (كالتجاره بالحرام) مما يعطى التشريع الاسلامى مرونة كافيه لمواكبه تطور الحاجات الاجتماعيه.

إِلَّا - أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَيْنَ تَرَاضٍ مِنْكُمْ و بعد المال يأتى دور النفس، التى تبقى مصونه إذا حافظنا على الحقوق المالىه المتبادله، فالغنى الذى يحافظ على حقوق الفقراء لا تتعرض حياته للخطر لأنه لا يدع سببا لثوره الفقير و تمرده.

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ان الإنسان لا- يصل الى درك الاعتداء على الأنفس إلا- إذا هبط اليه شيئا فشيئا بسبب الاعتداء على الأموال، حيث يخلق فى ذاته الكراهيه و القلق و حب الجريمه، و كثيرا ما ينساق الى جريمه الاعتداء على النفس لتعبيد الطريق أمام اعتدائه على المال.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا فحرم عليكم الاعتداء على المال و النفس ليرحمكم، و ينجيكم من عذاب بعضهم.

[٣٠] و من يعتدى على حقوق الناس (أموالهم و أنفسهم) اعتداء مع سبق الإصرار، و يقوم فعلا فى اغتصاب حقوق الآخرين، فان الله يعذبه عذابا أليما...

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَ ظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

اجتناب الظلم غفران الذنب:

[٣١] إن الظلم الاجتماعى أشد الظلم، و ان اجتناب هذا الظلم يشفع للإنسان فى سائر سيئاته، فمن لا يصلى و لكنه لا يعتدى على الناس فى أموالهم و أنفسهم قد يشفع له التزامه بحقوق الناس فى غفران ذنبه، لان الهدف الأسمى من الصلاه زياده الايمان و احترام حقوق الناس، أما من يصلى و يأكل أموال الناس أو يقتلهم فان صلاته لن تنفعه و لن تشفع له..

ان عمل الإنسان الصالح يشفع له فى عمله السىء، و لكن بشرط أن يكون العمل الصالح أكبر من السيئه، قال الله تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ).

إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ مِثْلَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ، وَ ظَلَمِ النَّاسِ، وَ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُحْتَرَمَةِ وَ...و...إِلْخ...

نُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

أى نسترها. بعملكم الصالح، حتى لا تحاسبوا عليها تماما كما يكفر الفلاح البذر في الأرض و يجعلها تحت التراب....

وَ نُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ذَلِكَ الْمُدْخِلُ الْكَرِيمُ هُوَ الْفَلَّاحُ فِي الدُّنْيَا، وَالسَّعَادَةُ فِي الْآخِرَةِ، ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَسِيْطُرُ عَلَى أَهْوَاءِهِ فِي الذُّنُوبِ الصَّغِيرَةِ يُوَفِّقُهُ اللهُ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى ذَاتِهِ فِي الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ فَتَكُونُ حَيَاتُهُ كَرِيمَةً، وَالْحَيَاةُ الْكَرِيمَةُ هِيَ الَّتِي تَتَوَفَّرُ فِيهَا الْحَاجَاتُ الْجَسَدِيَّةُ وَالنَّفْسِيَّةُ مَعًا، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ سَوْفَ تَسَاعِدُ صَاحِبَهَا عَلَى بُلُوغِ الْجَنَّةِ.

و المدخل: الباب الذي يدخل الله عباده منه.

لا تحسد الآخرين:

[٣٢] من عوامل الشقاء البشري الحسد، وهو صفة نفسية نابعة من قصر الرؤية و ضيق الصدر، حيث يزعم الإنسان ان نعم الله محدوده، و ان فرص الحياه قد انتهت...

و لذلك فهو يتمنى لو يفقد الآخرون النعم ليحصل هو عليها، بينما المفروض أن يفكر في الحصول عليها كما حصل أولئك عليها بالطرق المشروعه...

و بالطبع يسبب الحسد عقدا نفسية مؤلمه تنعكس على السلوك فاذا بصاحبها يحاول مع الآخرين من التقدم و الاستمتاع بالحياه.

ان التاجر المحتكر، و السلطان الديكتاتور، و الرئيس المستبد، و العالم العنيد،

و الفقير الكسول الذى لا يفتر عن اجترار الآهات، انهم جميعا حساد يريدون استلاب ما فى أيدي الناس.

و يضع الله لهؤلاء علاجا نفسيا عبر النقاط التاليه:

إن الله هو الذى فضل الناس بعضهم على بعض، و الله عادل لا يظلم و لا يسأل عما يفعل.

ان الله لم يفضل أحدا إلا بما اكتسبه بجهد، سواء كان رجلا أو امرأه، و أنت إذا أجهدت حصلت على ذلك الفضل مثله.

فبدلا من تمنى ما عند الناس لماذا لا تمنى ما عند الله، و تتحرك أنت أيضا كما تحرك أولئك الذين فضلهم الله و تجهد نفسك، و الله يعلم جهدك و يعطيك مثلما أعطاهم.

و لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن و سئلا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليمًا و إذا استطاع المجتمع أن ينطلق من قاعده تكافؤ الفرص، و الاعتقاد، بأن كل من يعمل يحصل على نصيبه فان تناحره و تباغضه يتحول الى تنافس بناء يخدم الجميع.

الإرث عامل تفاضلى:

[٣٣] و قد لا يكون الفرد قد اكتسب شيئا بنفسه، و لكنه ورث والده الذى حصل على المال بجهد، و قد فضل الله الابن على الآخرين فى الرزق كرامه لأبيه، و تشجيعا له و للآخرين أن يعملوا و ينشطوا فى الانتاج.

من هنا عاد القرآن و ذكر الإرث باعتباره من عوامل التفاضل الاجتماعى و قال:

وَ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَكُمْ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ أَى أورثنا كل إنسان مواليه الذين هم اولى الناس به، و تشجيعا له على العمل و بذلك أعطينا تركه الوالدين و الأقربين لألصق الناس بهم.

وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصَبِيهِمْ و هذه الفئه هى التى تمت للعائلة بصله عن طريق عقد التحالف، فأمر القرآن أن يعطى لهم نصيب من الإرث حسب التعاقد. و تسمى هذه الفئه ب(ضامن الجريه) و هى ترث و تورث حسب الاتفاق.

و فى الوطن الاسلامى الكبير حيث ينفصل الكثير من الناس عن مواطنهم الاصليه، فيحتاجون الى اسره ينتمون إليها و يتبادلون معها الحب و التعاون فى شؤون الحياه، هنالك شرع الإسلام قانون التحالف، و تحدث هنا عن جانبه الاقتصادى حيث يصبح الفرد كواحد من أبناء الاسره يرثها و يورثها و يضاعف هذا القانون من قوه التحالف و التماسك، و يجعل للأفراد مأوى اجتماعى يلجأون اليه فى مواجهه صعوبات الحياه.

و لكن بما ان بعض الناس يمكن أن يخونوا تحالفهم مع هؤلاء الضعفاء لذلك حذر القرآن من ذلك و قال:

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا فَلَا تَفْكُرُوا فِي نَقْضِ الْمِيثَاقِ، و نكث الحلف.

اشاره

الرجال فوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً (٣٤) وإن حفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفى الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً (٣٥) وأعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً (٣٦) الذين يبخسون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً (٣٧) والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً (٣٨) وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً (٣٩) إن الله لا يظلم مثقال ذره وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً (٤٠) فكيف إذا جنتا من كل أمه بشهيد وجنتا بك على هؤلاء شهيداً (٤١) يؤمّد يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً (٤٢)

اللغة

٣٤ [نشوزهن]:النشوز الترفع على الزوج.

[اهجروهن]:اتركوهن.

[المضاجع]:جمع مضجع وهو محل النوم و فراشه و أصل الضجوع الاستلقاء.

٣٥ [شقاق]:خلاف.

٣٦]الجار ذى القربى]:القريب.

]الجار الجنب]:بالغريب.

]مختالا]:أصل المختال من التخييل و هو التصور لأنه يتخييل بحاله مرح البطر و المختال الصلف التياه.

ص:٧٠

هدى من الآيات:

فى هذا الدرر يبين القرآن الحقوق و الواجبات الاجتماعيه، ابتداء من الحقوق المتبادلـه بين الزوجين، و مرورا بحق الأقارب و المحرومين، و انتهاء بحق المجتمع فى ثروه الأغنياء.

و فى الدرر القادم يتابع القرآن الحديث عن حق العلم و واجب رجال العلم عموما، و رجال العلم الدينى خصوصا، تجاه العلم و تجاه المجتمع.

و خلال حديثه عن حقوق هؤلاء بـوصينا القرآن بضروره تحديدها فى اطار القيم الاسلاميه، حتى لا يتحول أى واحد منهم الى طاغوت اجتماعى يطاع من دون الله.

للزوج حقوقه و لكن فى اطار طاعه الله، و طاعه رسوله، و اولى الأمر ممن أمر الله بطاعتهم، و إذا أراد الزوج تجاوز هذا الإطار، فعلى الزوجه أن ترد عليه و تطرده بالقوه، و إلا فانها تصبح مشرکه و عابده للطاغوت، لأن كل من أطيع من دون الله فهو طاغوت.

و كذلك للوالدين حقوقهم بشرط الآ- يتبعهم المسلم فى كل ما زعموه، أو فعلوا من أفكار أو أعمال، و الآ فان الإحسان الى الوالدين يتحول الى عباده ممقوته لهما و شرك واضح.

و هكذا رجال المال لهم احترامهم، و لكن إذا بخلوا بأموالهم فهم أسوأ الناس، و على المجتمع ان يسقطهم من عينه، حتى لا يصبح هؤلاء طبقه تستعبد الناس طغيانا و ظلما.

و هكذا رجال العلم و الدين لهم حقوقهم، و لكن دون أن يصبح هؤلاء طبقه طاغية تعبد من دون الله. □

بينات من الآيات:

لماذا قيمومه الرجل

؟ [٣٤] لا بد للمجتمع من التنظيم، و لا بد للتنظيم من قيم تحكمه، و تحد من طغيانه و تجاوزه، و يبدأ التنظيم فى الاسره و بالذات فى العلاقة بين الزوج و الزوجه من يقود الآخر؟ ان اللاقياده فوضى يرفضها الإسلام، كما ترفضها الطبيعه، حيث أن الله خلق الذكر بحيث جبل على حب القياده، بينما خلق الأنثى و فطرها على الانسجام و الطاعه.

و لذلك حدثت تجاوزات من قبل الذكر فى حقوق الأنثى، و جاءت رسالات السماء لتحده من هذه التجاوزات، و لتضع حدودا حاسمه لقياده الذكر للأنثى.

من هنا نستطيع أن نؤكد أن إعطاء الإسلام حق القياده للرجل داخل

الاسره، ليس سوى تقرير للوضع القائم فطريا، فهو لم يبدع حقيقه بل أقرّبها تمهيدا لتنظيم القياده، و تحديد اطار مناسب لها يمنع الزوج من تجاوزه.

القرآن يسمي النظام ب(القيام)، و يسمي المنظم ب(القيم) و(القائم بالأمر)، و القائم يبالح فيه و يقال قوام(مثل ضارب،ضراب،صائم،صوام، و هكذا) و قد استخدم القرآن هنا كلمه قوام للتعبير عن تحمل الرجال لتنظيم شؤون نساءهم بشكل مستمر، و يحمل هذا اللفظ معنى المسؤوليه التامه عن شؤونهم.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَ يَجِبُ الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ بِسَبَبِينَ:

(١)بالجهد الذى يبذله هؤلاء،ذلك الجهد الذى يجعل بعض الرجال أفضل من بعض فى المراتب الاجتماعيه،فبعضهم يصبح غنيا،و البعض فقيرا، و بعضهم يصبح مفكرا،و البعض عاملا...و هكذا و كذلك الرجال أكثر جهدا و أصعب عملا من النساء.و لذلك تحملوا المسؤوليه دون النساء.

و لأننا نقبل تفاضل الرجال فيما بينهم بسبب الجهد الذى يبذله البعض دون الآخر، فلا بد أن نقبل أفضليه الرجال على النساء لذات السبب.

(٢)بالعطاء فعلى الرجال أن ينفقوا على النساء،بل أن طبيعه الرجال و فطرتهم الصافيه تدفعهم الى الإنفاق على النساء،و قد بين التشريع السماوى هذه الطبيعه،و فرض على الرجال الإنفاق على النساء.

و بكلمه:المسؤول(و القائد و المنظم)يجب أن يكون الأ-كثر جهدا و الأكثر إنفاقا من النساء،و لذلك فهم المسؤولون الطبيعون عن الاسره،و سوف يفقدون هذه المسؤوليه بقدر توانيهم عن العمل أو العطاء.

و إذا كانت القيادة للرجال، فعلى النساء الطاعة، فالمرأة الصالحة هي الأكثر طاعة لله و لزوجها، و الأكثر حفظا لفرجها الذى اختص به الزوج، و لقد زود الله المرأة بالحياء الفطرى و العلاقه الرقيقه بالزوج، و أمرها بأن تحفظ نفسها عن التعلق بغير الزوج و قال:

فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ: أى تحفظ نفسها عن الزنا فى غياب الزوج.

اما إذا تجاوزت المرأة حدها، و لم تطع الزوج فى حقوقه، بل بدأت تنظر فيما وراء حصن الزوجيه، هنالك يعطى الإسلام الحق للزوج بأن يفرض النظام على مملكته داخل البيت بالقوه المتدرجه، فيبدأ بالنصيحه، ثم يتعد عنها فى الفراش ليشعرها بالوحده، ثم يضربها ضربا خفيفا (و قد جاء فى الحديث يضربها بالمسواك) كل ذلك ليعبر عن انزعاجه و غضبه من تصرفاتها. و يبدو أن المرأة العاديه تستجيب لهذه العقوبات، و عليه فلا بد للزوج أن يقتصر عليها، و لا يستخدم العقوبات فى فرض الظلم فى البيت، بل فقط فى فرض الحقوق، و ليعلم الزوج أن الله أكبر منه، و أنه لو ظلم الزوجه فان الله سوف ينتصر لها.

وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنَّ أَطْعَمَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا

متى تبدأ مسئوليه المجتمع

[٣٥] متى تنتهى حدود القيادة التى منحت للزوج، و تبدأ مسئوليه المجتمع حين يكون الخلاف بينهما حادا و جذريا، فلم يكن الخلاف فى بضعه حقوق تقصر فيها الزوجه، بل تهم متبادلله و حقوق ضاعه، هنا لا يجوز للزوج أن

يفرض وجهه نظره على البيت، و يضع حقوق الزوجه.

بل لا بد أن يتدخل المجتمع قبل أن ينتهى الأمر الى الطلاق، و ذلك بأن يبعث أهل الزوج و أهل الزوجه حكمين يتفاوضان فى الأمر، فاذا توصلا الى حل فرضاه على الزوجين، و على هذين الحكمين أن يخلصا بينهما حتى يجمع الله بهما بين الزوجين مره أخرى، و إخلاص النيه هو إرادته الإصلاح حقيقه.

وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا

كيف تكون علاقاتك الاجتماعيه

؟ [٣٦] المجتمع الاسلامى يبنى على قاعده التوحيد و التحرر، فهو لا- يؤمن الا- بالله، و لا- يسلم الا لمنهجه، و لا يعترف بأيه قوه ضاغطه أو عقبه فى طريق تطبيق شرائع الله.

عباده الله هى التسليم له، و تفجير كل الطاقات و توجيهها فى قنوات منهجه.

و الشرك بالله هو الخضوع لأيه قياده أخرى أو أيه قوه اجتماعيه من دون الله.

فالتسليم للوالدين بصفه مطلقه و اتباعهما بلا قيد أو شرط، شرك و عبوديه لغير الله، و عقبه فى طريق تقدم الانسانيه و تطورها.

و التسليم للاسره مثل التسليم للوالدين شرك و عبوديه، و التسليم للأغنياء شرك و عبوديه و عقبه، و التسليم لرجال الكهنوت، أو رجال العلم شرك و عبوديه و عقبه.

و المجتمع المسلم متحرر من كل ذلك التسليم، و مسلم وجهه لله الواحد

القهار، و يردد مع إبراهيم-الأب الروحي لكل المجتمعات التوحيدية الخالصة- يردد: (إِنَّ صِيَغَاتِي وَنُسُكِي وَمَحَلِّيَّ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

و في هذه الآيات والآيات التي تأتي بين القرآن نوع العلاقة التي يجب أن تحكم علاقتك بالناس، ابتداء من أقاربك و انتهاء برجال الدين، و مرورا بالمحرومين و الأغنياء.

و يبدأ القرآن حديثه بالنهي عن علاقه الشرك، التي تعنى التسليم المطلق، و الأمر-بديلا عنه- بعلاقه الإحسان فما هي هذه العلاقة؟ انها علاقه العطاء من اليد العليا، لا العطاء و أنت صاغر مكره، و الفارق بينهما: أنك في حالة العطاء باليد العليا لم تفقد شخصيتك، و لم تتنازل عن عقلك و أراذك و استقلالك و حریتك، أما في الصورة الثانية فانك قد هبطت الى درك العبودية.

ان الذين يطيعون آباءهم بعله انهم آباؤهم سواء كان هؤلاء مهتدين أو ضالين لا يعقلون شيئا، و هؤلاء ينطلقون في عبادتهم من الضعف و الهزيمه، و بالتالي يفقدون صفه الإنسان، و يتحولون الى آله صماء تتحرك بلا اراده.

أما الذين يحسنون لآبائهم دون أن يطيعوهم طاعه عمياء، و ينفقون عليهم دون ان يتنازلوا عن حریتهم، فهم ينطلقون من موقع القوة، و يحققون أصالتهم، و يثبتون حریتهم و استقلالهم بذلك.

من هنا جاءت الكلمه الاولى في هذه الآيه تقارن بين العباده و الإحسان فقالت:

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

فالعباده لله و الطاعه له، و للوالدين و سائر أبناء المجتمع الإحسان.

وَ بِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ ذُو الْقُرْبَىٰ هُم رَحْمَكُمُ الَّذِينَ تَشْتَرِكُ مَعَهُمْ فِي الْأَسْرَةِ أَوْ الْعَشِيرَةِ الْوَاحِدَةِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَحْسِنَ إِلَيْهِمْ سِوَا مَا كَانُوا أَغْنِيَاءَ أَوْ فَقَرَاءَ وَ لَكِنْ دُونَ أَنْ تَعْبُدَهُمْ، وَ هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِكُلِّ مَنْ تَرْتَبُّ بِمَصِيرِهِمْ دُونَ اسْتِقْلَالِ فِكْرِهِ لِأَنَّهُ جَاهِلِيَّةٌ وَ شَرِكٌ، وَ دُونَ أَنْ تَخَالَفَ النِّزَامَ الْإِسْلَامِيَّ فِي تَأْيِيدِكَ لِلْأَقْرَابِ، وَ لَا أَنْ تَنْصَرِفَ ضِدَّ الْمَظْلُومِينَ، وَ تَجَادَلَ عَنْهُمْ فِي الْبَاطِلِ، كَمَا يَفْعَلُ الْجَاهِلِيُّونَ الْجَدِيدُ الْيَوْمَ فِي مَجْتَمَعَاتِنَا الْفَاسِدَةِ.

ان النظام العشائري مطلوب في المجتمع الاسلامي، بشرط أن يكون اطارا للتعاون البناء، و التفاعل الفكري و الاجتماعي، دون ان يكون وسيله للعصبيه، و سحن حقوق الناس، و تجاوز قيم الرساله.

و بعد الأقارب يأتي اليتيم، و على أبناء المجتمع ألا يحسبوا اليتيم فقيرا أو مسكينا يحتاج الى دعمهم المادي فحسب، بل عليهم أن يغدقوا عليه من حنانهم كما لو كان قريبا من أقاربهم، و لذلك فضله القرآن عن المساكين.

و في المرحله الثالثه يأتي المسكين و هو الذي أسكنه الفقر، و يجب أن تكون علاقتك بالمسكين هي علاقتك بالوالدين العطاء دون خضوع أو تسليم، كما هي ذاتها علاقتك مع الأغنياء بلا فرق.

اما المرحله الرابعه فيأتي دور الجار القريب، و الجار الملاصق، و إذا كانت العلاقه بين الجيران (و الذين كان تربطهم القرابه قديما في الغالب) علاقه الإحسان، سهل التعاون بينهم، و تحولوا الى قوه بناءه داخل المجتمع المسلم.

ذلك ان المجتمع المسلم يستفيد من كل العلاقات الطبيعيه كالقرايه و الجوار و غيرهما من أجل تأصيل جذور المجتمع في أنفس الأفراد،و تحويلهم الى كتله صخرية تقاوم الانحرافات و لكن بعد أن يهدبها تهديبا كاملا.

وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْجَارِ الْجُنْبِ وَ الْجَارِ الْجُنْبِ:أى الملاصق.

ثم تأتي مرحله الزماله سواء كانت فى الطريق،أو فى الدراسه،أو فى الشغل، انها إطار جيد للتعاون البناء،بيد أن المشكله هى حب الذات و البخل و الشح النفسى،مما يشكل عقبه فى طريق التعاون،و الإسلام يأمر بتصفيه هذه العقبه عن طريق الإحسان.

فانك حين تحسن الى صاحبك بالجنب(زملك).فانك سوف تكسبه و تكسب وده و تمهد الطريق لتعاون بناء.

وَ الصَّاحِبِ بِالْجُنْبِ وَ الْغَرِيبِ الَّذِى فَقَدَ مَالَهُ عَلَيْنَا أَنْ نَضِيفَهُ وَ نَعِينَهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى بَلَدِهِ،و مما ملكت أيدينا من أسراء الحرب علينا أن نحسن إليهم،فلا نتعالى فوقهم بالباطل لمجرد أننا أرفع درجه منهم فى المجتمع.

وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا

البخل مرض الأغنياء

[٣٧]الجبل الراسى ينحدر منه السيل بقوه و اندفاع،و لكن دون أن تتأثر صخوره الصلبه بأمواج السيل أو بهديره،كذلك المؤمن ينحدر منه الإحسان الى

كل جوانب الحياه،و لكن دون أن يسبب الإحسان في ضعفه أو استسلامه.

المؤمن لا- يتعالى على الفقراء،و في ذات الوقت لا- يسمح أن يتعالى عليه الأغنياء،و لا يخضع لرجال العلم و لكنه لا يمنع نفسه فضلهم،بل يحسن إليهم كما يحسن الى الفقراء دون فرق.

اما الأغنياء الذين يريدون أن يفرضوا عليه سلطانهم،فالمؤمن يثور عليهم و لا يخضع أبدا لما لهم،و لا يخشى عقابهم.

و لكن بما ان أغلب الأغنياء يفرضون سلطانهم على الضعفاء بشكل أو آخر، فان القرآن بدأ حديثه عن سلبات هذه الطبقة الاسقاطها في أنظار الناس،الأ إذا التزموا بشروط الطاعة لله و الرسول و القيادة الاسلاميه،و الإنفاق في سبيل الله بإخلاص تام،و قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ الْمُخْتَالُ:هو المغرور بثروته أو أى ميزه اخرى له،و الفخور هو المتظاهر بهذه الثروه و المتكبر بها على الناس،و هذه الصفه النفسيه ناشئه من الشعور بالضعف و النقص،و محاوله جبران هذا الشعور بالاختيال و الفخر و التكبر.

ان الإنسان يختال بنعم الله عليه،و يتناول على الناس بها،و الطبقة الغنيه هي الأ-كثر تعرضا لخطر هذه الصفه.أما الممارسات السلوكيه التى تفرزها هذه الصفه السيئه فهى البخل،لأن المختال بماله يخشى أن ينفلت المال من يديه فيفقد شخصيته،و لذلك يحرص على المال حرصه على حياته و شخصيته و كرامته، و يعتبر بالمال القيمه الوحيده فى حياته.

و لكن البخل المختال بماله سرعان ما يكتشف ان الذين ينفقون أموالهم

يكتسبون شهره واسعه و علوا عند الناس، فيبدأ ينهى الناس عن الإنفاق حتى يصبحوا مثله و يجعل رسالته فى الحياه الصد عن سبيل الإنفاق.

و حين يشتد ضغط الناس عليه بضروره الإنفاق، تراه يكتم عن الناس ثرواته و يتظاهر بالفقر، و فى بعض الحالات يكتم المختال ثروته خوفا عليها، و حفاظا لها عن أعين المنافسين.

و يقع البخيل فيما هرب منه، أ و ليس هرب من الفقر و ما فيه من صفه اجتماعيه و قيود ماديته، فها هو عاد فجلب الى ذاته كراهيه الناس، كما قيد نفسه عن الإنفاق، و كتم نعم الله عليه و لم ينتفع بها، أو ليس هذا فقرا أشد ألما من عدم الفقراء و مسكنه الصعاليك، من هنا جاء فى الحديث: (البخل فقر حاضر) و ينهى القرآن الآيه بهذه الكلمه:

وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا لِلأَيحاء بأن كتمان نعم الله، و البخل بها، و الاختيال و الفخر، انما هى كفر بالله و مما آتاه الله للإنسان من نعم الحياه، و بالنسبه للمختال يهىء له الله عذابا مهينا، جزاء تطاوله على الناس و تكبره عليهم.

المرائى شيطان ناطق

[٣٨] بلى طبقه الأغنياء تنفق المال و لكن لمن؟ و لماذا؟ انها تنفق المال لأولئك المتملقين الذين يكيلون لهم الثناء الباطل بغير حساب، و يزينون للناس صورتهم القبيحه، و هم يقصدون من وراء ذلك امتصاص المزيد من جهد الناس و حقوقهم.

و هذه الطبقة المتملقه يسميها القرآن هنا شيطانا لأنها تخدع صاحبها و تضله عن الصراط و تزين له اعماله السيئه و يقول:

وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا [٣٩] و لتساءل من هؤلاء؟ و لماذا يكفرون بالله و لا ينفقون أموالهم الآ رياء؟ أو ليست هذه الأموال نعم الله عليهم، أو لا ينبغي لهم شكر الله على نعمه بالايمان به و الإنفاق في سبيله؟ و ما الذى يخشى هؤلاء من الايمان و الإنفاق؟ هل يخشون أن يسلب الله نعمه عنهم لو أنفقوها في سبيله؟ أم يخشون ان لا- يجازيهم عليها؟ و ما ذا عليهم لو آمنوا بالله و اليوم الآخر و أنفقوا مما رزقهم الله و كان الله بهم عليمًا [٤٠] إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَهُوَ يَجَازِي النَّاسَ بِالضَّبَطِ، و إذا كفر شخص بقدر وزن ذره صغيره، فانه يجازيه بقدر كفره.

اما إذا أحسن بهذا القدر فهو ليس يجازيه فحسب، بل و يزيد له من رحمته.

وَ إِنَّ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا يُضَاعِفْهَا فِي الدُّنْيَا، و يجزى عليها بثواب عظيم في الآخرة.

من هو القائد

؟ [٤١] طبقه الأغنياء تتعالى على الناس بالباطل، و تتعالى على القيادة

ص: ٨٢

الشرعيه، و تحاول التمرد عليها خصوصا في إعطاء حقوقها من الضرائب الشرعيه.

□

من هنا جاء ذكر الرسول صلى الله عليه و آله باعتباره القياده الشرعيه، و بين الله ان الرسول صلى الله عليه و آله هو القائد الحقيقى للناس، فاذا لم يطعه شخص في الدنيا فانه في الآخره شهيد عليه، و هنالك يتمنى هذا الشخص انه كان تحت التراب و لم يعص الله، و يكتنم نعم الله عليه و يقول كذبا أن ليس لله عليه حقوق كما تفعل طبقه الأغنياء.

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [٤٢] يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ تعبير رائع للدلاله على أنهم يودون لو كانوا تحت التراب بحيث لا يبقى لهم أثر ظاهر عليه.

ص: ٨٣

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسِ بِحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا (٤٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَعُوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ إِسْمَعِ عَنِّي مَسْمُوعٌ وَ رَاعِنَا لِيَّا بِالنِّسْتِهِمْ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ إِسْمَعِ وَ أَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وَجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ لِمَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَ لَا يَظْلُمُونَ فِتْيَلًا (٤٩) أَنْظُرْ كَيْفَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ كَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (٥٠)

اللغة

٤٣[لا مستم]:واقعتم النساء.

[صعيدا]:وجه الأرض.

٤٦[ليا]:اللّي الفتل ويا من لوى يلوى إذا حرف و أمال ولى اللسان تحريكه لتحريف الكلام.

٤٧]نطمس]:الطمس عفو الأثر، وطمس الشيء إذهاب أثره.

٤٨]افترى]:اخترق و كذب.

٤٩]يزكون]:التركيبه التطهير و التنزيه.

[فتيلا]:الفتيل هو ما فى شق النوات من خيط ضعيف.

ص: ٨٥

هدى من الآيات:

الآيه الاولى تتناول التطهر و تشير هذا السؤال:لماذا هنا بالذات بين القرآن موضوع الطهاره الجسديه؟ ألم يكن من الأولى أن تتحدث عنها ضمن آيات الصلاه مثلا؟ الجواب بالاضافه الى طبيعه التفاعل بين الطهاره الجسديه(موضوع الآيه) و الطهاره الروحيه(موضوع الآيات السابقه و اللاحقه)فان هناك جانبا اساسيا آخر يبينه لحن ألفاظ القرآن هو الجانب الاجتماعى من الطهاره،حيث يحتمل الإنسان مسئوليه النظافه رعايه لمشاعر الآخرين،فحين يدخل المسجد و يتواجه مع المجتمع فيه عليه أن يكون نظيفا من السكر و الجنابه،فحتى لو لم يستطع التطهر بالماء،فعليه أن يتطهر بالتراب ليرفع عن نفسه قذارات الجنابه أو الغائط.

و بعد الحديث عن هذه المسئوليه يتناول القرآن مسئوليه العلم،باعتباره أداه

فعاله لبناء المجتمع إذا استخدم بأمانه، أو هدمه لو خان صاحبه الامانه.

و علم الدين هو أبرز مظاهر العلم، و هؤلاء الذين يدعون علم الدين (و هم فى الواقع لا يعرفون منه الا قليلا) و يخونون امانه العلم فى أعناقهم من أجل مصالح عاجله و زهيده، هؤلاء يضلون الناس بدل أن يهدوهم، و يحزفون كلام الله، و ينافقون مع رسله، و عاقبه هؤلاء لعنه فى الدنيا و عذاب فى الآخرة، حيث تنحرف عنهم الجماهير فى الدنيا، و يحاسبهم الله فى الآخرة حساب المشركين.

و من صفه هؤلاء أنهم يزكون أنفسهم، و يجعلونها فوق الجميع، و يكذبون على الله، و يفضلون قياده الظلمه (الطواغيت) على قياده الله و رسله.

و من صفاتهم السيئه أنهم بخلاء، يستغلون مناصبهم فى بلاط الطواغيت، من أجل التسلط على الناس و تحديد حرياتهم، و ابتزازهم حسدا و بخلا.

هذه بعض الصفات التى يبتلى بها هؤلاء المثقفون الذين يخونون امانه الكتاب، فيحرفون فيه لقاء دراهم معدوده.

بينات من الآيات:

الاجتسال زكاه الجسد:

[٤٣] التوضؤ أو الاجتسال يهيئان المؤمن نفسيا و جسديا للدخول فى محراب العباده، فالذى يخوض فى معارك التجاره، أو صراع العمل الشاق، يحتاج الى بعض الوقت حتى ينقطع عن مؤثرات التجاره، و آثار العمل، و يستعد للقاء ربه.

و الوضوء أو الغسل يعطيه هذا الوقت، و يعزله مؤقتا من صخب الحياه، و يعطيه فرصه للتفكير الجاد فى مجمل أحداث الدنيا بوعى و تعقل.

و بالاضافه الى هذا الاعداد،فان الغسل و الوضوء يعطى المؤمن أناقته تساعد على تبادل الحب مع إخوانه،و التعاون معهم على البر و التقوى.

مظهر الشخص الذى لا يزال النعاس يملأ عينيه،و الرائحة تتصاعد من حلقه، و تكسو وجهه آثار النوم و الكسل،إن هذا المظهر لا يساعد على التعاون و تبادل الحب بين المسلمين.

و كذلك الذى يحمل فى جسمه آثار المعاشرة الجنسيه،أو قذاره الحاجه الطبيعیه،انه مظهر كريه،و ان دل على شىء فانما يدل على اهانه الآخرين،و عدم القيام بواجب احترامهم.

من هنا بيّن القرآن فى مجال حديثه عن المسؤوليات الاجتماعيه،واجب الاغتسال و الوضوء أو التيمم و قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ [□] أَوْ عَابِرِي سَبِيلٍ [□] وَالصَّلَاةَ عَادَهُ تَكُونُ فِي الْمَسَاجِدِ وَ بِشَكْلِ جَمَاعِي،فالاقتراب منها اقتراب من الاخوه المؤمنين،و يدل على ذلك قوله بعد(إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ) أى عابري السبيل من خلال المساجد.

و السكر هنا قد يكون سكر النوم،أو سكر الخمر قبل أن تصبح حراما،اما بعد أن أصبحت محرمة فان اقتراب المخمور من مجامع المسلمين يعتبر أشد حرمة، لأنها اهانه لمقدسات الامه.

و يرتفع سكر النوم بالوضوء حيث يعود الى الفرد رشده و يصبح كلامه بوعى كامل،و يتجنب المسلمون النزاعات التافهه التى تنشأ بسبب النعاس و ابتداء

الكلمات الشاذة من بعضهم، أو التي تنشأ بسبب فقدان الوعي بالخمر، لذلك أكد القرآن على أن الوعي شرط مسبق لمن يريد أن يقرب الصلاة و قال:

حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ثم بين ضروره التطهر من الجنابه باعتبارها قذاره جسديه و نفسيه، ذلك أن التعامل مع المسلمين، أو مناجاه الله لا تكون مع جو المعاشره الجنسيه، بما فيها من انغماس فى الشهوه، و ابتعاد موقت عن الحياء الانسانى.

من هنا جاء الغسل ليكون تطهيرا للجسد من قذاره الجنابه، و اعدادا للروح للدخول فى مجالات انسانيه اخرى.

وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ان الجنب لا يدخل المسجد الا بصوره عابره، يدخل من باب ليخرج من باب آخر، كما لا يحضر تجمعات المسلمين الاخرى الا بشكل عابر.

و فى صورته تعذر الوضوء أو الغسل، على الفرد أن يستخدم التراب أداه لتطهير جسمه و اعداد نفسه، فان التراب طهور يكفى صاحبه عشر سنين إذا استمر عذره.

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا أَى توجها الى الأرض.

صَعِيدًا طَيِّبًا منطقه نظيفه من الأقدار.

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ

من ذلك الصعيد بعد أن تضربوا فيه أيديكم، و تمسحوا بها على الجبهه حتى الأنف، ثم على ظهر الكفين.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا يسهل عليكم أمر الدين، و يجعل لكم بدل الماء ترابا تطهرون به أنفسكم.

الضلاله تبيجه الخيانه:

[٤٤] هؤلاء فريق من الناس يخونون أمانه العلم فى أعناقهم، و يشترّون بعلمهم متاع الحياه الدنيا، و لكن هذا المتاع لا يأتيهم إلا مقرونا بالضلاله و الانحراف عن الصراط المستقيم، فرجل العلم الدينى الذى يسكت عن جرائم الظلمه لقاء سلامته، أو فى مقابل بضعه دراهم، لا بد أنه يبدأ فى تأييد مواقف الظلمه، و بالتالى يفقد قدرته على التمييز بين الحق و الباطل، بل و يصل الى حد الدعوه الى الباطل الذى يمثله الظلمه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَهَ وَ يُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ وَ قد عبّر القرآن عن هؤلاء المسمون بعلماء الدين بقوله (الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ) استخفافا بهم و بعقولهم، انهم أنصاف المثقفين و ليسوا علماء بالكامل.

اللّه نصير المؤمنين:

[٤٥] يتظاهر هؤلاء الرهبان و الأحبار و علماء الدين الخونه، بالصالح، و حب الناس، و طيبه القلب فى نصائحهم، بينما هم بمقياس اللّه خونه، و لا أمان لخائن، إنهم سكتوا عن جرائم الطغاه بحق أمتهم فكيف بالآخرين؟!

ان الإنسان المسلم ذكى، لا يأخذ الأشياء ببساطه و طيبه قلب ،بل بالتقييم الموضوعى وفق مقاييس الله الذى هو أعلم بالعدو و الصديق.

و يجب ألا نخشى من هؤلاء الدجالين المقنعين بقناع الدين، و لا نقول (قد) يكونون مقربين عند الله، بل علينا أن نتصل مباشرة بالله و بهداه فى تقييم الناس، و هو يكفينا شر هؤلاء.

وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا الْوَلِيُّ هُوَ الَّذِي يَلِي الْإِنْسَانَ فِي الْقُرْبِ، أَوْ يَلِي شُؤْنَهُ وَ يَقُومُ بِهَا، وَ قَدْ يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ صَدِيقٌ عَاجِزٌ وَ لَكِنَّ اللَّهَ وَلِيٌّ يَنْصُرُ عِبَادَهُ.

كيف تعرف العالم المزيف

؟ [٤٦] و إذا أردنا أن نعرف هذا الفريق من الناس، فما علينا إلا أن نلقى نظره على صفاتهم التى من أبرزها تحريف الكتاب، و تأويل آياته فى غير معانيها الصحيحة، فإذا أنزلت آية فى سلطان جائر حرّفوها حتى تنطبق على السلطان العادل، أو على الشعوب المطالبة بحقوقها. مثلاً: يحرفون كلمه الفتنة من معناها الحقيقى الذى يعنى الظلم الى معنى الثوره ضد الظلم، و بدلا من أن يسموا الحكام بالمفتنين و يصدروا بحقهم أحكام القرآن، تجدهم يؤلون ذلك فى الثوار فيسمونهم بأصحاب الفتنة.

هؤلاء منافقون، يميعون قرارات القيادة، و يبررون مواقفهم الجبانه ببعض التبريرات السخيفه التى لا تعود الى محصل.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمَعِ غَيْرَ مُسْمِعٍ

أى أنهم بعد الاعتراف بالعصيان يحاولون تبريره، و يطلبون الاستماع لهم، إلا أن أقوالهم لا تستحق السماع.

وَ رَاعِنَا لِيَا بِاللَّسِيَّتِيهِمْ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ ان كلامهم و اعتذارهم لا ينطلق من منطلق التوبه، بل من منطلق النفاق، و التميع للقرارات، و المخالفه لها، و بالتالى الطعن فى الدين و أصوله.

و كان الأفضل لمصلحه هؤلاء الشخصيه، و لاستقامه حياتهم العامه، أن يطيعوا الله اطاعه تامه، حتى إذا خدعتهم الدنيا عن الطاعه، تابوا الى الله و طالبوا بأمهالهم فتره من الوقت لكى يطيعوا الله فى المستقبل.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اسْمَعْ وَ انظُرْنَا أى طلبوا الاستماع الى أعتذارهم، و طالبوا بأمهالهم و انظارهم، حتى يطبقوا القرارات فى المستقبل.

لِكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَقْوَمَ أى أكثر نظما لحياتهم (مقتبس من القيام بمعنى ما يقوم به الشىء) و يبقى سؤال: لماذا خالف هؤلاء أوامر الله؟ الجواب: لأنهم يكفرون بالله فى واقع أمرهم، بالرغم من ايمانهم الظاهر، و الله يبعد الكفار عن رحابه.

وَ لَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

؟ [٤٧] والمصير الذى ينتظر هؤلاء الخونه من علماء الدين، أنهم يفقدون ثقه الجماهير بهم، و كأن وجوههم قد طمست معالمها، و أصبحت صفيحه ممسوخه لا تعرف، و يعودون الى حاله ما قبل العلم، و كأنهم لم يحصلوا على علم الدين أبدا.

و بالاضافه الى ذلك فإنهم ملعونون، ينزل عليهم صاعقه من قبل الله، كما فعل الله بالذين عصوه فى تعطيل يوم السبت، فتحولوا الى قرده و خنازير و هكذا يفعل الله بالخائنين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِنِزْلِهِ مُّصِدَقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

الشرك نهايه المطاف:

[٤٨] و النهايه المأساويه التى قد يصل إليها هؤلاء: هى الشرك بالله، و ذلك بالاستسلام للطواغيت.

و تمهيدا للحديث عن ذلك بين القرآن حقيقتين:

الاولى: ان الشرك افتراء عظيم على الله، و ان الله لن يغفره.

الثانيه: أن هؤلاء يزكون أنفسهم باستمرار، و يجعلونها مقياسا للحق و الباطل، و لذلك لا يقبلون الانتقاد، و لا هم يقيمون أنفسهم و يحاسبونها بدقه موضوعيه، و طبيعى فى هؤلاء أن تنتهى مسيرتهم الضاله الى الشرك.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

أى ان الله ذو المغفرة الواسعه،و مع ذلك لا يغفر للمشركين.

وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ الشَّرْكَ كَذِبٌ عَظِيمٌ، وَ لَكِنَّهُ فِي الْوَاقِعِ مِمَّارَسَهُ عَمَلِيَةً لِهَذَا الْكُذْبِ، وَ لَذَلِكَ فَهُوَ إِثْمٌ عَظِيمٌ، مِنْ هُنَا تَجِدُ الْقُرْآنَ قَدْ عَبَّرَ أَوَّلًا- بِكَلِمَةِ (افْتَرَى) (الدَّلَالَةُ) عَلَى الْجَانِبِ النَّفْسِيِّ وَ الْفِكْرِيِّ فِي الْكُذْبِ، ثُمَّ عَبَّرَ (إِثْمًا) لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْجَانِبِ الْعَمَلِيِّ مِنْهُ.

الله مقياس الحق:

[٤٩] وَ مِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ تَرْكِيهِ أَنْفُسِهِمْ، وَ جَعَلَهَا مِقْيَاسَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، بَيْنَمَا الصَّحِيحُ، أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانَ رَبَّهُ مِقْيَاسًا لَذَلِكَ، فَيُقِيمُ ذَاتَهُ حَسَبَ قِيَمِ اللَّهِ وَ أَمْرِهِ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَادِلٌ فِي تَقْيِيمِهِ لِلْبَشَرِ، وَ لَذَلِكَ يَجِبُ الْإِتِدْخَالَ فِي الْبَشَرِ ذَاتَهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ خَوْفًا مِنَ الْحَاقِّ الظُّلْمِ بِهِ.

وَ لَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَالًا أَى بِمَقْدَارِ الْخَيْطِ الْمَوْجُودِ فِي شِقِّ نَوَاهِ التَّمْرِ.

[٥٠] وَ تَرْكِيهِ الذَّاتِ هِيَ افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ، وَ ادْعَاءٌ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ قَدْ طَهَّرَ هَؤُلَاءِ مِنَ الذَّنُوبِ، وَ عَصَمَهُمْ مِنَ الزَّلَلِ.

وَ هَؤُلَاءِ الْخَوْنَةُ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ لَا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ هَذَا الْكُذْبِ، وَ هُوَ إِثْمٌ وَاضِحٌ

إذ يسبب في إفساد المقاييس و القيم، و تشويش الرؤيه، و دفع الناس الى الضلاله.

أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ كَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا أَنْ الْفَرِيهَ عَلَى اللَّهِ تَكْفَىٰ إِسْقَاطَ صَاحِبِهَا عَنِ الْاِعْتَبَارِ، وَ سَحَقَ شَخْصِيَّتَهُ
الاجتماعيه.

ص: ٩٥

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا
(٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ
يَحْسِبُونَ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ
بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)

هدى من الآيات:

لكى لا يتلاعب رجال الكهنوت بمقدرات الأمة بالاتفاق مع الانظمه الفاسده، سحب كتاب الله الثقة بهم بوجه مطلق، و حدد شروطا معينه (تدل عليها الآيات بصوره غير مباشره) إذا وجدت فى علماء الدين جاز للأمة إتباعهم، و الأوجب عليهم الثوره ضدهم دون ما وازع من الخوف أو الحياء.

و من تلك الشروط:

أولاً: محاربه الطغاه و الوقوف ضد ظلمهم للناس، أما إذا ارتمى علماء الدين فى أحضان الانظمه الفاسده، و آمنوا بها و زعموا أنها أهدى سبيلا من المعارضين لهم، المؤمنين بالله، فإنهم يسقطون من أى اعتبار، بل تلاحقهم لعنه الله و عذابه.

ثانياً: حب الخير للناس جميعاً، و طهاره القلب من الحسد، و التسليم للحق حتى و لو كان عند منافسيهم من العلماء، و حب الخير للناس. أما علماء السوء فهم بالعكس، إذا وصلوا الى أعتاب السلطات، ضاقت أنفسهم و حاولوا منع

السلطات من كل خير حسدا و ضعه و بخلا، و يتحاسدون بينهم، و يستعينون بالسلطات على بعضهم البعض، و لا يؤمنون بأن الله يقدر للعباد الرزق، و عليهم أن يجتهدوا بأنفسهم للحصول على فضل الله ذلك الفضل الذى أعطاه ربنا لآل إبراهيم فحسداهم البعض عليه، و أخذوا يصدون الناس عنه صدودا.

و جزء من يصد عن الهدى حسدا ان يذيقه الله عذاب نار أليمه، أما جزء من يحارب الحسد فى ذاته، و يسلم وجهه لله، و يؤمن برسله، و يعمل صالحا، فان جزاءه الجنات الطيبه.

بينات من الآيات:

ما هو معنى الجبت

؟ [٥١] الجبت هو: الشيطان الخفى الذى يحاول خداع الإنسان عن طريق تزيين الأعمال المنكره عنده، و الجبت كذلك هو: الأفكار الخبيثه التى ينطلق منها الشيطان فى إفساد ضمير البشر، و هى التبريرات و الاعذار التى يحتمى وراءها الكسالى و المتقاعسون عن تنفيذ أوامر الله، و هى الثقافه المتخلفه التى تعتمد على القدرية و الحتميه الكسوله، و التى تدعو صاحبها الى الترهل و اللامسؤوليه.

و بالتالى الجبت هو: العوامل الذاتيه التى تدعو الإنسان الفرد و المجتمع الى الخمول و الانحراف.

من هو الطاغوت

؟ الطاغوت هو: الرجل أو النظام المتسلط على الجماهير باسم الجبت، و بسبب الجبت، فالديكتاتور الأرعن الذى يستبد بمقدرات الامه، يجد فى ايمان الامه

بالجبت، و بالتالى فى تخلفها و كسلها و لا مسئوليتها ضمانا لاستمراره فى الظلم و العدوان.

و علماء الدين هم الذين يكفرون بالجبت، و يفكون عن الناس أغلال الخوف و الحتميه و الكسل و يرغبونهم فى التضحيه و النشاط، و هم الذين يقاومون الطاغوت، و يقودون ثوره الجماهير ضده.

صفات العالم المزيف:

ان علماء السوء هم الذين يبيعون أنفسهم للطاغوت، و يؤمنون بالجبت، و يضللون الجماهير، و يتخذون موقفا جبانا من الرجال العاملين ضد الجبت و الطاغوت، و ذلك لكى تستمر مراكزهم عند الطاغوت، و لهؤلاء العلماء اللعنه، و لهم العزله الجماهيريه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا

[٥٢] أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا هَؤُلَاءِ يريدون أن يجمعوا بين مراكزهم عند الناس و عند الطاغوت، و لكن الله ينسف مراكزهم عند الناس، و يفضحهم أمام الجماهير، و آتخذ لا يشتريهم الطاغوت بشيء، لان الطاغوت انما أرادهم لأنهم يخدعون الجماهير، و ها هى الجماهير تكشف ما وراء أقنعتهم الدنيئه من الزيف و الضلال، فيطردهم الطاغوت فلا يبقى لهم نصير لا فى الأرض و لا فى السماء.

[٥٣] بعض هؤلاء يبرر اقترابه من الطاغوت بأنه فى مصلحة الناس، و من أجل تمشيه حاجاتهم، و لكنهم يكذبون، فاذا وصلوا أعتاب الملك نسوا الناس،

و استأثروا بالخيرات لأنفسهم:

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا لَا يُؤْتُونَ شَيْئًا لِلنَّاسِ حَتَّى بِمِقْدَارٍ مَا يَوْجَدُ فِي الْحَفِيرِ الصَّغِيرِ الْمَوْجُودِ فِي
طرف نواه التمره.

[٥٤] ان هؤلاء حساد، يتقربون الى السلطات لدعم مركزهم فى مواجهه منافسيهم من العلماء الأكثر علما و شعبيه.

و السؤال هو: لماذا الحسد ما دام الله هو الذى فضل أولئك العلماء عليهم لما وجد فيهم من المثابره و النشاط و النيه الصالحه؟!
ان الأفضل لهم أن يعترفوا بفضل أولئك عليهم، و التسليم لهم لا الكفر بهم، و التقرب الى الأعداء.

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا وَ مَا دَامَ اللَّهُ هُوَ
الذى يؤتى كل خير، فلما ذا لا نتوسل به ليؤتينا الخيرات التى آتاها لغيرنا؟!

جزاء الايمان و الخيانه:

[٥٥] ان فضل الله كبير، و عطاءه واسع لا- يحد، و خير للإنسان أن يجتهد من أجل الوصول الى ذلك الفضل و العطاء بطريق
مستقيم، و أول شروطه الاعتراف بمن فضله الله، و الايمان بالأنبياء بغير تردد.

ص: ١٠٠

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۖ إِنَّهَا تَسْتَعْرُ وَ تَلْتَهُمْ عِلْمَاءُ السُّوءِ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْأَنْبِيَاءِ حَسَدًا، وَ صَدُوا النَّاسَ عَنِ رِسَالَتِهِمْ.

[٥٦] و جزاء هذا الفريق و من اتبعهم من الكفار نار تصليهم و تؤلمهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۗ لَإِنَّ الْجُلُودَ الطَّرِيهَ أَكْثَرَ أَلْمَا مِنَ الْجُلُودِ الْمُحْتَرَقَةِ، وَ هُوَ لِأَنَّ عِلْمَاءَ السُّوءِ بَدَّلُوا جُلُودَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَاخْتَارُوا الْكُفْرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ طَلِبًا لِلذَّهِ الْحَيَاةِ، وَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِتَبْدِيلِ الْجُلُودِ فِي الْآخِرَةِ، حَيْثُ يَصِيبُهُمْ أَلْمُ الْعَذَابِ جَزَاءَ رَدَّتِهِمْ.

[٥٧] و لكن بالرغم من صعوبه مقاومه الحسد، و اتباع صاحب الحق حتى و لو كان غريما، فان على الإنسان ان يتحملها حتى يحصل على جزاء الله في الجنان.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدَاهُمْ فِيهَا مِنْ أَوْجِ مَطَهَّرَةٍ وَ يُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۗ إِنَّ ثَمَنَ ابْتِعَادِهِمْ عَنِ خَيْرَاتِ الظَّالِمِينَ، وَ رِضَاهُمْ بِشِظْفِ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ الْحَقِّ، هُوَ الْحَصُولُ عَلَى خَيْرَاتِ الْجَنَانِ، وَ أُنْسِ الْأَزْوَاجِ الطَّاهِرَةِ، وَ ظِلِّ اللَّهِ الظَّلِيلِ، وَ كَذَلِكَ لَا يَضِيعُ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن
 كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْكَ وَمَا نَزَلَ
 مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِطُّوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ
 لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنزَلَ إِلَيْنَا آيَاتُ الْمُنَافِقِينَ يُضِلُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
 أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَ
 قُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ
 اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ
 حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ
 أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا (٦٦) وَإِذْ لَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا
 (٦٨) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
 رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)

اشاره

واجب و ضروره

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن مسئوليته المال و العلم الاجتماعيه، و دورهما فى إصلاح أو إفساد المجتمع، و بعد ضرب القرآن لقيمه العلم و المال، إلا إذا حققا هدف الرساله، و تحولا الى أداتين فى خدمه المجتمع، بعدئذ يتناول القرآن مسئوليته السلطه، فهى الاخرى ليست قيمه بذاتها إنما هى وسيله لتحقيق العداله، التى تعنى حصول كل شخص على حقه كاملا غير منقوص.

□
و هذه القيمه يحققها سلطان الله فى الأرض المتمثل فى قياده الرسول صلى الله عليه و آله ، و أولى الأمر من بعده الذين يجسدون رسالته، و قد كانوا هم أهل بيته، أما الآن فهم حمله رساله الله فى الأرض بكل معنى الكلمه.

و السلطات الاخرى تمثل الطاغوت الذى يدعمه الشيطان و قد أمرنا بالكفر به و التمرد عليه.

و مخالفه الرسول و أولى الأمر من بعده هي من عمل المنافقين،الذين سوف يكتشفون ان قياده الرسول أفضل لهم،و ذلك حين تنزل عليهم المصائب بسبب انتمائهم الى سلطات الطاغوت،و على الرسول أن يستغل الفرصه و يعظهم.

كل رسل الله جاؤوا ليتسلموا قياده الناس،و إذا عاد الناس الى قياده الرسل و صححوا مسيرتهم،لأصلح الله حياتهم،و غفر لهم سيئاتهم.

أما الذين يخالفون رسل الله،فإنهم ليسوا بمؤمنين،لأنهم يخالفون بذلك هدف الرساله أساسا،و قياده الرسول ليست محصوره بالصلاه و الصيام،بل فى كل الشؤون،و على المسلم الا يفرق بين الموضوعات،و يتبع الرسول فى القضايا البسيطة فقط،بل حتى و لو أمره الله بأن يقتل نفسه فعليه أن يطيعه،لأنه ذلك خير له و أقوم.

خير له لأنه سوف يحصل بسببه على أجر عظيم،و أقوم له لأنه سوف يهتدى الى الصراط المستقيم،و سوف يحشر عند الله مع الصفوه من خلقه،و هم النبيون و الصديقون و الشهداء و الصالحون و هذا هو التطلع الأسمى الذى يجب أن يسعى من أجله الإنسان.

ان هذه الآيات أوضحت لنا ضروره الطاعه للرسول لتحقيق المسئوليه الاجتماعيه و هي:العداله.

بينات من الآيات:

بين الرقابه الذاتيه و الاجتماعيه

[٥٨]يجب أن يكون كل شخص واعظا لنفسه،رقيبا عليها.فلا يفرط فى

ص:١٠٦

أموال الناس عند ما تكون عنده بل يرجعها إليهم متى تسلمها. و على كل مسلم ان يكون واعظا للناس، رقيبا عليهم فيسعى من أجل اعاده حقوقهم إليهم بالعدل.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا أن هناك صلة وثيقه بين أداء الامانه و اقامه العدل لان من لا يؤدي حقوق الناس، كيف يمكنه أم يساعد الآخرين على أداء الحقوق؟! و بالتالى كيف يمكن أن يصبح رقيبا على العدالة فى المجتمع؟!.

و لا- يجب ان يكون الحكم بين الناس بصوره السلطه الرسميه، بل يكون فى الأ-كثرفى صوره التعاون الاجتماعى على حل المشاكل القائمه بين بعضهم البعض. قبل الرجوع الى المحاكم.

حينما يبدأ النزاع بين شريكين، فأول ما يصنع كل واحد منهما هو عرض وجهه نظره على أصدقائه المقربين، فإذا كان هؤلاء مؤمنين حقا أو ضحوا للخاطئ منهما طبيعه خطئه، و أعطوا الحق لصاحبه، و فيتراجع المخطئ قبل أن يرفع دعوى الى المحكمه أما إذا لم يلتزموا بواجبهم كمؤمنين فى الحكم بالعدل، فان كل فريق يؤيد صاحبه و يشجعه على مطالبه، حقا كانت أم باطلا، فترفع القضيه الى المحاكم. و تبدأ سلسله المشاكل و هنا نعرف دور الرقابه الاجتماعيه على العدالة و مدى تأثيرها فى أداء الحقوق.

السلطه و فصل القرار

[٥٩] و لكن الرقابه الاجتماعيه لا تردع كثيرا من الناس من الاعتداء على

ص: ١٠٧

حقوق الآخرين، و هي لا تستطيع أن تكون فيصلاً حاسماً في كثير من المشاكل المعقدة، التي يظن كل طرف انه صاحب الحق فيها، و يورد أدله كثيره على ظنه.

هنالك نرى ضروره وجود السلطه الشرعيه القويه التي يلتزم الجميع بحكمها، و هي متمثله في النبي و أولى الأمر من بعده.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ان أولى الأمر هم الامتداد الطبيعي للرسول، و هم أهل بيته من بعده، و العلماء بالله، الأمانة على حلاله و حرامه، الأكفاء على القيام بأمره، الصابرون المتقون، و بالتالي هم أكثر الناس طاعه لله، و أقربهم الى نهج رسوله، و يتحقق اليوم في حمله رساله الله في الأرض انى كانوا.

و الهدف من هذه الطاعه هو فض الخلافات بردها الى حكم الله، و قضاء رسوله أو اولى الأمر من بعده.

فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا أى ان رفع الدعاوى الى الرسول خير لكم، لأنه يساعد على فض النزاعات، و هو أفضل عاقبه في المستقبل، لأنه يعطيكم التلاحم و الرصانه.

طاعه الطواغيت ضلال

[٦٠] و التحول عن قضاء الرسول الى قضاء حكام الجور من الطواغيت ضلال شيطاني، إذ أن الله أمر المؤمنين بالكفر بالطاغوت و الثوره على سلطانه، فكيف يجوز التحاكم اليه و دعوته للتدخل في شؤون المؤمنين الداخليه؟!

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا أ صَحِيحٌ زَعْمٌ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَ هُمْ يَخَالِفُونَ أَبْسَطَ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ، وَ هُوَ الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ؟ وَ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ خَاضِعِينَ أَمْ أَنَّهُ ضَلَالٌ بَعِيدٌ؟ إِنْ اللَّهُ بَعَثَ رَسُلَهُ لِكَيْ يَذْكُرُوا النَّاسَ بِرَبِّهِمْ، وَ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَ يَتَحَرَّرُوا مِنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، فَإِذَا عَادَ النَّاسُ إِلَى الطَّاغُوتِ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، وَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا قَشُورُ الْإِيمَانِ.

[٦١] فِي حَالِهِ الرَّخَاءِ يَتَعَدُّ هَؤُلَاءِ عَنْ قِيَادَةِ الرَّسُولِ، وَ يَبْعُدُونَ عَنْهَا النَّاسَ بِكُلِّ عِنَادٍ وَ يَلْتَجِئُونَ إِلَى الطَّاغُوتِ زَاعِمِينَ أَنَّهُ أَفْضَلُ لَهُمْ، وَ لَكِنْ سُرْعَانَ مَا يَكْتَشِفُونَ أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ خَدَعَهُمْ وَ أَرَادَ اسْتِعْبَادَهُمْ. فَيَعُودُونَ إِلَى الرَّسُولِ وَ هُمْ يَبْرُرُونَ مَوْقِفَهُمُ السَّابِقَ بِأَنَّهُ كَانَ بَنِيهِ طَيِّبِهِ حَيْثُ أَرَادُوا خِدْمَةَ النَّاسِ، وَ حُلَّ الْخِلَافَاتِ بَيْنَهُمْ، أَوْ حُلَّ خِلَافَاتِ نَاشِئِهِ مِنْ سَوْءِ الْفَهْمِ وَ لَيْسَتْ خِلَافَاتٍ مَبْدِئِيَّةٌ؟ وَ بِالطَّبَعِ إِنْ هَذَا التَّبَرِيرُ بَاطِلٌ وَ سَخِيفٌ، وَ لَكِنْ عَلَى الرَّسُولِ الْإِيطْرَدَهُمْ، بَلْ يَنْصَحُهُمْ بِكَلَامٍ يَنْفِذُ فِي أَنْفُسِهِمْ عَسَى اللَّهُ إِنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ الْوَاقِعِيِّ.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ أَى عُودُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ قِيَادَةِ الرَّسُولِ.

رَأَيْتَ الْمُتَنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا

[٦٢] فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ أَى بِالذَّنْبِ الَّذِى ارْتَكَبُوهُ وَ هُوَ التَّحَاكُمُ إِلَى الطَّاغُوتِ .

تُمَّ جَاؤُكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَ تَوْفِيقًا أَى مَا كَانَ هَدَفْنَا مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ (السلطات الظالمه) إِلَّا الْإِحْسَانَ إِلَى النَّاسِ بِسَبَبِ قُرْبِنَا مِنْ مَوَاقِعِ السُّلْطَةِ، وَ التَّوْفِيقِ بَيْنَ النَّاسِ، وَ فَضْلاً خِلَافَتِهِمْ، أَوْ تَلْطِيفِ الْأَجْوَاءِ بَيْنَ السُّلْطَاتِ الظَّالِمَةِ وَ بَيْنَ أَنْصَارِ الرِّسَالَةِ الْمُنَاوِيئِينَ لَهُمْ .

[٦٣] أُولَئِكَ الَّذِينَ يَغْتُمُّ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ أَى لَا تَعَاقِبِهِمْ بِالَّذِى بَدَرُوا مِنْهُمْ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ .

وَ عِظُهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا - بَلِيغًا نَافِذًا مِنْ مَنطَلَقِ انْهَمِ سَوْفَ لَا - يَحْصِدُونَ مِنَ الطَّاغُوتِ إِلَّا - الْاِسْتِعْبَادَ وَ الظُّلْمَ وَ الْخِيَانَةَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّعَدُوا عَنِ الطَّاغُوتِ أَنْ هُمْ أَحْبَبُوا أَنْفُسَهُمْ .

أَنْ الْمُنَافِقِينَ يَرِيدُونَ مَصَالِحَهُمْ، وَ لَا بَدَّ لِلرِّسَالِى أَنْ يُوْجِّهَهُمْ مِنْ هَذَا الْمَنطَلَقِ .

هَدَفُ بَعَثِ الْأَنْبِيَاءِ

[٦٤] أَنْ الْهَدَفُ مِنَ بَعَثِ الرِّسَالِ لَيْسَ سِوَى تَحْرِيرِ النَّاسِ مِنْ قِيَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَ تَوْفِيرِ قِيَادَةِ صَالِحِهِ لَهُمْ، وَ لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَطِيعُوا الرِّسُولَ، إِذْ سَيَجِدُونَ مَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلًا .

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ

فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْحِدُوا لِلَّهِ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَيُنَشِّرُ رَحْمَتَهُ عَلَيْهِمْ إِنْ هُمْ تَابُوا إِلَيْهِ، وَأَطَاعُوا مِثْلَهُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الرَّسُولُ، وَأَطَاعَهُ الرَّسُولُ تَشْفَعُ لِلْبَشَرِ ذُنُوبَهُمُ الصَّغِيرَةَ، إِذْ أَنْ فِي ذَلِكَ طَاعَهُ لِلَّهِ فِي أَكْبَرِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَأَنَّ الْحَسَنَاتِ الْكُبْرَى تَشْفَعُ فِي السَّيِّئَاتِ الصَّغِيرَةِ، كَمَا أَنَّ السَّيِّئَاتِ الْكُبْرَى كَالشَّرْكَ بِاللَّهِ وَطَاعَهُ الطَّاغُوتِ تَحْبِطُ الْحَسَنَاتِ الصَّغِيرَةَ.

مفهوم الشفاعة في القرآن:

ان فكره الشفاعة الصحيحه هي: ان الرسول يستغفر لمن يطيعه، و يتوب اليه باخلاص، و لا يعنى استغفار الرسول لأحد ان الله يغفر له حتما، كما جاء في نص القرآن: (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) و قد ردّ الله شفاعة نوح في ابنه و استغفار إبراهيم في أبيه.

و هذا هو الفارق بين فكره الشفاعة الاسلاميه و نظيراتها في الديانات الوثنيه و المسيحيه و اليهوديه المنحرفه، ان الشفاعة الاسلاميه لا تعرف الحتميه، و ما هي سوى دعاء الرسول ربه أن ينزل رحمته، و بالرغم من أن الرسول مستجاب الدعاء، فان ذلك لا يحتم على الله سبحانه أن يستجيب للرسول، بل قد يرفضه رفضا لأنه هو الله الحكيم العليم.

اما فكره الشفاعة أو الفداء عند الوثنيه و اليهوديه و المسيحيه، فهي آتية من فكره خاطئه اخرى هي: الزعم بتعدد الآلهه، و وجود شركاء لله يتغالبون و يتنافسون في شؤون العباد، و بتعبير آخر: الاعتقاد بفكره وجود مراكز قوى

فى سلطان الكون، و ان كل مركز يستطيع ان يعمل باتجاه معين، و يجبر ذى العرش (و هو الله سبحانه) على فعل شىء.

هذه الفكره مرفوضه فى القرآن، لأنها مخالفه لرؤيه التوحيد و بصيره الأحديه، و أهميه الشفاعه الاجتماعيه، انها تعطى المجتمع الاسلامى مزيدا من التلاحم و الصلابه، إذ أن الرسول يصبح محورا يستقطب حوله جميع الطاقات، ليس فقط بدوافع ماديه، بل و أيضا بدافع إيمانى غيبى.

و مثل الرسول فى ذلك أوصياؤه الائمه، و من بعدهم القاده الرساليون الذين يستمدون قدراتهم الاجتماعيه من التفاف الناس حولهم طوعا لا- كرها، كل واحد منهم يأمل أن يشفع له القائد عند الله، و يستغفر له ربه، و هذا الالتفاف يخدم قضيه الامه الاساسيه، و بذلك يستطيع القائد أن يطبق سائر الواجبات الدينيه.

و تكون النتيجة وجود مرونة فى التشريع الاسلامى، بحيث تتقدم الاهداف الكبرى على الاهداف الجانيه، و يكون الوصول الى تلك شفيعه فى عدم الوصول الى هذه مؤقتا، بل و طريقا إليها فى المستقبل.

و لنتصور قائدا رساليا يخوض معركة مصيريه مع أعداء الامه، و يجد شابا مندفاعا يطيعه حتى الموت فى هذه المعركه، فلا ريب ان هذا الشاب يعتبر من الصالحين عند الله حتى و لو استخف بالصيام مثلا، لان طاعته لإمامه، و تضحيته فى المعركه المصيريه التى تواجه الامه، قد تشفعان له فى ترك الصيام لان الانتصار فى المعركه المصيريه سوف يساعد على اقامه الشعائر و منها الصيام و لكن

يجب الا يدفعا ذلك الى الاستهانه بالواجبات بتبرير قيامنا بالواجبات الأهم و منها الطاعه للإمام، إذ أن هذه الواجبات قد لا تشفع في تلك، و قد لا يستجيب الله دعاء الرسول، فما ذا نصنع؟ ان رفض الإسلام لفكره الحتميه فى الشفاعة تنفع المسلم فى عدم التوغل فى الذنوب، كما ان وجود الفكره أساسا تساعده على الاهتمام بالواجبات الأهم حتى و لو كان على حساب الأقل أهميه.

ان الغموض الذى اكتنف فكره الشفاعة و الخلافات الكبيره فيها دفعا الى الحديث حولها فى هذه الآيه التى نراها تتحدث مباشرة عن هذه الفكره، و كما ترى فانها جاءت فى سياق الآيات التى تبين ضروره الطاعه للرسول، مما يوحى بأن فكره الشفاعة ذكرت أساسا لدعم الطاعه للقياده الرساليه دعما غيبيا.

الطاعه دليل الايمان

[٦٥] و إذا لم تكن عند المؤمن صفه الطاعه للرسول فما ذا يبقى عنده من الايمان؟ أليس الايمان هو التسليم لله، و ماذا يعنى التسليم لو لم تكن الطاعه للرسول؟ و ما قيمه القياده التى لا تستطيع فض الخلافات بين الناس؟!.

ان الايمان وقر فى القلب، يجعل صاحبه يسلم لله حتى فيما يصيبه من مصيبات، أو يخالف مصالحه أو آراءه. فاذا لم يرض الفرد قلبيا بحكم الله المتمثل فى قضاء الرسول فى الخلافات الاجتماعيه بينه و بين اخوته، إذا لم يرض بذلك فليس هو بمؤمن أبدا.

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا فيما شجر: أى فيما يبرز بينهم من خلافات، الحرج: الضيق، و هو يتنافى مع الرضا الكامل، و التسليم هو: التسليم القلبي و العملى.

الطاعة شامله

[٦٦] و طاعه الرسول يجب أن تكون شامله لكافه القضايا الصغيره و الكبيره، حتى و لو خالفت مصالح الإنسان الاساسيه.

وَ لَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ هذا القليل هم المؤمنون حقا، و هم الذين يعملون بالخير و الهدايه.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيثًا

الطاعة بين التأثير و الجزاء

[٦٧] كيف تكون الطاعه خيرا؟ انها خير لأن الله يعطى المطيعين اجرا عظيما متمثلا- فى الدنيا بالنصر، و التقدم، و الرفاه، و فى الآخره بالجنان الخالده.

وَ إِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا [٦٨] كيف تكون الطاعه أشد تثبيتا، و بالتالى مؤثره فى دعم ايمان صاحبها و هداه؟

الجواب: ان الانحراف يحدث عند الإنسان بسبب ضغط الشهوات، فالخوف من الموت، وحب الوطن و الأولاد و الراحة و ما أشبه هو الذى يجعل الواحد منا يفكر بالمقلوب، و يعكس الحقائق الكونيه.

أما لو تجاوز الإنسان ذاته فى سبيل أهدافه، و استعد للتضحية، فليس هناك أى سبب لانحرافه.

وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا [٦٩] هذا الصراط المستقيم ينتهى بصاحبه الى الانتماء للصفوه المختاره من عباد الله، و ما أحسن هذا الانتماء!!

وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [٧٠] و هذه هى الدرجه الرفيعه التى لا يصل الشخص الى مستواها الا- بجهد بالغ، و بتوفيق من الله، و ليس رخيصا و لا سهلا الحصول على بطاقه الانتماء الى حزب الله الغالب المنتصر.

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا يعلم سرائر الناس فيقبل انتماء خالصى النيه فقط.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا لِبَابِ أَوْ ائْفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبِطَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَيْسَ أَصَابُكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)

اللغة

٧١[انفروا]:أصله الفرع.

[ببات]:جماعات في تفرقه وحدتها ثبه.

٧٢[ليبطن]:التبطئه التأخر عن الأمر.

إشارة

و نجاه المستضعفين

هدى من الآيات:

الجهاد أبرز مظاهر الطاعة و من يطع الرسول فى الجهاد يسهل عليه تطبيق سائر الواجبات الدينيه لأنها لا تنطوى على صعوبات الجهاد أو أخطاره الجسيمه.

و إذ يتحدث القرآن عن الطاعة للرسول و الكفر بالطاغوت يضرب لنا مثلا من واقع الطاعة المفترضه و هو الجهاد الذى يأتى مباشرة بعد تكوّن الامه، و انفصالها عن المجتمع الجاهلى و طاغوته الذى يتبعونه، إذ لا يلبث ان يتفجر الصراع بين الجاهليه و بين الأمه، و على أبناء الأمه الاستعداد لخوض الصراع، و ذلك يكون بالتحذر، و الانطلاق للجهاد جميعا أو فى مجموعات.

و بالتسارع فى تنفيذ امر الجهاد حتى لا يكون المسلم كأولئك المتقاعسين الذين يتناقلون عن الجهاد حتى تنتهى المعركه، فان كانت فى صالح الجاهليه زعموا انهم ربحوا حين لم يساهموا فى الحرب، و الا تميزوا غيظا و حسره و كأنهم

ليسوا من أبناء الامه أبدا.

□
صفه المسارعه فى القتال تأتى بعد الايمان بأن الآخره أفضل من الدنيا، وان الله عنده أجر عظيم للمقاتلين خسروا أو ربحوا المعركه.

□
و هدف القتال هو إنقاذ المستضعفين من براثن الطغاه و الظلم، فان قتال المسلمين هو من أجل الله بينما قتال الكفار من أجل تثبيت نظام الطاغوت و قهر الشعوب.

بينات من الآيات:

واجب الاعداد

[٧١] ان يكون أبناء الامه على استعداد للانطلاق فى معارك الدفاع عن قيمها الرساليه هو منتهى الجديه فى الحياه و الفاعليه و الطاعه للقياده.

و ليس المهم العمل حين تدق طبول الحرب، بل الاستعداد قبل ذلك فى أيام السلم حيث يسترخى الناس، و يغالبهم نعاس الأمن، و يحسبون ان الحياه لهو و لعب.

آنئذ يستعد المسلمون للمعارك المحتمله فاذا حانت ساعه الحرب خفوا إليها فى شكل مجموعات (ثبات) أو وحدات صغيره منسقه و مستعده للعمليات الحرييه أو نفروا إليها جميعا بصوره (التعبئه العامه).

□ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً انها تشكل خلفيه جيش الرساله، الاعداد المسبق و التضحيه و التنظيم (الحذر-النفر-الثبات أو الجميع).

[٧٢] ولا تكونوا-أيها المؤمنون-مثل أولئك الجبناء الذين يتكاسلون و يتقاعسون عن الحرب و ينتظرون نتائجها و هم فى بيوتهم،فاذا دارت ضد المسلمين بداوا يشمتون و يفرحون بأنهم لم يكونوا معهم علما بأن ثاقلمهم عن الجهاد قد يكون هو سبب هزيمه المسلمين و لكن هؤلاء لا يحسبون لأنفسهم حسابا و دائما يتصورون سائر المسلمين هم المسؤولون بل و يجدون بينهم و بين سائر المسلمين فارقا و كأنهم من غير المسلمين.

و الدليل على ذلك:انهم يتميزون حسره و حسدا إذا انتصر المسلمون و حصلوا على مكاسب مادية فى معركتهم.

□
ان الله يذم هؤلاء لكى لا يصبح الواحد منا هكذا يرى نفسه و كأنه من غير المسلمين فلا يتحمل مسئوليته الجهاد و يقول عنهم:
وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا أَى يشكر ربه لأنه لم يوفق لحضور المعركة (شهيدا)،بينما كان هو السبب وراء تقاعسه عن الجهاد،و الله سبحانه على ذلك غدا.

[٧٣] وَ لَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا و كأنه أمه و سائر المسلمين امه اخرى،علما بأن مكاسب المسلمين سوف تصيبه كواحد فى المجتمع الاسلامى يستفيد من تقدم هذا المجتمع الاقتصادى و رفاهه الحضارى.

؟ [٧٤] ان المثل السابق نموذج من الناس يفتقرون الى الاراده الرساليه حتى يقرروا الاقدام و المبادره فى قضايا الامه و لا ينتظرون الآخرين.

انها تأتى نتيجة الايمان الصادق باليوم الآخر و تفضيله على الدنيا و بالتالى بيع الدنيا فى مقابل الحصول على الآخره و بهدف بلوغ أجر الله العظيم هناك.

فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ يَشْرَى: أى يبيع و حين يقول القرآن فليقاتل يريد ان يبين ان هؤلاء هم المرشحون للقتال الخالص لوجه الله.

وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.

أهداف الجهاد

[٧٥] ان الهدف الغيبي للقتال أن يكون القتال من أجل الحصول على الأجر العظيم فى الآخره.

اما الهدف الظاهر للقتال الذى يكون فى سبيل الله فهو محاوله إنقاذ المحرومين الذين تظلمهم القوى الطاغوتيه القاهره، و لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا المستضعفون: هم الذين جعلتهم القوى الظالمه ضعفاء، و استثمرتهم و حطمت إرادتهم و معنويات نفوسهم، و لكنهم مع ذلك يقاومون الظلم بالنيه فيأملون ان ينقذهم الله بأناس يقودونهم و ينتصرون لهم.

[٧٦] إن هدف المقاتلين المسلمين تحرير عباد الله من مجتمع الظلم و نظام الطاغوت أما هدف مقاتلى الكفار فهو من أجل استعباد الإنسان و جعله يرزح تحت نير الطاغوت، و بطبيعته الحال الطاغوت ضعيف، لأنه يقاوم اراده الناس و فطره الحياه و كلما يضع الطاغوت من خطط متينه فهي ضعيفه لأنها تعاكس طبيعه الحياه البشريه التى خلقها الله حره.

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا
ان أول ما يجب ان يتمتع به الناس المستضعفون و المقاتلون من أجلهم هو التحرر من خوف الطاغوت لان أكبر العوامل التى يعتمد عليها الطاغوت فى استغلاله للناس هو تخويفهم و تحطيم معنوياتهم و الا فما الطاغوت الا بشر مثل سائر البشر فكيف استطاع أن يستعبد آخرين؟ انما بخشيته الناس منه، و خوفهم الباطل قوته، تلك القوه التى يحاول الطاغوت تضخيمها فى أعين الناس، فاذا تحررت الشعوب من رهبة الطاغوت، و اكتشفت انه هو الآخر بشر و ضعيف، و خطئه واهيه لاستطاعت أن تطرده و تسحقه.

ان شعوبنا المقهوره اليوم تخشى القوى الكبرى الطاغوتيه لأن تلك القوى غسلت أدمغتنا، فاذا تحررنا من خشيتها انتصرنا عليها و لذلك يذكرنا القرآن هنا، ان كيد هؤلاء ضعيف، و علينا ألا نرهبهم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)

هدى من الآيات:

هناك ظروف يجب على الامه فيها ان تعد ذاتها للقتال دون ان تباشر به، و الاعداد يكون بالصلاه و الزكاه، بينما تأتي ظروف يجب على الامه ان تندفع فيها للقتال، و على الامه ان تكون منضبطه، فلا تقاتل الا حين تؤمر به، و لكن هناك بعض الفئات تطالب بالقتال حين يكون واجبها الاعداد، بينما تتعاس عنه حين تؤمر به، و المشكله بالنسبه لهؤلاء هي خشيه الناس، و لكن لماذا الخشيه من الناس؟ هل بسبب الخوف من الموت، و الموت آت لا ريب فيه؟ أو بسبب التملص من المسؤوليه تجاه ما يجرى من احداث فى الحياه و إلقاء مسئوليه الهزائم على القياده الدينيه، بينما الإنسان هو المسؤول المباشر عما يصيبه من نكبات؟ و الواقع: ان عدم فهم الحياه قد يكون هو السبب فى التعاس عن واجباتها، و قد تناول القرآن فى هذا الدرس جانبا من العوامل النفسيه للتعاس عن الجهاد ليقتلع جذورها من القلب البشرى، و ليوفر المناخ المناسب للطاعه التامه للقياده البعيده عن الازدواجيه و التردد و الضعف.

الانضباط صمام الامان:

[٧٧]الحرب بحاجه الى أقصى درجات الاندفاع و الفاعليه و الجديه و لكن فى حدود الخطه السليمه،و إذا لم تكن الخطه السليمه تقود الحرب،فان كل الاندفاع و الفاعليه و الجديه لا تعنى شيئاً،لان غلظه استراتيجيه واحده،قد تقضى على الكثير الكثير من الطاقات فى لحظه واحده.

و الخطه السليمه بحاجه الى الانضباط الحديدى من قبل الجيش لقياده هذا الانضباط الذى يتحدث عنه القرآن هنا بما يخص الحرب و لكنه يشمل أحوال السلم أيضاً.

ان هذا لا يخضع لأهواء الناس،بل لخطه القياده،أما ما على الناس فهو الاستعداد الدائم لخوض المعركه،أذا نودوا إليها.

و هناك بعض الناس يطالبون بالحرب فى وقت السلم و لكنهم يتقاعسون عنها حين يدعون إليها و يحذرون الناس خوفا على أنفسهم من الموت،و يطالبون القياده آنئذ بتأخير القتال و يحسبون ان التقديم و التأخير خاضع لاهوائهم،و الواقع ان مشكله هؤلاء نفسه،و تعود الى تشبثهم بالدنيا و زينتها.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ يَعْنِي كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقِتَالِ،لان موعد القتال لما يحن،اما الآن فهو موعد الصلاه رمز البناء الذاتى،و الزكاه رمز البناء الاجتماعى.

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ

خَشِيَهُ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ان هؤلاء كانوا يطالبون بالتأخير و لو لفتهر بسيطه،و ذلك لان الخوف قد ملا قلوبهم.

قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا

كيف نتحرر من خوف الموت

؟ [٧٨]التحرر من خوف الموت،لا- يمكن الا- إذا سلمنا له و آمننا،بأنا ملاقوه أنى كنا،و الموت هو الموت سواء فى ساحه المعركه،أو على السرير فى المستشفى.

أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ البروج المشيده هى:البنائات المرتفعه التى تدل على سمو الحضاره، و الإنسان يهيم بالصعود عن الأرض اعتقادا منه ان ذلك ينقذه من عوامل الفناء، و القرآن يقول انه حتى فى حاله الصعود الى بروج مشيده،فان الموت يلاحقهم إليها،و يقضى عليهم،و الخوف من الموت قيد على قلب الإنسان من الاقدام فى تحمل مسئوليات الحياه،و هناك قيد آخر هو ابعاد المسؤليه عن الذات و القاؤها على الآخرين.

وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسِبْتَهُ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقُولونها بلهجه كأنها بعيده عن دورهم فى المسؤليه و إِنْ تُصَبِّبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ حتى يبعدوا أنفسهم عن دائره المسؤليه،و بالمقابل يشوهوا سمعه القياده و يشككوا فى كفاءتها،و هذه من صفه هذه الفئه ضعيفه الاراده.

قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِلْهَوَالَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا لَّانْ عَقْدَهُ الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ، وَ الْفِرَارُ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ لَا تَجْعَلُهُمْ يَفْقَهُونَ الْحَدِيثَ وَ مَا وَرَاءَهُ مِنْ حَقَائِقٍ.

ان الخوف أكبر حجاب بين الإنسان و الحقائق، و كثير من الناس يبتعدون عن التوجيه و مراكزه و مصادره خشية ان يفقهوا و يعوا و تلزمهم المسؤولية، و كثير منهم يكفرون برجال الله من النبيين و الصديقين، هربا من مسئوليته طاعتهم.

بين الحسنات و السيئات:

[٧٩] الحسنات و السيئات مصدرهما المباشر هو الله الحكيم العليم، فلا تقدر الحسنه و لا السيئه لبشر إلا وفق حكمه بالغه، و هدف محدد، و ما الله بظلام للعبيد.

و هذه الفكرة التي وضعها الآيه السابقه تبين لنا عقلانيه الكون، و انه يسير وفق تدبير رشيد و يدبره رب قدير بحكمه و لهدف.

و يبقى سؤال: اذن لماذا تصيب البعض المصائب، و يتمتع الآخر بالحسنات حيناً؟! و لماذا تصيبنا الحسنات حيناً... و السيئات حيناً آخر؟ و يجيب القرآن في هذه الآيه عن هذا السؤال قائلاً:

أما الحسنات فان الله حين خلق الناس أراد أن يرحمهم لا أن يعذبهم، و قد وفر لهم كل وسائل الراحة و السعاده و الرفاه. و هو لم يطالبنا بثمر مقابل نعمه التي لا تحصى، و لذلك فان الحسنات من الله و يجب ان نشكره عليها، أما السيئات فليست من الله بالرغم من انها تأتي من عند الله، انها من نفس الإنسان فهو

الذى يختار لنفسه العذاب، فيبدل خلق الله، و يخالف سنن الحياه و طبيعه الأشياء، و آئنذ يقرر الله له العذاب، فيأتى العذاب من عند الله.

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا وَ هَذِهِ الْفِكْره
تعطينا ايماننا ايجابيا بالحياه، و انها سعادته و رفاهه، فتطلق مواهب الإنسان فى طريق التقدم و الرقى.

و يلاحظ الفرق بين كلمتى (من) و (عند) فى الآيتين، لكى يصبح التناسق بين الآيتين واضحا، إذا فتبرير اللامسئوليه و رفض طاعه الرسول و القول بأنها هى سبب المصيبات انه تبرير سخيف.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَهُ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَمَا عَرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَّدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى
أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)

هدى من الآيات:

حاجه الامه الى الطاعه المبدئيه هي أكبر من حاجتها الى اى شىء آخر، إذ التعاون و التطوير، و المواجهه مع الأعداء، و بناء و اعداد الجبهه الداخليه و..، كل تلك نتيجه مباشره للطاعه، و انما تتقدم الأمم بقدر تماسكها و اندفاعها و وحده مسيرتها، و هي كلها تأتي نتيجه الطاعه.

و هنا يعود القرآن ليذكرنا بضروره الطاعه فى سياق الحديث عن الانضباط فى المجتمع المسلم خصوصا فى الأزمات. و بينت الآيات:

اولا: ان طاعه الرسول هي طاعه الله لا اختلاف بينهما و لا تناقض، و ان الرسول ليس موكلا بالامه بل قائدا لها.

ثم بينت صورته واقعيه عن الطاعه، متمثله فى سلوك المنافقين الذى يجب أن يتجنبه المؤمنون و هو: التظاهر بالطاعه امام الرسول، و حبك المؤامرات ضده فى

الليالى، و على قياده الا تهتم بهؤلاء، بل تبعدهم عن المهام الرساليه، و تتوكل على الله، و تتوجه الى الصادقين.

و طاعه الله و طاعه رسول الله واحده، إذ ان الرسول انما يجسد تعاليم الله و لو لا طاعه الرسول لأنها بناء التوحيد، و هذا التماسك في المبادئ الاسلاميه، و التكامل و الوحده فيها لدليل على انها من الله، إذ ان أى مبدأ بشرى لا بد ان تجد فيه تناقضا بين الايدلوجيه و التشريع، و بين بنود الايدلوجيه ذاتها، و قوانين التشريع مع بعضها.

و عاد القرآن الى الحديث عن الصور الواقعيه للطاعه فأمر بالطاعه حين تعرض الشخص لظاهره اجتماعيه كالحرب و السلام، و ذلك بأن لا- يذيع الاخبار حولها الا بعد مراجعه قياده الشرعيه المتمثله فى الرسول صلى الله عليه و آله و فى العلماء الذين يستنبطون الأحكام من القرآن الكريم.

ثم يبين صعوبه ذلك الا بالتوكل على الله، إذ انه من دون فضله و رحمته يتبع الناس الشيطان الا قليلا.

بينات من الآيات:

امتداد الطاعه:

[٨٠] ان الرسول صلى الله عليه و آله و خلفاءه من الائمه و العلماء ليسوا أصناما يعبدون من دون الله، بل هم عباد الله، و طاعتهم المفروضه هى امتداد لطاعه الله، و فى حدود قيم الله و شرائعه، و من لا يطيع الرسول بدافع ايمانه بالله فلا حاجه فيه، و لا يجب على الرسول ان يفرض عليه الطاعه بأسلوب آخر.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا

[٨١] و لان طاعه الرسول ليست بدوافع ماديّه، فحرام النفاق مع الرسول و التظاهر بالطاعه له، ثم التآمر عليه.

و يَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ آي إِذَا تَرَكَوكَ وَ خَرَجُوا مِنْ بَيْتِكَ.

بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ بَيَّتَ وَ أَضْمَرَ الْخِلَافَ مَعَكَ، وَ تَأْمَرَ عَلَى الْقِيَادَةِ.

وَ اللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُشِئُونَ لِيَحْسَبَهُمْ بِهِ غَدًا، وَ مَا دَامَ اللَّهُ يَكْتُبُ ذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَيْكَ مَسْئُولَتُهُمْ.

فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. ان القيادة الرساليه هي قياده روحيه، يتبعها الملتفون حولها على أساس من القيم التي تمثلها، و لا يجوز لهذه القيادة ان تجمع المنافقين حولها، ثم إذا جد الجد يتفرقون عنها، أو يحاولون تحريف مسيرتها.

القيادة رمز الامه:

[٨٢] و القيادة السياسيّه هي خلاصه النظام السياسي، و النظام السياسي بدوره هو تجربه ثقافه الامه، و حضارتها، و مدى سلامه رؤيتها، و صحه تشريعاتها، فاذا تناقضت تركيبه القيادة الواقعيه مع شعارات النظام السياسي، أو مع أفكار

الامه و ثقافتها و قيمها و..و..إلخ، فان ذلك يدل على تناقض فى التشريع، أو انحرافات فى القيم و الثقافه التى تدعى الامه انها تلتزم بها.

فاذا كانت الامه تدعى انها تدافع عن الحريه مثلا..و جاءت قيادتها السياسيه على أساس من الدكتاتوريه، أو ما يماثل هذه الديكتاتوريه فأى حريه هذه؟! و إذا ادعى النظام أنه يلتزم بقيمه التقوى، و جاء على رأس النظام رجل فاجر، أو ادعت ثقافه الامه انها ترفع من قيمه العلم و كان الحكام فيها مجموعه من الجهله الضالين، فان كلامها هراء، إذ هل يمكن ان ترفع الامه من قيمه العلم دون ان يصبح العلماء و ليس الجهله قطب ارادتها و مركز قدرتها، و ثقل تجمعاتها؟ هكذا تكون تركيبه القياده السياسيه مثلا حيا لحقيقه الامه، و نوع حضارتها، و طبيعه قيمها الحقيقه.

الامه الاسلاميه تتبع قياده تمثل روح الإسلام، اى الرسول و خلفاءه و أئمه التقوى و اليقين و اتباعهم لها ليس بهدف الحصول على مصالح عاجله، بل من أجل الله و تحقيق قيمه و شرائعه، و هذا ابسط دليل على طبيعه الإسلام الحقه، و انه بعيد عن التناقض.

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَ لَيْسَ فَقَطْ فِي حَقْلِ الْقِيَادَةِ أَوْ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ لِلْأُمَّةِ تَظْهِرُ تَنَاقُضَاتِ الْأَدْيَانِ وَ الْمَبَادِئِ وَ انْسِجَامِ الْإِسْلَامِ، بَلْ وَ أَيْضًا فِي سَائِرِ التَّشْرِيعَاتِ، فَفِي الْاِقْتِصَادِ تَرَى ذَاتِ الْقِيَمِ الَّتِي تَجِدُهَا فِي السِّيَاسَةِ مِنَ الْعَدَالَةِ، وَ الْحَرِيَةِ، وَ الْاِسْتِقْلَالِ، وَ فِي

الأخلاق، و التريبه، و الاجتماع. و هى فى العبادات تجد ذات القيم الواحده لا تناقض فيها و لا اختلاف، مما يدل على ان الذى أوحى بها كان العليم الخبير، حيث يستحيل ان تجد كتابا جامعا لدستور الحياه بكل ابعادها، ثم يكون بهذا الانسجام و الدقه و التناغم، فسبحان الله الذى اوحى به.

القياده مرجع الامه:

[٨٣] و من آيات صدق الرساله، و ان كتابها القرآن حق لا ريب فيه هو:

قياده الامه التى تمثل كتابها، حيث يجب على أبناء الامه ان يطيعوها طاعه شامله، سواء فى شؤون السلم أو الحرب، فمثلا لو عرف أحدهم خبرا، فعليه ان يذهب به الى القياده و يعرضه عليها قبل نشره لتتخذ الاجراء المناسب، فقد يكون الخبر اشاعه كاذبه، و قد يكون وراء الخبر حقيقه يجب على القياده ان تبادر فى اتخاذ الاجراء المناسب قبل نشره.. و هكذا.

وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهٖ هٖلَاءٌ لِّسٖوَا مِّنْ أَهْلِ التَّقْوٰى وَ الْيَقِيْنَ، وَ الْا فِكِيْف يذيعون الخبر قبل الاطلاع على حقيقته، و الخبر المقصود هو فيما يرتبط بالشؤون المهمه حيث عبر عنه القرآن ب(امر).

وَ لَوْ رَدُّوْهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَ إِلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنْهُمْ الاستنباط هو: استخراج حكم الشريعه من خلال النصوص الصحيحه.

فهناك فى الأمه من أوفى مقدره لربط القضايا الجزئيه بالقيم العامه، و بالقواعد الكليه التى تدل عليها النصوص. و هو قادر على فهم خلفيات الخبر و حكمه الشرعى.

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا- حيث ان الله أوضح لكم سبيل اتباع الحق، و ذلك حين أرسل الكتاب، و علمه رسوله و أولى الأمر من بعده الذين يستنبطون احكام الدين منه، و أوجب عليكم الرجوع إليهم ليتبعوا الحق و ليس الشيطان.

ص: ١٣٥

اشاره

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا
 (٨٤) مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا (٨٥)
 وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَجَيِّبُوا بِحَسَنٍ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَركَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَمْ تُلِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ
 اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليًا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يِقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ
 فَلَمْ يِقَاتِلُوكُمْ وَآلَقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا- (٩٠) سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ
 كُلًّا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ
 أُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (٩١)

اللغة

٨٥ [يشفع]: أصل الشفاعة: من الشفع الذي هو صد الوتر.

[كفل]: نصيب.

[مقبتا]: مقتدرا.

٨٦ [بتحيه]: التحية السلام.

٨٨ [أركسهم]:الإركاس الرد.

ص:١٣٧

هدى من الآيات:

دور الرسول فى الأمة دور القائد المطاع، و الناصح الأمين و المحرض لها بالخير و الهدى، و ليس دور الوكيل المسؤول بديلا عن الأمة حتى يتحمل ذنبهم جميعا، و لا ريب ان دور التحرير دور هام، و ذلك لأنه سوف يعطى لصاحبه أجر من يعمل بالحسنه. و واجبنا تجاه الرسول أن نرد له التحية بأحسن منها، و هذه سنه الله بين الناس جميعا أن يردوا التحية بأحسن منها.

و مسئوليتنا عموما نابعه من اننا جميعا سنقف يوما للحساب أمام ربنا فى يوم لا ريب فيه، و علينا أن نتحسس أبدا بذلك اليوم حتى نتحسس بالمسؤوليه التامه أمام الله سبحانه و تعالى، و جاء الحديث حول ذلك بمناسبه الحديث عن الأمن فى المجتمع المسلم، و الذين يعكرون صفوه، و علينا أن نتبع هدى الله و سنه رسوله فى اتخاذ مواقفنا من هؤلاء، و لا نخضع مواقفنا للهوى، من هنا فعلينا الا نختلف فى مواقفنا من المنافقين الذين يهددون سلامه الأمة، بل علينا أن نتفق فى معاداتهم، انهم يريدونكم كفارا لتصبحوا مثلهم، فلا تسبقوهم فى حقول الايمان و الحضاره،

و ان الموقف الحاسم من المنافقين هو تصفيه كيانهم الا بعض فئات منهم هم:

أولاً:الذين تربطهم صله التحالف معكم.

ثانياً:الضعفاء منهم الذين يخشون مقاتلتكم،و يتخذون موقفا حياديا بينكم و بين قومهم،و يفضلون السلام معكم.

بيد أن من هؤلاء من يتخذ موقف الحياد السلبي،فهو يسعى من أجل الفتنة، و لكنه يريد ان يشعلها بطريقه ذكيه تؤمنه من أى ضرر،فهؤلاء يجب إلحاقهم بسائر المنافقين،و بالتالى محاربتهم.

بينات من الآيات:

الأدوار التنفيذية للرسول:

□
[٨٤]الرسول ليس مبلغا لرسالات الله فحسب،بل و منفذا لتلك الرسالات بنفسه سواء نفذها الآخرون أم لا،و هذه الميزه تجعل الناس أكثر ثقه بالرسالات السماويه،و أسرع استجابه ليس فقط لأنهم يجدون أمامهم تجسيدا حيا،و عمليا لما يسمعونه من الدعوه،بل و لأن(عمل)الرسول يصنع(واقعا)فى المجتمع،و ان لهذا الواقع أثرا طبيعيا على المجتمع،و يخلق انعكاسات على الحياه.

فمثلا-قيام الرسول فى مكه بفك رقاب العبيد بصوره مباشره،أو عن طريق إعطاء المال لبعض أصحابه حتى يشتروا العبيد و يعتقوهم،ان ذلك خلق انعكاسا على المجتمع الجاهلى،و شكل طبقه اجتماعيه قوامها المتحررون من العبوديه،و كان لهذه طبقه أثرها فى الحياه.

و إعلان الرسول القتال ضد الكفار هو بذاته يشكل حقيقه واقعيه تخلف أثرها

فى تطبيق الدعوة، و من هنا أمر الله نبيه بهذا الإعلان:

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

و دور الرساله هو تثوير الإنسان من أجل تفجير طاقاته، و من ثم توجيهها فى الصراط المستقيم، و ليس القيام بمسؤوليات الناس كبديل عنهم، و كذلك دور الرسول فهو ليس مكلفا عن الناس، انما هو راع لهم، و مبلغهم رساله الله، و مشجعهم على تنفيذ هذه الرساله.

لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ و هذه الفكره تنسف الواقع الذى نعيش فيه نحن المسلمين، حيث نزع من ان وجود الرسول فىنا، و حبا له، و انتماءنا اليه، و ان وجود كتاب الله الكريم بيننا، يكفينا حصاره و تقديما، و لا نحتاج بعدهما الى عمل، انما الرسول محرض للإنسان.

وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ و لكن لا يعنى هذا ان الله بعيد عن دعم المؤمنين، بل ان نصره يأتى وراء عمل الناس أنفسهم.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا فالله هو الذى يكف بآس (و قوه) الذين كفروا، و يجعل بينكم و بين بأسهم حائلا من الرعب يلقيه فى قلوبهم، بسبب قوتكم و استعدادكم للقتال، و لكن الله لا يفعل ذلك حتما، و انما (عسى) ان يفعل ذلك عند ما تكون فيكم الصلاحيه لذلك، و الله قوى حين ينصر أولياءه، و أشد قوه من الكفار، و أقدر على إنزال الهزيمة بهم.

اعمل تشفع:

[٨٥] و تحريض الرسول هو شفاعته عند الله، فبقدر استجابته للناس للرسول يكون قدر سيرهم في طريق الرسول المؤدى الى الله، و اعتصامهم بحبل الله، و بهذا القدر يشفع الرسول لهم عند الله.

أما الرسول فانه سوف يحصل على الأجر من عند الله، و كل شخص يحصل على أجر معين كلما شفع شفاعته حسنه، بأن حرض الناس على العمل الصالح، و بذلك شفع لهم عند الله، أما لو دل على العمل السيء و حرض عليه، فعليه من الوزر بقدر عمل الناس بذلك الوزر كاملا غير منقوص، لأن الكلمه السلبيه أشد خطرا و أكثر ضررا مما قد يعطيه الكلام الايجابي من منافع، فجزاء ذلك أكبر من جزاء هذا، و ذلك بالقياس الى الفعل الذى ينتهيان اليه.

مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَ مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَ اللَّهُ يَحْسَبُ بِالضَّبْطِ مِقْدَارَ عَمَلِ هَذَا أَوْ ذَاكَ.

وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا قَدْ أُحْرِضَ أَنَا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ بِكَلَامٍ، وَ يَذْهَبُ كَلَامِي عِبْرَ الْأَفْطَارِ يَنْتَقِلُ مِنْ أُذُنٍ لِأُذُنٍ، حَتَّى يَنْتَاقِلَهُ الْمَلَائِكَةُ وَ يَعْمَلُونَ بِهِ، وَ يَكْتُبُ اللَّهُ لِي نَصِيبًا مَقْدَرًا مِنْ عَمَلِ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا، دُونَ أَنْ أَعْرِفَ ذَلِكَ أَوْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَحْصِيَ قَدْرَ الثَّوَابِ الَّذِي يَحْصِيهِ اللَّهُ وَ يَكْتُبُهُ.

كن محسنا:

[٨٦] و الكلام الطيب من البشر لا بد ان يرد بكلام طيب، و الشفاعه الحسنه

يجب ان تقبل بالاستجابة لها،و الله يحسب على الناس كلامهم الطيب و جوابهم الأحسن أو لا أقل المناسب.

وَ إِذَا حُيِّنُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيْبًا فالسلام مستحب،و الجواب فرض،ورد التحية ليس فى الكلام فقط بل فى الرسالة أيضا،فمن احترامك ببعث رساله إليك فعليك ان تردها أو بأحسن منها، و كذلك لو قدم لك أحدهم خدمه فعليك ان تردها بأحسن منها أو بمثلها.

[٨٧]وعلينا ان نتحذر من تجاوز حقوق الناس المفروضه علينا ابتداء من أكبر حق و حتى حق رد التحية،لانا سنقف جميعا امام الله للحساب فى يوم لا ريب فيه،وعدا على الله لا يخلفه،و هل اصدق من الله حديثا الله لا إله إلا هو لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا-رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَضِدُّ مِنْ اللَّهِ حَيْدِيًّا و لقد عبر القرآن هنا بكلمه الى يوم القيامة ربما للدلالة على معنى انه يجمعكم و يسوقكم الى ذلك اليوم،ليجعلنا نتصور ذلك اليوم المهيب الذى يساق الناس فيه جميعا الى محكمه العدل ليجازى فيها المحسنين و المسيئين بأعمالهم.

ضروره الالتزام:

[٨٨]و عاد القرآن الى الحديث عن ضروره الالتزام بتوجيهات رساله فى اتخاذ المواقف الاجتماعيه،فبالنسبه الى المنافقين علينا الا نختلف فيهم،بل نتخذ موقفا واحدا منطلقا من مبادئنا،ذلك الموقف هو قتال المنافقين بكل حزم،

ص:١٤٢

و عدم التعاون معهم بأى شكل من أشكال التعاون، ما داموا ملعونين عند الله، غارقين فى أحوال الكفر بسبب ما فعلوه من السيئات.

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ أَي لِمَاذَا انقسمتم الى طائفتين فى موضوع المنافقين؟! وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَي ان الله اركسهم فى الضلاله بفعل أعمالهم السابقه.

و من السفه التفكير بأن التقارب مع المنافقين يسبب هدايتهم، إذ ان الله أضل هؤلاء حين ابتعدوا عن رساله، و أصبحت نفوسهم معقده تجاه رساله، فلا يمكن إصلاحهم بل يجب تصفيتهم جسديا.

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا .

الهجره انفصال و التحاق:

[٨٩] ليس هذا فقط، بل ان هؤلاء يحاولون اضلالكم أيضا، و يحولونكم الى جبهه النفاق لتكونوا تماما مثلهم.

وَدُّوا لَمَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْهَجْرَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَرِيق الْانفصال عن مجتمع النفاق، و الالتحاق بمجتمع الرساله و الذوبان فيه، و لكن لو لم يهاجروا فلا حقوهم فى كل واد حتى تقضوا عليهم، لأنهم سوف يشنون عليكم غارات مفاجئه، و عليكم ألا تتعاونوا معهم

بأيه صورته.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُذِبْهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلا نَصِيرًا

من نسالم

؟ [٩٠] وهناك بعض فئات المنافقين لا يشملهم هذا الحكم و أولهم: المتحالفون معكم، فإذا كان المنافق من طائفه تربطهم بكم صله الميثاق، فانه لا يقتل احتراماً للميثاق.

و الثاني: الذين لا يريدون الاعتداء عليكم بسبب ضعفهم و جنبهم، و هؤلاء لا يجوز الاعتداء عليهم.

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ الْقَيُّومُ فَاسْتَرْهَبَكُمْ وَ جَبَنُوا عَنِ الْقِتَالِ، وَ قَدْ عَبَّرَ الْقُرْآنُ عَنِ الْجَبْنِ بِكَلِمَةٍ حَصْرَتْ صُدُورَهُمْ، وَ هُوَ تَعْبِيرٌ أُنِيقٌ وَ عَمِيقٌ حَيْثُ أَنْ مَنْ يَشْتَدُّ بِهِ الْخَوْفُ تَتَسَارَعُ نَبْضَاتُ قَلْبِهِ، فَتَضَيِّقُ نَفْسَهُ وَ كَأَنَّ قَلْبَهُ مُحْصُورٌ، وَ هَؤُلَاءِ مَا دَامُوا بِعِيدِينَ عَنِ قِتَالِكُمْ أتركوهم لشأنهم.

فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا

جزاء المخادعين:

[٩١] ولكن من المفروض الا يكون سلم هؤلاء خداعاً، فلو كان كذلك لوجب تعقبهم و اخضاعهم للقانون.

ص: ١٤٤

سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا رُذُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا أَنْ هَوْلَاءِ يشاركون أولئك في الجبن، بيد أنهم حاقدون يتحينون الفرص، بينما أولئك يائسون مستسلمون لواقعهم الضعيف.

فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلْوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَبِالتالى لو لم يصبح هؤلاء مثل الفئة السابقة فى إنهاء حاله العداة، وحبك المؤامرات ضد سلامه الامه، فلا بد من قتالهم.

وَأُولَئِكَمُ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا السُلْطَانُ المبين هو: الحجة الدامغة أو القوه القاهره، ذلك لأن هؤلاء المنافقين يعتبرون متآمرين على سلامه الامه عابثين بأمنها.

إن هذه الآيات تبين لنا حكم الطوائف المختلفه التى تشكل خطرا على أمن الدوله الاسلاميه، وهى عاده الفئات الموتوره و المعقده التى تساهم فى الإخلال بالأمن فى البلاد، وهى لا تطبق على الفئات النائره ضد الانظمه الطاغوتيه الحاكمه، لأنها لا تتمتع بشرعيه الرساله كالنظام الاسلامى القائم على أساس الحق، و العدل، و الحريه.

اشاره

وَمَنْ كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنِهِ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنِهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَدَقَةٌ مِنْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)

اللغة

٩٢[فتحير]:التحرير تفعيل من الحره، و هو إخراج العبد من الرق الى الحره.

[ديه]:الديه من ودى يدو،اي اعطى المال المقابل للدم.

٩٤[عرض]: يقال لكل متاع الدنيا عرض، و يقال لكل شيء يقل لبثه عرض.

ص: ١٤٧

هدى من الآيات:

استمرارا للحديث عن الأمن فى المجتمع الاسلامى، تتحدث الآيات هذه عن أمن الإنسان ذاته فى داخل المجتمع، وجرىمه الاعتداء على النفس خطأ أو عمدا، ووجوب دفع الديه الباهظه و التكفير بالصيام لمن قتل نفسا بالخطأ، اما من قتل نفسا متعمدا فان جزاءه جهنم خالدا فيها.

ولا يجوز الاستخفاف بقضيه الدم، بل حتى فى العمليات العسكريه يجب التأكد قبل الهجوم على طائفه، ولا تجوز الاغاره على الناس الآمنين بهدف الحصول على مكاسب ماديه منهم بصورة غنائم، إن هذه كانت عاده الجاهليه السوداء.

و ان النفس البشريه محترمه فى القانون الاسلامى، ولا يجوز التفريط فيها أبدا، و المجتمع المسلم لا بد ان يسوده الامن، حتى يتحسس كل فرد بالاطمئنان فيندفع فى البناء و الاعمار.

قتل الخطأ بين الجواز والكفاره:

[٩٢] لا يحق للمؤمن ان يعتدى على نفس مؤمنه الا عن طريق الخطأ، كأن يريد اصابه طير فأصاب مؤمنا فارداه قتيلا.

ان هذه الصوره الوحيده التى من الممكن ان يقتل فيها مؤمن مؤمنا، أما سائر التبريرات التى كان الإنسان الجاهلى يبرر فيها اعتدائه على الناس، فانها مردوده على صاحبها، و حتى فى حاله الخطأ وضع الإسلام على القاتل كفاره فيها، بالرغم من ان الخطأ هو من مسقطات التكليف التى رفع القلم عنها كما جاء فى حديث النبى صلى الله عليه و آله الشهير، ذلك لكى يتحذر الإنسان كثيرا فى أعماله حتى لا يصيب أحدا من المؤمنين بسوء، فمثلا لا يصطاد الطير فى منطقته يمكن أن يصيب منها بدل الطير رجلا مؤمنا خطأ، و لا يصف دواء بطريقه عجوله فيموت بدوائه مؤمن و هكذا، و تكون الكفاره المفروضه على قتل الخطأ سببا لمزيد من التورع، و الاحتياط فى الدماء، و مراعاة شروط السلامه فيما يرتبط بحياه المؤمنين.

و يبقى السؤال: ما هى كفاره قتل الخطأ؟ يجب القرآن الكريم: إنها على نوعين:

الأول: عتق رقبه مؤمن فقط، و ذلك عند ما يكون أهل المقتول كفارا ذلك لأنه لا يسلم المسلم ديه للكافر الا فى حاله واحده و هى إذا كان الكافر حليفا مع المسلمين، فيجب دفع الديه له و فاء بالحلف.

الثانى: عتق رقبه و ديه تسلم الى أهل المقتول، و ذلك حين يكونون مسلمين أو

و إذا لم يقدر القاتل على عتق رقبه سواء كان فقيراً، أو لانعدام الرقبه المستعبده كما هو الوضع فى عصرنا الحاضر، فتتحول الكفارہ الى صيام.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا أَى أَنْ يَعْفو أهل القتيل عن الديه تقربا الى الله، و تصديقا بوعده بثواب العافين عن الناس.

فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ إِذَا كَانَ الْقَتِيلُ مُؤْمِنًا، بيد أن قومه كانوا أعداء محاربين لكم، فهنا تسقط الديه و تبقى الكفارہ فقط.

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ لِأَنَّ الْمِيثَاقَ مُحْتَرَمٌ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ طَرَفُهُ كَافِرًا.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيحًا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا يَضَعُ انْظَمَتَهُ بَعْدَ إِتْمَانِهِ فَمَثَلًا: الاعتداء على النفس يجب ان يقابل بتحرير نفس من العبوديه، ذلك ان الحريه تطلق طاقات العبد المؤمن، و تجعله يعوض ما فاته فى الحياه الاجتماعيه عن القتيل الذى خسره المجتمع.

أما الصيام فانه يأتى بالدرجه الثانيه، ليربى صاحبه على الالتزام الأشد فى تصرفاته، حتى لا يخطئ مره ثانيه فيقتل مؤمنا آخر خطأ.

إن القتل خطأ يقع اليوم كثيرا بسبب التهور في السياقه، و عدم الالتزام بقوانين المرور بدقه، فلو طبقنا نظام الإسلام، و فرضنا على القتله الديه و الكفار، إذا لأزداد التزام الناس بتعاليم السياقه، و لقلت الحوادث.

كما ان هناك أطباء يقتلون الناس خطأ، فلو طبقنا عليهم نظام الديه و الكفار، لكانوا أكثر التزاما بتعاليم الطب، و اهتماما بروح المريض.

جزاء القتل العمد:

[٩٣] ان الاعتداء على النفس البشريه يجازى بالخلود الدائم في النار، بسبب ان القتل إنهاء لحياه القتل في الدنيا، فيجازى بانهاء فرص الحياه في الآخره.

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ۗ أَمَا جَزَاؤُهُ فِي الدنیا فانه سوف لا يفلح، و سوف يبعد من رحمه الله و نعمه الواسعه.

و غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۗ و القتل هو القتل بالرغم من ان اساليبه تختلف، فهناك من يقتل الناس مباشره، و هناك من يحكم عليهم بالقتل، و هناك من يساهم في قتلهم بأفكاره الهدامه، و كل أولئك يلقون في جهنم خالدين فيها.

و المجتمع الذي تجرى فيه جريمه القتل كسنته لهو مجتمع شقى بعيد عن رحمه الله، بعيد عن الحياه الهائنه، بعيد عن القيم الرفيعه، قريب الى الهاويه.

ان لغه الدم هي لغه يتفاهم بها بعض الناس، و هي ألغن لغه تستخدمها البهائم في الغابات، و هي لا تفصح عن صلاح أبدأ، و من المؤسف ان يكون

تشريعات واقية للدماء:

[٩٤] والدم البشرى محاط فى الشريعة الاسلاميه بسياج منيع من الانظمه الواقيه من ان يراق بغير حق، و من تلك الانظمه ضروره التأكد قبل الهجوم الحربى على طائفه، من أن هؤلاء مسلمون أم يريدون الحرب أو السلم، وقبل أن يتثبت المسلمون من اراده الاعتداء أو المقاومه الدمويه فى خصومهم لا يجوز لهم البدء بإطلاق النار.

ان الامه الاسلاميه تؤسس جهاز مخابرات حربيه، لا من أجل كشف العدو فقط، بل و من أجل معرفه هل ان الحرب هى الطريق الوحيد امام الامه و لا مناص لهم منها، أم ان هناك طرقا أخرى للصراع.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيُّ أَخَذْتُمْ بِالْحَرْبِ الْجُغْرَافِي فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِ الْإِسْلَامِ الْمَتَمَثِلَةِ فِي تَحْرِيرِ الشُّعُوبِ وَ أَقَامَةِ الْعَدْلِ.

فَتَبَيَّنُوا لَتَعْرِفُوا أَعْدَاءَكُمْ بِالضَّبْطِ فَتَأْخُذُوهُمْ، وَ لَا تَأْخُذُوا كُلَّ النَّاسِ بِتَهْمَةِ الْعَدَاوَةِ، وَ مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ التَّوْجِيهَاتُ تَنْفَعُ الْأُمَّةَ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا، إِذْ أَنَّهَا تَجْنِبُهَا مِنْ إِضْرَارِ الْعِتْدَاءِ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ، وَ اسْتِعْدَائِهِمْ ضِدَّ الْأُمَّةِ وَ ضِدَّ أَهْدَافِهَا الْمُقَدَّسَةِ.

فاذا تبين المسلم فعرف خصمه، و اكتشف انه لا ينوى الاعتداء عليه، بل هو مسالم فحرام إذ ذاك الهجوم عليه بهدف الحصول على مكاسب مادية أو ميدانية.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِذْ رُبَّ عَرَضٍ خَسِرَهِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْتَعْدَاءُ الشُّعُوبِ، وَانْتِهَابُ ثَرَوَاتِهِمْ ظُلْمًا، سَوْفَ يَنْفَعُ الْأَعْدَاءَ الْحَقِيقِيِّينَ لِلْأَمَّةِ، وَتَجْعَلُهُمْ مَوْضِعَ عَطْفِ الشُّعُوبِ الْمَقْهُورَةِ، وَسَوْفَ تَتَعَاوَنَ مَعَهُمْ، بَيْنَمَا لَوْ تَرَكْتَ هَذِهِ الشُّعُوبَ عَلَى وَضْعِهَا فَسَوْفَ تَنْتَصِرُ الْأَمَّةُ عَلَى أَعْدَائِهَا، وَتَحَقِّقُ فَوَائِدَ النَّصْرِ الْمَضَاعِفِ، لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ هِيَ مَغَانِمُ الْإِنْتِصَارِ عَلَى الْعَدُوِّ الْحَقِيقِيِّ، وَمَغَانِمُ الْمَصَالِحَةِ مَعَ الشُّعُوبِ الْمَسَالِمَةِ، وَمَغَانِمُ السَّمْعِ الطَّيِّبِ عِنْدَ الْأَمَمِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَغَانِمِ الْآخِرَةِ! هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَاءَتْ لِتَغْيِيرِ هَدَفِ الْحَرْبِ وَتَحْقِيقِهَا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَفِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ النَّاسُ يَحَارِبُونَ مِنْ أَجْلِ الْحَصُولِ عَلَى مَكَاسِبِ مَادِيهِ مُؤَقَّتَةٍ (يَسْمِيهَا الْقُرْآنُ هُنَا ب-عَرَضٍ- لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهَا مُؤَقَّتَةٌ وَتَزُولُ) بَيْنَمَا الْحَرْبُ فِي الْإِسْلَامِ تَهْدَفُ إِشَاعَةَ الْعَدْلِ، وَتَحْقِيقَ الْحُرِّيَّةِ، وَإِقَامَةَ السَّلَامِ، وَهَذِهِ الْقِيَمُ لَا تَحَقِّقُ إِلَّا بِصَعُوبَةٍ، وَبَعْدَ شَرِّ الْحَرْبِ لِأَهْدَافِ مَادِيهِ.

كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ.. وَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ مَا فِي الْإِسْلَامِ مِنْ فَوَائِدَ مَلْمُوسَةٍ أَمَامَكُمْ، مِنْهَا شُعُورُ كُلِّ شَخْصٍ بِالْأَمْنِ الذَّاتِيِّ، فَعَلَيْكُمْ إِذَا بَاتَبَاعَ وَصَايَا الْإِسْلَامِ لِلإِبْقَاءِ عَلَى هَذِهِ الْفَوَائِدِ، وَ مِنْ تِلْكَ الْوَصَايَا التِّيْنِ قَبْلَ أَيِّ هَجُومٍ.

فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

اشاره

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِيَّ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا أُوْاهِمُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)

اللغة

٩٥[الضرر]:النقصان و هو كل ما يصرك من عسر و مرض و عله.

٩٦[درجات]:جمع درجه و هي المنزله.

١٠٠ [يهاجر]: المهاجره المفارقة.

[مراغما]: المراغم المضطرب فى البلاد و المذاهب، و أصله من الرغام و هو التراب.

ص: ١٥٥

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن الأمن الاجتماعى الذى جاء بدوره فى أعقاب الحديث عن الطبقات الاجتماعيه، يأتى الحديث عن بعض اهداف القتال فى الإسلام بمناسبة الحديث عن طبقه اجتماعيه هى طبقه المهاجرين داخل الامه.

فما دامت القيم هى هدف الحروب الاسلاميه، فان اولى هذه القيم هى:

عدم الاعتداء على الشعوب تحت شعار أو آخر.

و الثانيه هى: القتال من أجل الله، و ان يجعل المقاتلون فى سبيل الله فى درجه عاليه داخل المجتمع.

و الثالثه هى: تحرير الشعوب المستضعفه، و هذا التحرير يرتبط بالامه الاسلاميه كما يرتبط بالشعوب ذاتها، فعلى كل شعب ان يقوم بتحرير ذاته من الطواغيت، و لو كان بالهجره التى تهدف تقويه الذات من أجل شن حرب ضد الجبابره و المتسلطين.

و الأمر بالهجره من قبل الإسلام يفرغ جبهات العدو من العناصر الخيره التي اضطرت لمقاومه المسلمين الذين جاؤوا لتحريرهم، كما و يدعم الجبهه الاسلاميه بالعناصر الجيده، كما ان الإسلام بأمره بالهجره يتم حجته على المقاومين لحركه الفتح الاسلامى، فلا يستطيعون تبرير مواقفهم بأنهم كانوا مضطرين الى ذلك.

بينات من الآيات:

مواقف المجتمع من الجهاد:

[٩٥] بالنسبه الى الجهاد فى سبيل الله، يختلف الناس فيه الى ثلاث فئات:

فته مجاهده، و فئه لا تجاهد و لا تستطيع عليه، و فئه تقعد عن الجهاد و هى قادره عليه، و الفتان الاوليتان أفضل عند الله من الفئه الثالثه، و بالتالى أفضل داخل المجتمع الاسلامى، و لهما حقوق ليست لسائر أبناء المجتمع.

□ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ - وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ □ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ □ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَ هذه الدرجه هى: ان المجاهدين تتخصص لهم اموال الامه قبل القاعدين، و ان لهم التأثير فى حياه الامه الاجتماعيه أكثر من القاعدين، و فى الاخره تعتبر أعمالهم أثوب عند الله، و تقبل صدقاتهم قبل ان تقبل من القاعدين.

ان صلاه المجاهدين فى سبيل الله ترفع الى الله بسرعه البرق، لان صاحبها قرن القول بالعمل، اما صلاه القاعد فانها قد ترفع أو لا ترفع، و إذا رفعت فانما ترفع بشروط قاسيه، و مثل الصلاه سائر العبادات و الممارسات، ذلك ان الجهاد فى سبيل الله يفتح عقل صاحبه، و يعطيه الهدى و المعرفه و الايمان، و المجاهد فى سبيل الله يزوده الله ببصيره واضحه فى الحياه، لأنه اقتحم عقبه الذات و لم يعد بينه و بين الحقائق الكونيه حاجز من الهلع و الخوف و الطمع و التردد و الشك، فاذا به

تنكشف أمامه حقائق الكون بوضوح، ويزداد إيمانه بالله و بالقيم قوه و ثباتا.

و المجاهد فى سبيل الله لا- يعيش نفاقا فى ذاته، و لا- تناقضا بين الدنيا و الآخرة، انه قد باع الدنيا بالآخرة، و اشترى بنفسه جنه عرضها السموات و الأرض، فهو مطمئن من نفسه، واثق من طريقته و منهجه.

و لكن لا- يعنى هذا ان القاعدين كفار، بل هم مدينون عليهم أن يهيئوا مصالح العباد، الفلاح فى حقله، و العامل فى مصنعه، و الكاتب فى مكتبه، و الكاسب و التاجر و..و.. لكل واحد من هؤلاء واجب، و مسئوليه و دور يؤديه فى الحياه، و عليه ان يؤدى دوره تماما و دون غش فيه.

ان المدنيين فى المجتمع الاسلامى يشكلون صفوف الجهاد فى سبيل الله، فلو لا زياده الانتاج الزراعى، و لو لا جوده الصنائه الاسلاميه، و لو لا سلامه و صدق البحوث العلميه المؤديه الى الكشوف و الاختراعات، و لو لا تداور الثروه بين التاجر و الكاسب و..و.. إلخ، لو لا كل ذلك لا يتمكن الجندى المسلم ان يؤدى دوره بالكامل، و لذلك بين القرآن هنا: ان افضليه المجاهد لا تعنى أبدا ان القاعد (العامل بوظائفه المدنيه) قد غمط حقه، و جهل قدره و قيمته و قال:

وَ كُلاًّ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۗ بِإِيمَانِهِ وَ اتَّبَعَهُ لِمَنَاجَى اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ، وَ عَادَ الْقُرْآنُ وَ أَكَّدَ أَمِّيَّةَ الْجِهَادِ وَ فَضَلَ الْمُجَاهِدِينَ وَ قَالَ:

وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ذَلِكَ لِكَيْ يَبِينَ أَنَّ الْمُجَاهِدَ رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا، وَ أَعْطَاهُ أَجْرًا عَظِيمًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

[٩٦]المجاهد يتمتع بأجر عظيم فما هو ذلك الأجر؟ اولاً: انه يرفع عند الله درجات بقدر جهاده و تضحيته،و تنعكس هذه الدرجات فى الدنيا أيضا مثلاً: ان المجاهد يحسب عند الله عالماً و يعطى درجه العلم، لان الجهاد يفتح عقل صاحبه، و يجعله يعرف كثيرا من الأشياء التى يجهلها الناس القاعدون.

فدرجه العلم ينالها المجاهد عند الله، كما ينعكس ذلك فى حياته فى الدنيا أيضا حيث يصبح عالماً فعلاً، و كذلك يعطى درجه الايمان و التقوى و الشجاعه و الطاعه و الانضباط و طول العمر و الصحه.

و كل تلك الآثار الخيره للجهاد هى درجات و مكاسب فى الاخره تنعكس أيضا فى الدنيا.

ثانياً: انه يمنح المغفره و التوبه، حيث ان الله سبحانه يمحو سيئاته السابقه، و لا يجازيه بها فى الاخره، كما انه فى الدنيا يتخلص من آثارها السلبيه على نفسه.

ان الحسود المعقد المنطوى على ذاته، و الضعيف الاراده، و الكثير القول، القليل العمل، التارك بإهماله كثيرا من الواجبات، و المرتكب بضعف إرادته كثيرا من المحرمات، انه إذا انخرط فى الحياه العسكريه الاسلاميه سوف تتغير عنده الصفات بفضل الخشونه و التعب و مواجهه الاخطار فى العسكريه، فيصبح الجهاد بالنسبه اليه مدرسه تربويه كامله التأثير، و هذه المغفره التى ينالها المجاهد و هى: الصياغه الجديده للشخصيه، و هى من خصائص الجهاد.

ثالثاً: ان الله يعطى المجاهد الرحمه، و هى تعنى فى الاخره المعامله الحسنه،

و قبول اعماله الصالحه بلا تردد، و عدم التدقيق فى حسابه، اما فى الدنيا فتعنى:

فتح أبواب الحياه امامه، لان الجهاد يربى صاحبه على التحكم فى ذاته و فى الحياه، و من كان كذلك وفقه الله فى الدنيا، بالاضافه الى السمعه الطيبه التى يحصل عليها المجاهدون فى المجتمع، من هنا يصبحون موضع تقدير و احترام الجميع.

هذه هى مكاسب الجهاد درجات و مغفره و رحمه، لخصها الله تعالى بقوله:

دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

واجب المستضعفين

[٩٧] على الشعوب المستضعفه التى يتحكم فيها الطغاه بالاستبداد و الظلم، و يسلبون حريتها بالقوه، عليها ان تثور ضد الطغاه، و إذا لم تستطع الانتصار لنفسها فى أرضها فعليها الهجره الى ارض اخرى ضمانا لحريتها، و بالطبع فى ظل الدوله الاسلاميه ستكون الأرض المسلمه معقل الحريه، و مأوى المهاجرين الأحرار، و عن طريق هجره هؤلاء إليها تدعم قضيتهم، لان الامه الاسلاميه تحمل على عاتقها رساله تحرير الشعوب المستضعفه، و هؤلاء الأحرار المهاجرون سوف يزيدون من قوه الامه، و يعجلون عمليه تحرير أراضيهم من نير الطغاه و المحتلين.

و الذين لا- يهاجرون فى سبيل الله الى موطن آمن، و يبررون ارتكابهم للسيئات، و مساهمتهم فى ظلم أنفسهم و عدم الرد على المعتدين عليهم، هؤلاء سوف يساقون يوم القيامه الى جهنم، ذلك لان الظالم و المظلوم فى الذنب سواء، إذ كان بإمكان المظلوم دفع الظلم عن نفسه و لم يفعل.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ

أى جاءتهم الوفاة حين كانوا يظلمون أنفسهم، أما بعدم الرد على ظلم الظالمين لهم، أو باقترافهم السيئات تحت ضغط الظالمين.

قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ أَي كَيْفَ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ وَفِي آيَةِ حَالِهِ؟! بِالطَّبَعِ لَمْ يَكُونُوا يَعِيشُونَ فِي حَالِهِ رِضًا، وَلَا فِي حَالِهِ طَاعَةٍ لِلَّهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي ظِلِّ حُكْمِ غَاشِمٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَبِينُوا حَالَتَهُمْ، بَلْ بَيْنُوا فَقَطْ عَذْرَهُمُ الَّذِي سَرَعَانَ مَا رَدَّ فِي وَجْهِهِمْ.

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا: مُسْتَضْعَفِينَ وَ لَمْ يَقُولُوا ضَعْفَاءَ، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ أَحَدًا ضَعِيفًا، بَلِ النَّاسُ هُمُ الَّذِينَ يَسَاهِمُونَ فِي أَوْضَاعِ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ إضْعَافِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا مَا دَامَتِ الْأَرْضُ لِلَّهِ، وَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا لَهُ، فَلَمَّا ذَا يَسْتَمِرُّ فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ؟ لِمَاذَا يَعْجَبُ اقْرَانُهُ حَتَّى وَ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ الظُّلْمُ وَ الْكِبْتُ؟ أَمْ فَلَيْسَ خَيْرَ الْبِلَادِ مَا حَمَلَ الْإِنْسَانَ؟! كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

إن جزاء هؤلاء هو اشراكهم في ظلم الظالمين لهم، بالإضافة الى جزاء سيئات أعمالهم التي لا- يبررها الضغط عليهم من قبل الظالمين، ما داموا قادرين على الهجره عن ارض الظلم.

فَأُولَئِكَ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا

المستضعفون و واجب الهجره:

[٩٨] بلى هناك طائفه من المستضعفين لا يستطيعون الهجره، فأولئك قد

يعفيهم الله من جزاء بقائهم في ارض الظلم.

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَهَؤُلَاءِ قَدْ يَكُونُونَ رِجَالًا أَوْ نِسَاءً أَوْ شِبَابًا، وَ هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْهَجْرَةَ مَفْرُوضَةٌ عَلَى كُلِّ الرَّجَالِ الْقَادِرِينَ، وَ عَلَى كُلِّ النِّسَاءِ الْقَادِرَاتِ، وَ عَلَى كُلِّ الشَّبَابِ الْقَادِرِينَ، وَ لَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ بَقَاءُ الْمَرْأَةِ الْقَادِرَةِ عَلَى الْهَجْرَةِ لِأَنَّ زَوْجَهَا غَيْرُ قَادِرٍ، أَوْ بَقَاءُ الشَّبَابِ لِأَنَّ وَالِدِيهِ لَا يَسْتَطِيعَانِ الْهَجْرَةَ.

ذلك لان الله سوف يحاسب كل واحد منا على عمله بشكل انفرادى، و لا ينام اثنان في قبر واحد.

و انما يعفى هؤلاء عن جزاء الهجره إذا لم يكونوا قادرين على دفع الظلم، و لا- على الهجره من ارض الظلم، فهم لا- يستطيعون حيله لمنع الظلم عن أنفسهم، و لا يهتدون سبيلا للخروج من بلد الظالمين.

[٩٩] و لا- يسقط واجب الهجره عن هؤلاء بمجرد عدم الهجره، بل عليهم ان يهيئوا لأنفسهم وسائل القوه حتى يهاجروا، أو يمنعوا الظلم عن أنفسهم، و لذلك عبر القرآن عن سقوط واجب الهجره عن هؤلاء بقوله (عسى) للدلاله على الاحتمال القوى دون التأكيد، حتى لا ينام المظلومون على الظلم تحت تأثير مخدر الياس، و تبرير عدم القدره على الهجره أو الثوره.

كلا فان الإنسان غير القادر عند نفسه، قد يكون قادرا في الواقع لو تحرك متوكلا على الله... قال الله تعالى:

فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا

ان صفه العفو الكامله عند الله هى وراء العفو عن هؤلاء، و الافهم مسئولون أيضا عن عواقب سكوتهم و بقائهم مع الظالمين.

ماذا تعنى الهجره

؟ [١٠٠] و الهجره لا تعنى الاستغناء عن الوطن، بل معناها الانتقال من الوطن الصغير الى الوطن الكبير، من الأفق الأضيق الى الأفق الأرحب، الى حيث الرخاء و الحرية.

فهناك أراض واسعة خلقها الله، و المهاجر سيجدها امامه إذا لم يدركه الموت فى الطريق، اما إذا أدركه فانه سيجد امامه رحمه الله و الجنة.

وَ مَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً سيجد ترابا كثيرا، و التراب يشكل نصف حضاره الإنسان، لأنه موقع السكن و الزراعه و السياحه، و نصفها الآخر الحرية التى عبر عنها القرآن ب(سعه)، حيث يمكن للبشر فى ظل الحرية ان يستثمر طاقات التراب، و يعيش حياه هائنه.

وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ لأنه هاجر بهدف دعم قضيه الرساله المتمثله فى تطبيق مناهج الله و تحرير عباد الله.

وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا و كلمه اخيره: ان نظره واحده الى التاريخ تعطينا فكره واضحه عن دور الهجره الاساسى فى تأسيس كل الحضارات الكبرى، و فى أغلب الحركات

الاصلاحيه و التحرريه فى العالم عبر العصور، و اهميه الإسلام انه يجعل الهجره واجبا دينيا مقدسا، و قاعده اساسيه فى حياه المؤمنين، و بذلك يضمن للحركه الاصلاحيه البقاء، و التوسع، و القدره على تجاوز القوى الطاغوتيه، كما يجعل لها افقا عالميا يساعد على تركيع الطغاه بفضل تعاون الشعوب الساعيه نحو التحرير و التقدم و التطوير.

و ليت القوى التحرريه الاسلاميه عرفت اليوم هذا الدور الاساسى للهجره، و ركزت جهودها فى ارض حره، ثم انطلقت منها لتحرير الشعوب.

ص: ١٦٤

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْمَارِضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١) وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَ لَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَ قَعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣) وَ لَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)

هدى من الآيات:

الآيات الثلاث الاولى بينت بعض ما يرتبط بالهجره و القتال من احكام الصلاه (كالتقصير فى الصلاه حين السفر، و حين الخوف، و صلاه الخوف جماعه، و واجب التسليح حين اقامه صلاه الخوف).

و جاءت هذه الأحكام لتبين عده حقائق:

أولاً- ان للهجره أو القتال اهدافا اساسيه و مقدسه تتلخص فى رضا الرب، و اقامه حكمه فى الأرض، و علينا الا- ننسى هذه الاهداف، و نحن نعيش صعوبه الحياه أثناء الهجره أو القتال، و ذلك بإقامه الصلاه أثناء الهجره أو القتال، و القرآن يريد بناء مجتمع متوازن و متكامل البناء بما يحقق جميع جوانب الإسلام الماديه و الروحيه.

ثانياً: ان على المسلم الا يزعم ان العبادات هى اهداف، و انها لا تتغير، بل انها- بالرغم من اهميتها- وسائل فى اطار الاهداف الكبرى للمسلم، و لذلك

فهى تتطور وفق مقتضيات تحقيق تلك الاهداف، مثل ظروف الحرب أو الهجره، فالصلاه و هى أهم العبادات تختصر بسبب الهجره أو الخوف.

ثالثا: على المسلم الا ينشغل بالصلاه عن باقى واجبات الاستعداد المادى، فعليه ان يكون حذرا مسلحا سريعا و نشيطا، فاذا كان الاستعداد واجبا حتى حين الصلاه، فكيف به فى غير هذه الحاله؟! بهذا يريد القرآن أن يبين لنا مدى الضروره فى تحقيق الشروط الموضوعيه للنصر على العدو و عدم التكاسل عن واحد منها، بتبرير أننا مسلمون و قضيتنا قضيه حقه.

و الآيه الرابعه و الاخيريه تبين هذه الحقيقه بصفه اخرى، إذ تحذرنا من مخاطر الحرب و آلام الهجره، و تبين لنا ضروره الاستعداد النفسى لتحملها، و الا- نتصور ان الحرب لعب، أو ان الهجره سياحه، إذ ان هذا التصور قد يؤدى بنا الى الوهن و الارتخاء، و التقاعس عن متابعه المراحل النهائيه للحرب، و الاكتفاء فقط بإسقاط الواجب.

بينات من الآيات:

القصر و صلاه الخوف:

[١٠١] فى حاله السفر و الخوف من العدو، كما إذا كان المهاجر يتعقبه الكفار ليردوه الى معتقل الكبت و الإرهاب، هنالك لا بأس عليه ان يصلى قصرا، فيحذف من كل صلاه رباعيه ركعتين، بالرغم من ان الصلاه عباده موقوته، و على المسلم أن يؤديها كما هى دون نقيصه، فانه بسبب السفر أو الخوف يسقط نصف هذه العباده.

وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ

ص: ١٤٨

و يبقى سؤال: هل القصر واجب في هذه الحالة؟ الجواب:

بلى..و السبب ان تعريض المسلم ذاته للخطر حرام،فاذا كانت الصلاه الواجبه فقط ركعتين،فاضافه ركعتين آخرين في ظروف الخوف حرام.

من هنا اكتفى القرآن بكلمه (لا جناح)أى(لا بأس)ليبان سقوط الوجوب عن الركعتين الاضافيتين.

أما حرمة إقامتهما فقد سكت عنها لوضوح الأمر من خلال معرفه ظروف الخوف التى أسقطت قسما من الصلاه،فلا- يجوز التفريط فيها بحياه المسلم.

إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَى ان يخدعوكم بمكيده،و يعودوا بكم الى ارض الطاغوت،أو يقتلوكم أثناء الصلاه.

إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا فعليكم التحذر منهم حذرا شديدا.

الحرب و صلاه الجماعه:

[١٠٢]أما فى حاله الحرب فان الصلاه تقام جماعه،حيث ينقسم المسلمون الى طائفتين:طائفه يقيمون الصلاه،و أخرى يواجهون العدو.

اما القائد فهو يصلى بكلتا الطائفتين،حيث انه يقف امامهم و وراءه الطائفه المصليه يصلون معه،و فى الركعه الاولى ينتظر الامام و هو جالس بينما يسارع

ص:١٦٩

المأمومون بالقيام و الركوع و السجود، و حين سجود هذه الطائفة تعود الطائفة الثانية التي لا تزال غير مصليه حتى يصيروا وراء المصلين، و بمجرد انتهاء صلاتهم و زحفهم نحو العدو، يكون هؤلاء قد استقروا فى مكانهم، حيث يقف الامام و يتابع صلاته، و تأتم به هذه الطائفة بحيث تصبح الركعة الثانية للإمام مساويه للركعة الاولى للمأمومين (و هم هنا الطائفة الثانية) فاذا جلس الامام للشهد قام هؤلاء و أضافوا ركعة ثانية و انهوا صلاتهم.

فيكون المحصل ان الامام صلى ركعتين كل ركعة بطائفة، و تكون كل طائفة قد صلت ركعة مع الامام و ركعة منفردة.

وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا آسِيْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ عَلَى الْمَحَارِبِينَ أَنْ يَكُونُوا فِي حَالِهِ الصَّلَاةِ مُسْلِحِينَ، و لا تشغلهم الصلاة عن الحرب بما فيها من الاهتمام بالسلاح و العتاد و الحذر.

إذ ان العدو ينتظر هذه الفرصة لينقض على المسلمين و يبيدهم، و فى حالة واحده فقط يسمح بوضع السلاح و هى حالة الضروره، مثل ان يكون المطر مانعا من الاهتمام بالصلاه و السلاح معا، أو يكون الشخص مريضا لا يستطيع ان يقوم و يقعد و يسجد و هو مثقل بالحديد.

وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ آسِيْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ آسِيْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ أَمْتَعَهُ الْحَرْبُ هِيَ الْعِتَادُ أَوْ الزَادُ وَ كُلُّهَا ضَرُورِيهِ لِلنَّصْرِ.

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِثْلَهُ وَ أَحَدَهُ وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ

كُتِبَ مَرَضِيٌّ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا و بالطبع يكون الحر الشديد، أو الرياح العاتية و ما أشبهه من الظروف التي يصح حمل الاسلحه فيها حرجا يكون بمثابة المطر.

ذكر الله بصيره المؤمن:

[١٠٣] فإذا انتهت الصلاة، و عاد المقاتلون الى الحرب، فعليهم ان لا ينسوا ذكر الله في مختلف الحالات.

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فَيَا مَأْمُورًا وَ قُودًا وَ عَلَيَّ جُنُوبِكُمْ أَي و أنتم مستلقون.

و ربما جاء الأمر بذكر الله بعد صلاة الخوف لتكميل النقص فيها، حيث يستحب ان يذكر المصلي قصرا ربه خلال فتره من الزمن، تساوى فتره صلاة الركعتين اللتين سقطتا عنه، و لكن لا- يجب ان يكون ذلك في هيئة الصلاة، بل أثناء قيامه بالأعمال العادية.

و بعد انتهاء الخوف و عوده الحياه الطبيعیه، تعود الصلاة كما كانت اربع ركعات.

فَمَاذَا اطْمَآنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا أَي أمرا ثابتا، و مقدرًا في أوقات محدده، و الشيء لا يكون ثابتا إلا لأهميته، كما لا يكون محددًا تحديدًا دقيقًا إلا لأهميته أيضا.

[١٠٤] إذا كان أداء الصلاة في الحرب يختلف عنه في السلم، إذا يجب ان

يكون قصراً، و يتسلح المصلى خلالها و يتحذر، فان ذلك يهدينا الى مدى اهميه التسليح و التحذر فى الحروب، و بالتالى الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات، و هذا شرط ضرورى لنصر الله.

و من الاستعداد التهيؤ النفسى للقتال، و الشجاعه فى الاقدام من دون خوف أو تردد، و هذا ما تبينه هذه الايه:

وَ لَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ لَا تَضَعِفُوا فِي مِتَابِعِهِ الْأَعْدَاءِ، و مهاجمه معاقلهم، و التفتيش عنهم، و بتعبير آخر: كونوا دائما المبادرين بالهجوم على العدو، و لا تخافوا من عواقب الهجوم، ذلك لان العدو بشر مثلكم، و هو يألم و ينهار بالصعوبات، كما تألمون أنتم و لكنكم لا تنهارون، لأنكم ترجون الله سبحانه.

إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا فهو بعلمه المحيط بكم يعلم مقدار تضحياتكم، و بحكمته يعطيكم النصر على قدرها، بعد الصبر عليها، و ليس عبثاً و بلا سبب.

ص: ١٧٢

اشاره

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مِمَّا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (١٠٩) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠)

اللغه

١٠٧ [يختانون]: يخونون.

١٠٨ [يستخفون]: يستترون و يتوارون.

ص: ١٧٣

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث العام عن طبقات المجتمع الاسلامى فى هذه السوره، تتحدث هذه الآيات عن طبقه المذنبين، وهم الذين يخونون أمانات الناس فىأكلون أموالهم بالباطل، أو يخونون أمانه الله فى تركبون الخطايا التى تعود على أجسامهم أو عقولهم بالضرر، وهذه طبقه تحاول أن تستميل القياده الى جنبها حتى تعمل ما تشاء، لذلك أمر الله رسوله الا- يجادل عنهم و الا يحميهم، ذلك لأن الرسول عليه أن يتبع الحق الذى أنزل عليه فى الكتاب، و يتخذه مقياسا لحكمه على الناس، و اتخاذه المواقف منهم.

و هذه طبقه تخشى من افتضاح أمرها عند القياده و الجماهير، و لا تعرف أنها أحق بالخشيه من عذاب الله، و لذلك فحتى إذا انحرفت القياده و هادنتهم زورا، و حتى إذا ضللت الجماهير، فهى لا تتعد عن عقاب الله سبحانه و تعالى غدا.

و أمام هذه الطبقة طريق واحد للتخلص من واقعها و هو التوبه،فاذا تابوا و عادوا الى الايمان أصبحوا و كأنهم لا سوابق سيئه لهم.

بينات من الآيات:

المبدئية فى القيادة الاسلاميه:

[١٠٥]القيادة الاسلاميه قياده مبدئيه و ليست قياده مصلحيه،و لذلك فهى لا تنظر الى بعد الناس أو قربهم إليها،بقدر ما تنظر الى بعدهم أو قربهم عن الله سبحانه.

و من هنا فهى لا- تمالى طبقه الكبراء أو المفسدين لمجرد قوتهم،أو من أجل دعمهم المحدود للقياده.كلا..بل تنابذهم العداة حتى يتوبوا الى الله،فالقوى العزيز عند القائد الاسلامى ذليل ضعيف حتى يؤخذ الحق منه،و الضعيف الذليل قوى عزيز حتى يؤخذ الحق له،كما قال الامام على عليه السلام .

ان الكتاب هو المقياس فى الحكم على الناس و ليست المصالح أو الأهواء.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ و لذلك فلا- مكان للفساد الادارى فى الحكم الاسلامى الصحيح،و لا مكان للواسطة،و الرشوه،و المحسوبيات على حساب حقوق الناس.

وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا أى لا تخاصم فى مصلحه الخائنين،و لا تجعل قوه السلطه فى خدمه هؤلاء

الذين يخونون الناس و يأكلون حقوقهم، و هؤلاء هم أصحاب مراكز القوى و العائلات الكبيره، و أصحاب الجاه العريض و الثروه الطائله.

حفظ الاستقلال مهمه القيادة

[١٠٦]المهمه الصعبه للقياده هي:المحافظه على استقلالها امام الخائنين، و ترفعها عن اغراءاتهم و رشواتهم و مكائدهم، و قدرتها بالتالى على أن تكون حاكمه بين الناس بالعدل.

و لصعوبه هذه المهمه أمر الله القياده بالاستغفار، إichاء بأنها لو وقعت فى شرك الخائنين «لا يسمح»فعلبيها أن تصحح مسيرتها بسرعه و تتوب الى الله.

وَ اسْتَغْفِرِ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ان الاستغفار يعطى القياده مناعه من الوقوع تحت تأثير مراكز القوى، و يعطى القياده شجاعه لتحدى الناس، و الخوف فقط من الله رب الناس أجمعين.

[١٠٧] وَ لَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ أَى يخونون أنفسهم بارتكابهم الذنوب، و على القياده الرساليه ألا تهادن هؤلاء و لا تجمل صورتهم القبيحه أمام الناس، و تبرر للناس معاصيهم، لأن الله لا يحب هؤلاء الذين لا يزالون يخونون أمانه الله الذى أمرهم بحفظ أجسامهم، و عقولهم، و كرامتهم من الإثم و الخطيئه. فالزانى يخون الله فى جسده و نسله و هما أمانتان لله على عاتقه، و شارب الخمر يخون الله فى جسده و عقله، و لا عب القمار

يخون الله في جسده و ماله، و بالتالى كل مذنب يتصرف فى نعم الله التى هى امانات عنده بغير ما امر الله.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا

ازدواجيه الشخصيه

[١٠٨] هؤلاء يتكتمون على أنفسهم لكي لا يعرف الناس ارتكابهم للذنوب، غافلين عن أن الله عارف بأمرهم، و أنه هو الذى يجازيهم عليه.

فالخمر و الزنا و القمار و كل الذنوب الأخرى تتبعها آثارها الضاره، سواء عرف الناس أم جهلوا.

ثم إن الله يعرف هؤلاء قبل أن يرتكبوا الذنوب، بل حين ينوون ذلك أو يتآمرون بينهم عليها فى الليل، إن الله معهم يسمعهم، و يسجل عليهم أقوالهم و نياتهم، أ فلا يستحيون منه؟! يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا فهو يعلم ما يقولون و قادر على منعهم متى يشاء!! كما هو قادر على أن يأخذهم حين يشاء أخذ عزيز مقتدر! [١٠٩] و لنفرض أنكم بررتم مواقف هؤلاء المذنبين، و جملتم صورهم أمام الناس هنا فى الدنيا، فمن ينقذهم هناك فى الآخرة من الفضيحة أمام الخلق فى يوم القيامة؟ و من يخلصهم من حكم الله؟ و من يحامى عنهم فى محكمه العدل؟!

ص: ١٧٧

لَمَا أَنْتُمْ لِلْهُلَاءِ جَادِلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا [١١٠] و لهؤلاء باب
واحد للخلاص هو التوبه حيث أنهم لو دخلوه أصبحوا مواطنين شرفاء يقبل الله توبتهم و المؤمنون.

وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا

ص: ١٧٨

إشاره

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَ مَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا- مَنْ أَمَرَ بِصِدْقِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَ نُضَلِّهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)

اللغه

١١٤ [نجواهم]: النجوى هى الأسرار، و النجوى فى الكلام ما ينفرد به الجماعه أو الاثنان، سرا كان أو ظاهرا.

١١٥ [يشاقق]: الشقاق الخلاف مع العداوه، و شق العصا أى فارق الجماعه.

[نوله]: من الولى و هو القرب يقال الشىء يليه إذا قرب منه.

ص: ١٨٠

إشارة

و طريق الانحراف

هدى من الآيات:

أسوأ ما فى طبقه الخائنين و المختائين أنهم لا- يتحملون نتائج أعمالهم، فيحاولون إلقاء مسئولياتها على الآخرين بطريقه أو بأخرى، فيقولون مثلاً: أن حادثه القتل قد ارتكبها فلان، أو يقولون بأن السبب فى شربنا الخمر تربيته الآباء لنا على ذلك، و أننا تبعاً، لذلك فنحن غير مسئولين عن هذا الذنب بل آباؤنا هم المسئولون.

و عند تبرئه أنفسهم و اتهام الآخرين بالجرائم، يحاولون تضليل القيادة و اقناعها خطأً بأن مرتكبى الحادث الفلانى هم فلان و فلان.

و لكن هذه المحاولة تبوء بالفشل، و تخلف أثراً سلبياً على أنفسهم، إذ تجعلهم يتصورون أنهم غير مسئولين تصوراً أشد، و بالتالى لا تتركهم يعودون الى رشدهم.

و الرسول لا يضلل لأن الله انزل عليه الكتاب، و فيه بصائر توضح المواقف

التي لا بد من اتخاذها من مختلف الأشخاص، كما أن فيه الحكمة و الأسلوب الصحيح لمعاملة الناس حسب طبقاتهم و أعمالهم، وفيه القدره على كشف الحقائق و هذا هو الفضل الكبير.

و بعض هؤلاء يحاول التزلف الى الرسول و مناجاته لكي يبرئ ساحتة أمام الناس، و يتظاهر بمظهر المؤمن المقرب عند الله و عند رسوله، فيأتي و يناجى الرسول و هو لا يملك شيئاً يقوله، بينما المناجاة يجب أن يكون لها هدف سام، و بعضهم ينابذ الرسول العداة علناً، و هو بذلك يختار الكفر على الايمان و الله يعامله على هذا الأساس.

بينات من الآيات:

مسئولية الإنسان:

(١١١) ما دام الإنسان حراً في تصرفاته فإنه يتحمل مسئوليته أعماله، و ليس من الصحيح أن يلقي بمسئوليته عمله على الآخرين باسم أو آخر، فليست التريية، و ليس المجتمع، و ليست السلطه، و ليس الأصدقاء و.. و.. هم المسئولون عن ارتكاب الفرد للخطيئه أو الإثم بقدر ما هو المسئول.

وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّهُ يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَي يَكْسِبُهُ وَيَكُونُ ضَرراً عَلَىٰ نَفْسِهِ.

وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَ لذلك فإنه لا يحمل المسئولية الا على من ارتكبها.

[١١٢] وحين يفعل الفرد خطيئه كبيره أو إثماً، ثم يحاول القاءها على الآخرين و يدعى انهم المسؤولون عنها، أو حتى يدعى - كذبا- انهم هم الفاعلون مباشره لها فان ذلك يعتبر إثماً جديداً، يضاف الى إثمه السابق، فيصبح إثماً مضاعفاً و مسؤليه مزدوجه.

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا و عوده مثل هذا الشخص الى الطريق الصحيح أصعب من عوده من يرتكب الذنب و يعترف به، لأن هذا يزكى نفسه و يبعدها عن دائره المسؤليه، فكيف يمكنه إصلاح ذاته؟! و ربما الخطيئه هي: الإثم الكبير، و منه الذنب الذى يعود بضرره على الآخرين، بينما الإثم مطلق الذنب و البهتان و ادعاء قيام الناس بالذنب و هم براء منه.

الاجرام المضلل و القيادة المبدئية:

[١١٣] المجرمون و الخائنون للناس المختانون لأنفسهم يحاولون دائما تضليل القيادة، و ذلك باستمالتها بإغراءات مختلفه مثل: المساهمه فى الأرباح التى يحصلون عليها باغتصاب حقوق الناس، أو دعم القيادة فى مواجهه أعدائها فى الداخل و الخارج، أو تخويفها بالانضمام الى الجبهات المناهضه لها... و هكذا، فى الواقع أن خطر وقوع القيادة فى شرك هؤلاء خطر عظيم.

و من الصعب أن تصمد القيادة أمام موجات الضغوط، و الاغراءات القادمه

من طرف المجرمين، إلا إذا كانت القيادة مبدئية تتمسك بالرساله، و ينقذها الله في لحظه الضغوط ببعض الانتصارات التي تجعلها مطمئنه الى قوتها في مواجهه الضغوط، و الرساله هي فضل الله، و الانتصارات و ركائز القوه هي رحمه الله.

وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ الْوَاقِعُ أَنْ تَلْكَ الطَّائِفَةُ قَدْ خَطَّتْ فَعَلًا لِتَضْلِيلِ الْقِيَادَةِ، وَ لَكِنْهُمْ حِينَ وَ جَدُوا أَمَامَهُمْ طُودَ الْإِيمَانِ الرَّاسِخِ تَرَاوَعُوا وَ لَمْ يَحْرُكُوا سَاكِنًا وَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَهْمُوا بِذَلِكَ أَبَدًا، وَ هَذَا مِنْ بَلَاغِهِ الْقُرْآنِ حَيْثُ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَهْمُوا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ يَنْبَهَ كَأَنَّ مَوْجُودَهُ لَدَيْهِمْ، وَ لَكِنْهُمْ حِينَ لَمْ يَجْرَأُوا بِتَنْفِيذِهَا فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَهْمُوا..

وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَضِلَّ النَّاسَ تَتَرَسَّخُ عِنْدَهُ الضَّلَالَةُ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ، وَ كَذَلِكَ كُلُّ صِفَاتِ الْإِنْسَانَ الْعَقْلِيَّةِ وَ النَّفْسِيَّةِ، أَنْكَ حَيْثُ تَرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ أَحَدًا شَيْئًا يَزِدَادُ عِلْمَكَ، وَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَهْدِيَ أَحَدًا تَزِدَادُ هُدَى.

وَ مَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ بِالرَّغْمِ مِنْ تَهْدِيدِهِمْ لَكَ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَنْضَمُونَ إِلَى الْجِبَاهَاتِ الْمَعَادِيَةِ لَوْ لَمْ تَسْكُتْ عَنْهُمْ، ذَلِكَ لِأَنَّهِمْ عُنَاوِرُ اتِّهَازِيَّةٍ، وَ هُمْ لَا يَنْفَعُونَ جِبْهَتَكَ أَبَدًا.

وَ أَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَمَثَّلُ قِيَادَةَ رِسَالِيَّةِ ذَاتِ دَسْتُورٍ ثَابِتٍ مَتَمَثَّلُ فِي (الْكِتَابِ) وَ ذَاتِ رُؤْيِيَّةٍ اسْتِرَاتِيغِيَّةٍ ذَكِيَّةٍ نَاجِحَةٍ مَتَمَثَّلُهُ فِي (الْحِكْمَةِ) وَ هَذَا هُوَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى إِنَّكَ تَمَلِكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْعِلْمَ وَ هُوَ قُوَّةٌ هَائِلَةٌ لِدَحْرِ الْعَدُوِّ

و هو رحمه الله عليك فكيف يضرورك؟! وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَرَّمَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ عَظِيمًا

أهداف المنافقين:

[١١٤] و من أساليب هؤلاء الماكره التلطف الى رسول الله لهدفين:

الاول:محاولة التأثير فيه حسب المستطاع.

الثانى:إظهار القوه لأنفسهم أمام الناس،و التظاهر بالتقوى،حتى يمكنهم خيانه الناس و الاستمرار فى المعاصى بعيدا عن روع الجماهير.

و لكن على الرسول أن يبعدهم عن نفسه.و ان يصغى الى نجوى من يأمره بالخير،و هكذا على كل قياده رساليه أن تبعد عن نفسها البطانات الفاسده، و تتخذ مستشارين صالحين يأمرون بالخير.

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ لَعَلَّ الصَّدَقَةَ هِيَ الْعَطَاءُ الْمَالِي لوجه الله،و المعروف هو العمل الصالح، و الإصلاح هو ازاله التوتر بين الناس،و المستشار المؤمن هو الذى يأمر بالعطاء فى مواقعه الصحيحه،فهو يفتش عن المحرومين و يأمر بالعطاء لهم،و لا يأمر بالعطاء للمستكبرين الطغاه أو لأصدقائه و أقاربه!

ص: ١٨٥

و هو يأمر أيضا بالأعمال الحسنه المفيده للمجتمع، و يأمر باتباع الحق و الهدى، و هو يأمر بالإصلاح و لا يذكرى الأحقاد، أو ينمى فى القيادات الحساسيات التافهه، و هذا المستشار المؤمن يهدف بعمله مرضاه الله، لا مرضاه سيده و أقاربه و أهوائه، و جزاء عمله سيراه فى الدنيا و الآخره.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

معصية الرسول كفر بالله:

[١١٥] و المجرمون الذين يعارضون رسول الله صلى الله عليه و آله لأنه أمرهم بالتقوى و لم يرضخ لضغوطهم، لا بد أن يعرفوا أنهم يبارزون الله، و انهم سوف ينتهى بهم الأمر الى الكفر و الى جهنم.

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ أَى يتردد عليه و ينشق عن قيادته.

مَنْ بَعِدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ و يقف فى الجبهه المعاديه لجبهه الرسول و المؤمنين، فانه يحكم على نفسه بالكفر، و الله يكرس عليه هذا الحكم الذى رضيه لنفسه بما فيه من مصير أسود.

نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَ نُضِلُّهُ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا ان هذا الإنذار يجعل المؤمن يفكر مرتين قبل أن يقدم على مقاومه القياده، بسبب تصلب القياده فى تطبيق القانون عليه، و عدم استجابتها لضغوط أهل

المعاصى فى الامه، و بذلك تكون القياده قويه و قادره على تطبيق القانون على الجميع.

لقد ثبت عند أمير المؤمنين «على بن أبى طالب» أن واحدا من قواد جيشه شرب الخمر، فاستقدمه و أجرى عليه الحد، و لم يقبل
توسله أو شفاعه أحد فيه فقام الرجل و قال:

يا أمير المؤمنين البقاء معك «ذل» و مفارقتك «كفر» فأجابه الامام قائلا:

(كلا.. ان البقاء معى عز) ذلك أن تطبيق نظام السماء بالعدل هو العز، و لقد كان بإمكان هذا أن ينسحب الى جبهه العدو، و لكنه
خشى أن تنطبق عليه هذه الآيه فيصبح كافرا.

ص: ١٨٧

اشاره

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَاللَّائِيهَاتُ يَحْسَبُنَهُنَّ كَالْمُحْسِنَاتِ وَلَئِن حَسِبْنَ إِلَّا أُمَّمًا فَلْيَحْزَنُوا إِنَّمَا تُحِسُّونَ فِي نَفْسِكُمْ فَلْيَمَّازُوا عُنَادَ رَبِّكُمْ وَأَلْبَسُوا عَلِيمًا لَمْ يَلْمِزْهُمْ عَزَمْتَ (١١٩) لَمَّا مَرَّنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)

اللغه

١١٧[مريدا]:المارد و المتمرد بمعنى العاتى و الخارج عن الطاعه.

١١٩[فليبتكن]:التبتيك التشقيق،و البتك القطع.

١٢١ [محيصا]: مخلصا و مهربا، و المحييص من حاص، بمعنى عدل و انحراف.

ص: ١٨٩

هدى من الآيات:

استمرارا للحديث القرآنى عن طبقه الخائنين و المختانين أنفسهم تبين هذه الآيات جانبا من قضيه الشرك بالله، ذلك الجانب الذى يعتبر النهايه الحتميه للتمادى فى معصيه الله، و اتباع الهوى من دون الله.

ان الخيانه للناس أو للنفس تنتهى بنوع من الشرك، و الشرك لا يغفره الله أبدا لأنه ضلال بعيد.

و ذلك النوع هو عباده الأصنام و الأجنه باعتبارها آلهه صغارا يشفعون عند الله سبحانه، و الواقع أن عباده هؤلاء ليس للصنم بل رمز للشيطان المرید الذى يضل هؤلاء، و قد أقسم قديما على تضليل البشر.

و ان تقديم الذبائح للأصنام بتلك الصوره البشعه إنما هو بأمر الشيطان الذى يستخدم فى تضليلهم سلاح الوعود الكاذبه، و الأمانى الباطله، فهو يعدهم بالخصب و الرخاء، و يمنيهم بالألأ يؤخذوا بجرائم أعمالهم.

و بعكس ما يعدهم الشيطان فان هؤلاء سوف يلاقون جزاء أعمالهم فى

جهنم، و سوف لن تنفعهم أمانى الشيطان.

و الذين يعملون الصالحات و هم مؤمنون سيد خلون الجنة.

ان الشرك بالله هو نتيجة اتباع الهوى، و إنما يشرك بالله من يشرك حين يستمر فى معاصى الله، و يتهرب من مسئوليات طاعته.

بينات من الآيات:

الشرك بالله و حدود المغفره

[١١٦] بالرغم من أن رحمه الله واسعة و مغفرته كبيره تشمل كل الذنوب إلا أنها لا تسع الشرك بالله لأنه ذنب عظيم، و ضلاله بعيده لا يمكن إصلاحها أو التغاضى عنها.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا .

لأنه لم يعرف الله حتى قرنه ببعض خلقه، و لم يعرف الخلق حتى قرنه بالله سبحانه، و ليس هناك شىء أبعد من شىء فى طبيعته و صفاته و أسمائه من الخالق عن المخلوق، فالذى يخلط بينهما لم يعرف أيا منهما.

و الشرك انحراف رئيسى لا يصلح معه عمل و هو أشبه ما يكون بالسير نحو الشرق للوصول الى هدف فى الغرب حيث لا يمكن تصحيح هذه المسيره، بل علينا تبديلها تماما، و لذلك لا تسع مغفره الله جريمه الشرك رغم أنها تسع كل ذنب آخر.

و لأنه انحراف رئيسى و سائر انحرافات البشر متفرعه عنه، بل ليس هناك انحراف إلا و يحمل فى جذوره صورته مصغره من الشرك بالله.

فالتكبر على الناس، و التعالى عليهم، و الايمان بالعنصريه و الطبقيه و.و. نوع

مصغر من الشرك حيث لا يتكبر الشخص إلا إذا وضع نفسه في صف الإله، و نسي انه ليس سوى مخلوق من خلق الله، و لا ريب ان التكبر بدوره جذر لآلاف الجرائم. إذ أن الشخص الذى يتعالى على الناس لا يتورع عن القيام بأية جريمه ممكنه بحقهم، و الخضوع لبعض الناس، و اعتبار كلمتهم هى الحق الذى لا ريب فيه، و اتباع سيرتهم اتباعا مطلقا، و بالتالى العبوديه لهم نوع من الشرك بالله، حيث يضع الخاضع سيده فى صف الإله، و ينسى أنه ليس سوى بشر ضعيف، و عبوديه الآخرين جذر لآلاف الجرائم أيضا، و هكذا سائر المعاصى الكبيره و الصغيره إن هى إلا صور مصغره عن الشرك بالله. تلك الضلاله البعيده التى تجسد كل انحرافات البشر.

منشأ الشرك

[١١٧] و الشرك بالله يبتدأ بفكره القوى الغيبية الخارقه التى تسمى بالأرواح و تنقسم الى:

الملائكه و هى القوى الخيره، و الأجنه و هى القوى الشريره.

فالملائكه كانت تعبد فى الجاهليه باعتبارها بنات الله سبحانه، بينما كان الجن يعبد باعتباره أندادا لله و منافسا لسلطته على الكون.
إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا - إِنْثَاءً وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا - شَيْطَانًا مَرِيدًا وَ المريد أى المتمرد دائما عن إطاعه أوامر سيده و الاعتقاد بالأرواح (الشريره منها و الخيره) و الاستعانه بها، و جعل رموز حجرية لها فى شكل أصنام تعبد، و تقدّم إليها القرابين. كل تلك كانت أغلالا على طاقات البشر، و قيودا تعطل انطلاقته فى الحياه.

ص: ١٩٢

ان الجاهلى الذى كان يتصور ان(هبل)هو الذى يشفيه من مرضه،لا يطلق طاقاته من أجل البحث عن الدواء،كما انه لم يكن يسعى من أجل تنميه ماله أو أرضه أو ماشيته أو تجارته سعيا عقلانيا لأنه ما دام يعتقد أن بضع ذبائح تهدى الى اللات تكفى لفعل المعجزه فى حياته الاقتصاديه.

و كان الجاهليون يعطلون عقولهم حين يتصورون ان الجنّه(الشياطين)توحى إليهم،و كان أحدهم يجلس فى غرفه مظلمه،و يقوم بعمله إحياء ذاتى مستمر حتى يخيل اليه أن هاتفا غيبيا يحاوره،و إنما كان يحاور ذاته،و يجتر خيالاته و ظنونه،و بالتالى كان كلامه لا- يعدو تكرارا لا-واعيا لما انطبع بقلبه من أفكار و انعكاسات،و بالطبع كان كلامه الواعى و غير الواعى مجرد أباطيل و أوهام تقف حاجزا أمام انطلاقه فكره،و تحرك عقله.

أهداف الشيطان

[١١٨] وقصه الملائكه تختلف عن قصه الشياطين فبينما الملائكه عباد مطيعون لله،لا يشفعون إلا لمن ارتضى،و بالتالى التقرب إليهم لا ينفع شيئا لأن الكلمه الحاسمه النهائيه إنما هى لله سبحانه،أما الشياطين فهم مطرودون من رحمه الله و ملعونون،و لكنهم اليوم فى فسحه من المهله،و لا يعنى قيامهم بإضلال البشر أنهم قادرون على مقاومه هيمنه الله..كلا..بل يعنى أن الله أمدهم بفره من الوقت لكى يمتحن عباده بهم.

فالشيطان و هو إبليس.

لَعَنَهُ اللَّهُ وَ قَالَ لَا تَأْخُذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْبًا مَفْرُوضًا إِنَّ الشَّيْطَانَ وَ هُوَ يَمِثْلُ قَوَى الشَّرِّ وَ الْخَطِيئَةِ، وَ يَدْغِدْغُ رَغْبَاتِ السُّوءِ فِى الْبَشْرِ،

و يمد فى جهله و ضلالتة.انه جاد فى إضلال الإنسان،و قد خطط للسيطره على بعض أبناء آدم.
و لذلك قال:(نصيبا مفروضا)و كأنه تقاسم مع الله البشر فأخذ طائفه معينه و ترك طائفه لله سبحانه.

الشيطان و فساد الحياه

[١١٩]الشيطان يستخدم سلاح الأمانى فى إضلال البشر،و علينا كبشر أن نتحذر من هذه الأمانى حتى لا يعمل سلاح الشيطان فىنا عمله الخطير.

الشيطان يمنى الإنسان بطول العمر،و بالخلود فى الدنيا و يمنيه بالملك الدائم و الثروه الطائله،و هكذا يصور الشيطان للإنسان ان الوصول الى أهدافه ممكن عن طريق ملتو.

و يأمر الشيطان الإنسان فيما يأمره من الضلاله ليبتك آذان الأنعام،و يغير خلق الله.

إن ذلك يمثل ضلاله الشيطان التى يأمر بها الإنسان،إنه يمثل دعوه الشيطان للإنسان بأن ينحرف عن طريق الاستفاده من الطبيعه الى طريق إفساد الطبيعه.

ان الله خلق الأنعام و خلق كل عضو فيها نافعا لها و مؤديا وظيفه فى جسدها، و بالتالى جعل كل عضو من أعضائها يؤدى بصوره غير مباشره خدمه للإنسان، و لكن الشيطان يضل البشر و يجعله يفسد أعضاء الحيوان،و بالتالى يسقط منافعه المرتقبه له.

وَأُضِلَّتْهُمْ وَ لَأْمَنِيَّتْهُمْ وَ لَأْمَرْتَهُمْ فَلَيَبْتِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَ لَأْمَرْتَهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ

و لذلك فمن يتبع الشيطان فانه يخسر منافع الحياه لأن الشيطان يعده أبدا عن الطرق السليمه للاستفاده من الحياه.

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا .

تسويق الشيطان

[١٢٠]ماذا يقول الشيطان للإنسان؟ يقول غدا و بعد غد سوف تحصل على كذا و كذا...فاذا بلغ غده يعده بما بعده حتى يبلغ أجله و لا يصل الى شىء مما وعده الشيطان.

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

ما هي النتيجة

[١٢١]أما فى الدنيا فسوف يصابون بنتائج غرورهم، و أما فى الآخرة فجزاؤهم فيها جهنم لا يستطيعون فيها فرارا.

أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا .

أى لا يزحزون عنها قيد أنمله،و الكلمه من:حاص يحيص أى تحرك فى مكانه.

[١٢٢]أما المؤمنون الذين لم يخلطوا بايمانهم شركاء،و أخلصوا العباده لله الحق،فان جزاءهم الجنة.

و هذا وعد من الله و لكنه وعد حق.بعكس وعود الشيطان الكاذبه لأن الله أجل و أعظم من الكذب،و لا يدعوه الى الكذب حاجه أو جهل سبحانه.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا .

ذلك هو منتهى تطلع الإنسان أن يسكن جنه تتوفر فيها حاجاته الجسديه، و المتع النفسيه، و من أبرزها الأنهار التي تضيء جمالا على الجنه، و أن يكون مطمئنا الى مستقبله، و أنه خالد لا يزعه موت أو طرد عن النعيم المقيم فيه.

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا

ص: ١٩٦

اشاره

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦)

اللغة

١٢٣ [أمانى]: جمع أمنيته و هي تقدير الأمان في النفس على وجه الاستمتاع به و أصله التقدير.

١٢٤ [نقيرا]: هي النكته الصغيره المنخفضه في ظهر النواه التي منها ينبت.

١٢٥ [خليل]: الخليل مشتق من الخله التي هي المحبه أو من الخله التي هي الحاجه و إنما استعمل بمعنى الصداقه لأن كل واحد من المتصادقين يسد خلل.

صاحبه و قيل لأن كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكأنه في خلل قلبه.

هدى من الآيات:

هناك قاعدتان نفسيتان للشرك بالله.

الأولى: اللامسؤوليه.

الثانيه الجهل بالله.

بالنسبه للقاعده الأولى: فان من الأسباب التي تدعو البشر الى الشرك بالله، و الايمان بالإناث من عباده، و بالشيطان المرید إنما هو محاوله التخلص من ثقل المسؤوليه فى الحياه.

ذلك ان البشر الذى يهوى الفرديه المطلقه لنفسه يريد أن يبرر بطريقه أو بأخرى أعماله القبيحه، فيتوسل بفكره تعدد الآلهه حتى يطمئن نفسه بالخلاص من عقاب الله عن طريق التزلف الى إله آخر.

و لقد رأينا كيف ان الشيطان يمد أولياءه فى هذا الغى عن طريق إعطاء

الأمانى الكاذبه التى تخدع الإنسان، و تعده بالجنه بدون عمل.

و فى هذه الآيات ينسف القرآن هذه القاعده النفسيه، و يبين أنّ الأمانى لا تكون مقبوله أبدا عند الله.

و إن المسؤليه موجوده اعترف بها البشر أو أنكرها، و أنّ من يعمل سوءا أيا كان فله جزاؤه العادل. كما أنّ من يعمل الصالحات يجزى عليها من دون نقيصه، و أنّ المقياس عند الله هو التسليم المطلق له لا التمرد عليه بحجه التحرر، أما البرنامج العملى للإنسان فهو طريق إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا، بعد أن أسلم وجهه لله.

و فى الآيه الاخيريه ذكر سبحانه ان له ما فى السموات و الأرض، و بذلك نفى القاعده الثانيه للشرك، و هى جهل الإنسان بعظمه الله، بواسع قدرته، و بأنه لا يقارن بخلقه.

بينات من الآيات:

الأمانى و واقع المسؤليه:

[١٢٣] هل تحصل على مليون دينار إذا حلمت بذلك أو تمنيتها؟ و هل تبني مدينه كبيره بمجرد التخيل بذلك و الرغبه فيها؟ كلا..

فكيف يريد البشر أن يحصل على الجنه، و هى أعلى و أعظم من مليون دينار، و من مدينه كبيره بمجرد الأمانيه.

إن مثل هذه الأمانيه مثل شيخ كبير فقد ابنه العزيز عليه فى حادثه مفاجئه، و لهول الفاجعه لم يستطع أن يصدق بها، فيمنى نفسه بحياه ابنه فى محاوله لتخفيف الألم عنه.

و بالرغم من أنه يعلم بموت ابنه، ولكنه يتهرب من عقله، و يستريح الى ظل خياله الوارف. كذلك الذين يتهربون من مسئوليات أعمالهم بالأمانى.

ان نفوسهم صغيره، و أن عزائمهم ضعيفه و متهاويه، و لا يقدرّون على تحمل المسئوليه فيتهربون الى ظل الخيال، و يمتنون أنفسهم بشتى الأمانى، و منها مثلاً:

ان المسيح سيفدنا بنفسه، أو ان هبل ينقذنا من عذاب الرب، و هكذا.. أما القرآن فيجعل الإنسان وجها لوجه أمام مسئوليه فى الحياه، و يقول له:

لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ الَّتِي تَزْعُمُونَ بِهَا التَّخْلُصَ مِنَ الْمَسْئُولِيَةِ عَنْ طَرِيقِ التَّوَسُّلِ بِالْأَصْنَامِ.

وَ لَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَسِيحَ سَيَفْدِيهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَ لَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا فَلَا يَدْفَعُ أَحَدٌ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا أَحَدٌ قَادِرٌ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ سُلْطَانِ اللَّهِ فِي الْكُونِ.

تخزين الأعمال

[١٢٤] و فى المقابل سيجزى الصالح بقدر أعماله. من دون أية نقيصه سواء كان ذكرا أو أنثى و لكن بشرط واحد هو أن يكون عمل الصالحات من منطلق الايمان بالله. إذ من دون هذا الايمان فان الصالحات ستكون زبدا طافحا على السيل سرعان ما تنكشف حقيقته.

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا

يُظَلِّمُونَ نَفِيرًا أَيْ لَا يَظْلَمُونَ حَتَّى بِقَدْرِ مَا فِي الْحَفْرَةِ الصَّغِيرَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي طَرَفِ نَوَاهِ التَّمْرَةِ، أَوْ بِمَقْدَارِ مَوْقِعِ نَقْرِ النَّاقِرِ.

و شعور الإنسان بأن كل أعماله حسنه محفوظه له، و هو مجزى بها عن قريب، هذا الشعور يدفعه الى التسارع فى الأعمال الحسنه، و محاوله مضاعفتها يوما بعد يوم، و ساعه بعد ساعه.

و لكى يدفع الشيطان البشر الى التكاسل يوحى اليه: أن سيئاته تغفر له بشفاعه فلان و علان، و ان حسناته لا تقبل منه، لذلك نجد القرآن يؤكد عبر هاتين الآيتين أن للحسنات و السيئات جزاءها العادل من دون نقصان.

خط إبراهيم:

[١٢٥] ليس التوجه الى الأصنام، و التنافس فى عبادتها، و تفاخر كل فريق بصنمه، ليس ذلك هو الدين الحسن إنما الدين الحسن هو ما فعله إبراهيم حين أعرض عن كل رموز الشرك و الضلاله، و كل أصنام الظلم و العبوديه، و توجه الى الله وحده، و أخلص العبوديه له، و أسلم وجهه له. أى بوجهه كاملا اليه، فلم يهدف شيئا غير وجه الله سبحانه، ثم تزود بالصالحات فلم يكتف بالواجب منها فقط. بل أكثر منها حتى أصبح محسنا.

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا أَيْ مَشَى عَلَى طَرِيقِهِ إِبْرَاهِيمَ فِي رَفْضِهِ الْأَصْنَامِ وَ الرَّمُوزِ الْحَجَرِيَّةِ وَ الْبَشْرِيَّةِ.

وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا فَانْتَفَعَ إِبْرَاهِيمَ بِرَفْضِهِ الْعِبُودِيَّةِ لِلْأَصْنَامِ وَ الشَّرْكَاءِ نَفْعًا عَظِيمًا، حَيْثُ قَرَّبَهُ

اللّٰه اىه؁ و جعله خلىلا له.

[١٢٦] ان اللىن يتخذون من دون اللّٰه اربابا لا- يقدرّون اللّٰه حق قدره. بل لا يعرفون اللّٰه اطلاقا؁ فلو عرفوا اللّٰه و علموا انه بسط قدرته على كل شىء فى السماء و الارض اذا لصغرت فى اعينهم الاحجار الصماء التى تنحت بايديهم؁ و تتخذ آلهه من دون اللّٰه؁ و لتضاءل الاشخاص اللىن زعموا بانهم شركاء للّٰه؁ ان معرفه قدره اللّٰه من النظرة الفاحصه فى السماء و الارض؁ و اكتشاف آثار قدرته.

انها معالجه جذريه لمشكله الشرك فى الانسان؁ و لذلك ذكرنا اللّٰه هنا بهذه القدره:

وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِي الْاَرْضِ وَ كَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا احاطه علم و قدره. فليس هناك شىء يتناول على قدره اللّٰه؁ او يخفى على علمه سبحانه؁ و اذا ثبت قدره اللّٰه؁ و عرفنا اّ ملجأ منه اّ الىه فان من الطبيعى ان نسلم و جوهنا له؁ و نتبع مله ابراهيم حنفاء.

ص: ٢٠٢

إشاره

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَدِ أُمِّي النِّسَاءِ الْأَلَا تَتَىٰ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشْوِزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَنْ تَسِيَطِعُوا أَنْ تُعِيدُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)

اللغه

١٢٧ [يستفتونك]: الفتيا و الفتوى الجواب عما يشكل من الأحكام، و يقال: استفتيته فأفتى بكذا و الاستفتاء السؤال عن الحكم.

١٢٨ [الشح]: افراط في الحرص على الشيء و يكون بالمال و بغيره من الاعراض و يقال الشح البخل و عدم التنازل عن الحقوق.

هدى من الآيات:

العدالة أساس العلاقات الاجتماعية، وعلى المسلم أن ينشر بذور العدالة في أسرته. فلا يظلم زوجته التي هي في بيته، و تحت رعايته، ولا يأكل عليها مهرها خصوصا إذا كانت يتيمه.

و بعد الزوجه يأتى دور الأطفال الصغار الذين لا يستطيعون دفاعا عن حقوقهم، و اليتامى. حيث يجب تطبيق العدالة في علاقه الشخص بهم.

و على الزوجه أن تحاول من جانبها اقامه علاقاتها مع الرجل على أساس المصالحة لا المطالبه بكل ذره من حقوقها.

ذلك ان علاقات المصلحه الذاتيه، و بالتالى المطالبه التامه بكل الحقوق تسبب الشقاق بسبب طبيعه البخل المرتكزه فى نفس البشر، و لذلك فالأفضل دائما اقامه علاقه التقوى و الإحسان و المسامحه بدلا من العلاقات الحديه حيث يطالب كل جانب بكل حقوقه.

و على الرجل ألا يحرص فى تعدد الزوجات إذ أن من الصعب عليه اقامه العدل بينهما، فيضطر الى ترك واحده منهن أو أكثر كالمعلقه فلا هى زوجته و لا هى مطلقه.

و فى حاله وصول العلاقه الزوجيه الى حاله من الجمود و التنافر فالأفضل الانفصال دون أى خوف من الفقر لأن الله هو الرزاق.

ان علاقه الزوجين ببعضهما تشكل جانبا هاما من علاقات المجتمع بعضه مع بعض. كما و انها تنعكس على هذه العلاقات سلبا أو إيجابا، و كثير من الذنوب تنشأ مباشره أو غير مباشره من العلاقه السيئه بين الزوجين.

و لذلك أعاد القرآن هنا الحديث عن العلاقات الزوجيه بعد ما تحدث عنها فى بدايه السوره، و ذلك فى اطار الحديث عن الذنوب و طبقه المذنبين الذين يختانون أنفسهم أو يخونون الناس، لتكون الذنوب التى ترتكب فى المحيط العائلى مثلا للذنوب التى ترتكب خارجه.

بينات من الآيات:

حقوق المرأة:

[١٢٧] بسبب النظرة الجاهليه المقيته الى النساء، و اعتبارهن العنصر الأقل كفاءه و حقوقا من الرجل، فان الجاهليين كانوا يسألون الرسول كثيرا عن تجاوز حقوق النساء، هل فيه اثم؟ خصوصا إذا كانت المرأة زوجه فى بيت الرجل لأنها فى هذه الحاله تعتبر فى ظن الجاهليين ملحقه بالرجل، و ليس لها أى استقلال عنه.

فأجاب القرآن هنا عن سؤال الجاهليين حول النساء، و بين أن علينا أداء حقوقهن كامله كما جاء فى الشريعه الاسلاميه. متمثله فى الكتاب خصوصا إذا كانت المرأة يتيمه فعلنا أداء حقها كاملا إذا أردنا الزواج منها.

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَدَيْ أُمَّةِ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ كَذَلِكَ حَقُّوهُنَّ الْمُسْتَغْفِرِينَ مِنْ صِغَارِ الْعَمْرِ وَ الْيَتَامَىٰ. كل تلك الحقوق يجب أن تراعى رعايه تامه.

وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَزِيدَ عَلَىٰ أَدَاءِ الْحَقِّ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ وَ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ خَيْرٌ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ.

وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا

الصلح في العلاقات الأسريه:

[١٢٨] كما يجب على الرجل أن يوفى حقوق المرأة فعليها أن تتسامح بدورها عن بعض حقوقها خصوصا إذا رأت في زوجها ميلا الى عدم أداء حقوقها، أو حتى الاعراض التام عنها.

وَ إِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ فَالْإِسْلَامُ وَضَعَ حُدُودًا ثَابِتَةً فِي الْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَ كَلَّفَ النَّاسَ بِتَطْبِيقِهَا كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِيهَا، وَ لَكِنَّهُ وَضَعَ قَانُونَ التَّرَاضَى وَ الصُّلْحَ لِإِضْفَاءِ الْمَرُونَةِ الْوَاقِعِيَّةِ عَلَى تِلْكَ الْحَقُوقِ، فَمِثْلًا: الْمَهْرُ حَقٌّ مِنَ حَقُوقِ الْمَرَأَةِ وَ عَلَى الرَّجُلِ أَلَّا يَتَزَوَّجَ بِمَا مَهْرٌ، وَ لَكِنْ هُنَاكَ نِسَاءٌ أَغْنِيَاءٌ يَتَزَوَّجْنَ لِسَبَبٍ أَوْ آخَرَ مِنْ رِجَالٍ فَقَرَاءٍ. أَمْ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَنَازَلْنَ عَنْ صِدْقَاتِهِنَّ لِلْأَزْوَاجِ؟ بَلَى. لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَّفِقُ مَعَ وَاقِعِيَّةِ التَّشْرِيْعِ وَ كَذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ لِسَائِرِ حَقُوقِ

الزوجه، فقد لا تكون من مصلحتها المطالبه بها تماما، و لعدة أسباب محتمله.

/افقد تكون الزوجه لا تستحق تلك الحقوق، حسب ملابسات حياتها، فتكون مثلا امرأه كبيره فى السن دميمه فى المنظر، وضيعه فى الشرف، عاقره جاهله، و قد تزوجت ببعل يعاكسها فى كل تلك الصفات، فالأفضل لها أن تتجاوز عن بعض حقوقها للمحافظه على وُدّ زوجها.

و قد تكون ظروف الزوج صعبه، و إذا ضغطت عليه الزوجه للحصول على كل حقوقها آئذ يضطر الى الطلاق فخير لها أن تسكت عن بعض التجاوزات بانتظار ظروف أفضل.

/٣ و قد يكون الزوج رجلا- منحرفا. يخون زوجته فى حقوقها، و لكن البقاء معه بانتظار صلاحه المرتقب أفضل من التمرد عليه و إنهاء العلاقه الزوجيه. مما قد يسبب الضرر لهما معا.

إذا هناك ظروف استثنائيه يجب على المرأه أن تتنازل بطوع ارادتها عن بعض حقوقها، و تصطلىح مع الزوج، و تشريع الصلح هنا و فى سائر العلاقات يعطى مرونة واقعيه للتشريع الاسلامى. حيث يضع للملابسات الخارجيه دورا فى الأحكام الشرعيه.

وَ أُحْضِرَتِ الْمَآئِنُ الشُّحَّ أَى ارتكزت صفه الشح و البخل و الفرديه فى النفوس، و لذلك يحاول كل جانب أن يجر النار الى قرصه، و علينا أن نعتبر أن إقامه العلاقه الاجتماعيه خير من فضها فنحاول مقاومه صفه الشح، و نسلح بالتسامح و الصلح.

وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

أى حين أداء حقوق الآخرين تزيدون عليها الى درجة الإخلاص، وحين أخذ الحقوق منهم تتقون الله فلا تأخذون إلا ما علمتم أنه من حقكم.

تعدد الزوجات:

[١٢٩] على الرجل ألا يحرص فى الزواج بأكثر من امرأه واحده لأن الواجب الشرعى عليه يقضى آئذ أن يعدل بينهما، و بما أن ميل الشخص سيكون بالطبع الى الحسنى منهما، فلذلك من الصعب أن يقيم العدل فى التعامل معهما، و سيؤدى ذلك بطبيعته الحال الى ترك واحده منهما و إهمالها. حتى تصبح كالمعلقه فلا هى زوجه تتمتع بحقوق الزوجيه و لا هى مطلقه فتكيف حياتها حسب ارادتها.

وَلَنْ تَشِيَّطِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ إِلَى الزَّوْجِ بَلْ اجْعَلُوا الزَّوْجَ مِنَ الثَّانِيَةِ حَسَبَ الْمَصْلَحَةِ أَوْ الضَّرُورَةِ فَقَطْ.

فمثلاً: إذا وجدتم أرمله تحتاج الى كنف الزوجيه، و ليس لها من يتكفل بها فتزوجوا منها، أو إذا كان عدد النساء أكبر بكثير من الرجال لسبب أو لآخر، مما يشكل مشكله اجتماعيه- لو لا تعدد الزوجات- و إذا كانت الزوجه الأولى عقيمه أو مريضه أو مسنه بحيث لا تستطيع الوفاء بحقوق الزوجيه و هكذا.

أما فى الحالات العاديه التى يكون الزواج بالثانيه شهوه جنسيه بحتة أو تفننا فى المتعه المجرده، فان العاقبه المنتظره هى إهمال إحداهما مما يشكل خرقاً لحقوقها.

فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِن تَصِيْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً أَى أَنَّ الزَّوْجَ بِالثَّانِيَةِ لَيْسَ حَرَاماً حَتَّى وَ لَوْ كَانَ لِمَجْرَدِ الْمُتَعَةِ أَوْ الشَّهْوَةِ الْجَنَسِيَّةِ، وَ لَكِنْ بِشَرَطِ الْإِصْلَاحِ الدَّائِمِ لِلْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ مَعاً، وَ بِشَرَطِ التَّقْوَى

و التحذر من سحق حقوق واحده منهما تحت ضغط العاطفه.

فمن كانت إرادته قويه و قادره على ضبط عواطفه، و كان تقواه يحجزه عن الحاق الأخرى بواحد منهما فلا بأس عليه حتى و لو صدرت منه هفوات من غير تعمد و إصرار. فان الله غفور رحيم.

و ان يتفرقا:

[١٣٠] إذا أهمل الزوج عقيلته فعليها أن تطالب بالطلاق و لا تخشى من الفقر. إذ انه هو بالتالى علاج. بيد انه يأتى فى آخر القائمه. كذلك الطلاق علاج ناجح لظرف صعب لا ينفعه علاج آخر. ذلك ان البقاء على وضع شاذ، و محاوله الصبر عليه تضييع للطاقات و إفساد للضمير، و هدر للحقوق.

وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا صَحِيحًا إِنْ اللَّهُ لَا يَرْزُقُ أَحَدًا مِنْ دُونِ بَدَلٍ سَعَى جَدَى لَطَلِبِ الرِّزْقِ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ حَكِيمٌ، وَ لَكِنْ أَبْوَابُ الرِّزْقِ لَيْسَتْ مَحْصُورَةٌ فِي الزَّوْجِ حَتَّى إِذَا طَلَّقَ الْمَرْءُ زَوْجَتَهُ خَافَتْ مِنَ الْفَقْرِ. كَلَّا فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهَا أَبْوَابًا جَدِيدَةً لِلرِّزْقِ لِأَنَّهُ وَاسِعٌ.. وَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَحْدُدَ أَنْفُسَنَا فِي مَجَالَاتِ ضَيْقِهِ لِلرِّزْقِ، بَلْ نَنْتَلِقْ فِي رِحَابِ الْحَيَاةِ وَ نَفْتَشَ أَبْدَاً عَنِ آفَاقِ جَدِيدِهِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ.

ذات الامكانيات غير المحدوده.

إشاره

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَكِيمًا (١٣٣) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)

اللغه

١٣٥ [بالقسط]: القسط العدل.

[تلووا]: من لوى يلوى، بمعنى الانحراف و اللى الانحراف اليسير.

[تعرضوا]: الاعراض الانحراف مطلقا.

هدى من الآيات:

حين يتحسس البشر بقدره الله الهائله التي تتجلى في ملكوت السموات و الأرض، و تحيط به في كل شىء. حين يتحسس بذلك تجرى في عروقه قشعريره و ارتعاشه تدفعه أبدا الى الحذر، و تبعده أبدا عن الطيش و الغفله.

و كلما زادت معرفه البشر بالقدره الكبيره التي تحيط به. كلما زاد تقواه، و بالتالى انضبطت أعماله، و اتجهت في مسير سليم، و نمى في روعه ضمير واع يردعه من اقتراف الخيانه أو ارتكاب الجريمه، و يدفعه الى اقامه العدل، و أداء الشهاده لله.

و في هذا الدرس ينهى القرآن الحكيم حديثه عن طبقه الخائنين و المختائين بمعالجه جذريه لمشكله الذنب. تلك هي: ازدياد تقوى البشر التابع بدوره من معرفه قدره الله، و لذلك يبدأ هذا الدرس بالتذكير بملكوت الله، و ان الله غنى لا يضره كفر الناس، و انه يملك ما في السموات و الأرض، و أنه قادر على تبديل

الناس بآخرين.

ثم يعطى أملا للإنسان بثواب الله، وينهى الدرس بما يعتبر علاجاً آخر لمشكلته الذنب (الخيانه-المعصيه) هو:

أن يقوم الناس جميعاً بالعدل، وأن يشهدوا لله بعيدين عن أى اعتبارات أخرى، وطبعي أن يقل الذنب فى مجتمع قوام بالقسط شاهد على الحق لله.

بينات من الآيات:

مشكله الخوف عند الإنسان:

[١٣١] من الدوافع الأساسية لارتكاب الذنب هو الخوف، فلو لا خوف الشعوب المستضعفه من الطغاه إذا ما سكتوا على الظلم، و لو لا خوف الفرد من مجتمعه المنحرف إذا ما استمر فى ضلالات ذلك المجتمع، و لو لا الخوف من الفقر لما بخل الأغنياء، و لو لا الخوف من الموت لما تخلف الجبناء عن الحرب.

و بالرغم من تجذر مشكله الخوف عند البشر فان لها حلا يقتلع جذورها اقتلاعاً هو: الايمان بالله، و انه يملك ما فى السموات و الأرض، و يأمر بالعدل و الإحسان، و يدعم من يعمل بهما، و يخلصه من عوامل الخوف بقدرته الكبيره.

فما دام الله يملك كل ما نخاف منه فلما ذا لا نخاف من الله. بل و لماذا نخاف شيئاً ما دام الله، و هو رب كل شىء لم يغضب علينا.

ان هذه المعادله الواضحه تجعلنا نقاوم الضغوط التى تدفعنا الى الذنب.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ وَصِيه و ليست أمرا فقط لأن الأمر قد يكون فى ضرر المأمور، بيد أن

الوصيه هي دائما في مصلحه من يسمعها، ثم هي وصيه مشتركة بين كل أجيال الرساله لأنها من القيم العامه التي لا تتغير بالزمان.

ان التقوى في مصلحه الإنسان و ليس في مصلحه الله فهو لا يتأثر شيئا بتقواكم أو بكفركم.

وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا فهو غنى بامتلاكه لما في السموات و الأرض، و حميد لأنه لا يستخدم قدرته في الحاق الضرر بالخلق سبحانه. بل في اللطف بهم و التفضل عليهم.

الاستعانه بالله من الخوف:

[١٣٢] من استعان بالله و قاوم ضغوط الحياه، و لم يستجب لهاجس الخوف الذي يدفعه الى الذنب فانه سيجد وراءه ركنا شديدا يعتمد عليه.

وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا وَ مَدَافِعًا لِمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ، و لم يخش عباده اعتمادا عليه.

[١٣٣] أما من خشى الناس، و خاف من الطبيعه، و أسخط الله لارضاء المجتمع أو لتجاوز أخطار الطبيعه، فعليه أن يتحمل مسئوليته عمله إذ أن الله قادر على تصفيته من الوجود رأسا، و يأتي بآخرين يعيشون في الأرض مكانه.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَكِيمًا [١٣٤] و من الناس من يدفعه الطمع الى اقتراف المعصيه، فيأكل أموال الناس طمعا، و يتعاطى بيع الخمر، و إشاعه الفاحشه طمعا.. فعلى هؤلاء أن يعرفوا أنهم لو اتبعوا منهاج الله، و ابتعدوا عن معاصيه، فسوف يغنيهم الله،

و يعطيهم لا فى الدنيا فقط بل و فى الآخرة أيضا.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ أَقْوَالَ وَأَعْمَالَ النَّاسِ الْحَسَنَةَ فَلَا يَتْرُكُهَا مِنْ دُونِ ثَوَابِ عَاجِلٍ فِي الدُّنْيَا، وَثَوَابِ آجَلٍ فِي الْآخِرَةِ.

خلاصه القول: ان كانت المعصيه بدافع الخوف فلنعلم ان الله قادر على أن يدفع عنا ما نخشاه، و هو أولى بالخوف من أى شىء آخر، و ان كانت المعصيه بهدف الحصول على غنيمه، فان عند الله غنائم أفضل.

المسؤولية الاجتماعيه:

[١٣٥] لكي نحافظ على نظافه المجتمع لا بد أن يتوفر عاملان:

الأول: ضمير رادع عن المعصيه عند كل شخص (التقوى).

الثانى: احساس الجميع بمسؤوليتهم عن المعصيه، و محاسبتهم العامل بها أنى كان، و قد تحدثت الآيات السابقه عن العامل الأول.

و ها هى الآيه تتحدث عن العامل الثانى الذى يبرز دوره فى الحقوق الاجتماعيه، فلو كان ضمير المجتمع حيا، و يحس بمسؤوليته، فانه يقتل الظلم و هو فى المهد. إذ ما إن يظلم أحد من الناس حتى يردعه أقرب الناس إليه. من قراباته أو أصدقائه أو زملائه، و بالتالى من أولئك الذين يرجو أن يدعموا موقفه الظالم.

بل قبل أن يهم الظالم باغتصاب حق، فانه عاده ما يستشير القرييين منه، و يحاول تهينه الأجواء لجريمته، فاذا كان المجتمع واعيا فإنهم يمنعونه عن تنفيذ مخططه فيقتلون الظلم و هو نطفه قبل أن يولد.

و هناك مرحلتان متدرجتان لقيام المجتمع بمسؤوليته تجاه الظلم:

الأولى: منع الظلم، و اقامه العدل.

الثانية: فى حالة وقوع الظلم التعاون على إزالته، و ذلك بالشهادة ضده، و لمصلحه صاحب الحق، و ليس للإنسان أن يسكت عن إعلان موقفه من الظلم و ذلك بالشهادة لصاحب الحق، أنى كانت الظروف، فلان صاحب الحق ضعيف أو غريب أو فاجر، أو لأن الظالم له قوه أو من أقربائى أو أصدقائى أو..أو..لا- أستطيع لأى من هذه المبررات أن أسكت عن الشهاده. بل على واجب أن أشهد لصاحب الحق.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ أَي اعملوا على تطبيق العدالة. لأن صرح العدل فى المجتمع بحاجه الى جهد ضخم لىتم بناؤه.

شُهِدَاءَ لِلَّهِ أَي أقيموا الشهاده بهدف مرضاه الله لا خوفاً أو طمعا من أحد حتى و لو كانت الشهاده ضد مصالحكم.

وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلِلَهُ أَوْلَىٰ بِهِمْ أَي لا- عليكم إذا كان من تشهدون له غنياً أو فقيراً، بل هذا أمر يخص الله.

أما أنتم فاشهدوا لله.

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا فلا يضلنكم حب المصلحه، أو حب الأقارب من اقامه العدل بالشهادة أو بالتنفيذ.

ص: ٢١٧

وَإِنْ تَلُّوْا أَوْ تُعْرِضُوْا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا أَىٰ اَن تَنَحْرَفُوْا قَلِيْلًا أَوْ كَثِيْرًا فَإِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌ بِكُمْ.

ص: ٢١٨

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ إِذْ دَاوُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَّتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسَيِّئُ تَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ إِنْ اللَّهُ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)

اللغة

١٣٩[العزة]: أصل العزة الشده و العزيز القوى المنيع بخلاف الذليل.

هدى من الآيات:

فى الحديث السابق عالج القرآن الكريم قضية الخيانه بكل أبعادها، و وضع حلولاً و مواقف لطبقه الخائنين.

اما فى هذا الحديث فيطرح قضية المنافقين من بعدها الاجتماعى، اى فيما يتصل بتواجههم داخل المجتمع المسلم، و انعكاسات سلوكهم السلبى على ذلك المجتمع خصوصاً بالنسبة لازدواجيه الولاء، فهم فى الظاهر أعضاء فى هذا المجتمع، و فى الواقع مرتبطون بالأعداء.

و يمهد القرآن لهذا الحديث بترسيخ فكره وحده الايمان، و أنه لا يتجزأ، ثم يوضح فكره استمراريه الايمان، و انه لا يمكن التحول منه و اليه بين الفتره و الاخرى، ثم يبشر المنافقين بالعذاب، و أخيراً يبين القضية المطروحه، و هى ان المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء.

و لكي يبقى المجتمع الاسلامى نظيفا من مؤثرات الكفر فقد أمرنا الله بأن نقاطع مجالس الكفار، فكيف بالولاء لهم؟! اما هؤلاء المنافقون فهم يعيشون الانزدواجيه، فمن جهه يريدون كسب وُد المسلمين حتى يشاركوهم في مكاسب الانتصارات، و من جهه ثانيه يريدون درء خطر الكفار حتى يحافظوا على أنفسهم حين ينهزم المسلمون، و لكن الله لا يدع المسلمين ينهزمون لو انهم امنوا و جاهدوا في سبيله.

بينات من الآيات:

الايمان الكامل:

[١٣٦] الايمان كل لا- يتجزأ، و ما دام الإنسان قد آمن، و عرف الله و رسالاته، فعليه ان يخلص في ايمانه، و لا ينقصه تحت ضغط المصالح و الأهواء.

و اى نقص في الايمان يناقض الايمان رأسا. إذ ان الايمان ليس العلم فقط، بل هو مخالفه الهوى و اتباع للعقل.

فلو جزاء المرأ إيمانه فأخذ منه ما يوافق اهواءه، و رفض منه ما يخالف اهواءه، فهل اتبع هذا الشخص عقله أم هواه، و بالتالى هل آمن؟! يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَى يا من انقطعت حججهم بسبب اعترافهم بمبدأ الايمان، ان عليكم متابعه المسيره لأنه لا حجه لكم فى التوقف.

آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنِّي

ص: ٢٢٢

قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا

المواقف المتزلزله تجاه القوه:

[١٣٧] و الايمان كما لا- يتجزأ عضويا فهو لا- يتجزأ زمنيًا، فليس من الايمان فى شىء الارتباط بجهه الحق كلما كانت قويه، و مخالفتها كلما كانت ضعيفه هل هذا ايمان بالحق أم ايمان بالقوه؟ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَعَنَ اللَّهُ لِيُغْفَرَ لَهُمْ وَ لَا- لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا- هؤلاء كانوا يغيرون مواقفهم حسب موازين القوى فى المجتمع، أو حسب رياح مصالحتهم الذاتيه، و لذلك فهم بمثابة الكفار الذين لا يغفر الله لهم ذنوبهم، بل هم أشد سوءا من الكفار إذا انهم تلاعبوا بهدى الله، و اتخذوه ماده المساومه لحياتهم الدنيا، و لذلك فهم لا ينظرون الى الايمان نظره الباحث عن الحق، فيستحيل أن يهتدوا به.

ان من ينظر الى المرأه ليشتريها أو ليعرف قطرها و وزنها لا يمكنه ان ينظر الى الأشياء عبرها لأنه مشغول عن الصور المنعكسه داخل المرآه بفحص زجاجتها، و إطارها و إتقان صنعها، كذلك الذى يتخذ من الرساله و سيله الارتزاق لا يمكنه ان ينظر إليها الا كما ينظر التاجر الى متجره، و البقال الى محله، فلا يسعى من أجل فهمها أو العمل بها، لذلك فهو لا يهتدى -عمره- بالرساله.

المنافقون و حقيقه الارتباط بالأجنبى

[١٣٨] بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

ص: ٢٢٣

[١٣٩] من هم المنافقون المعنيون هنا-بالذات-؟ انهم الطبقة الاجتماعيه المزدوجه الولاء، أو التي تعيش فى مجتمع الايمان و تحمل ولاء لمجتمع الكفر بهدف الحصول على قوه و منعه و عزه.

فمثلا فى المجتمع الاسلامى اليوم نجد طوائف مبتلون بمركب النقص، و يحرصون على الحصول على القوه و العزه، و يتقاعسون عن العمل الجاد الذى يعطيهم القوه و العزه، حسب قيم المجتمع الاسلامى.

يفتشون عن الاجنبى ليرتبطوا به، يفتشون عن منظمات عالميه يمينيه (صهيونيه-ماسونيه-قوميه-اقليميه و..و.) أو يساريه (شيوعيه-اشتراكيه) و يهدفون من وراء ولائهم لتلك المنظمات الحصول على قوه يركنون إليها.

و ربما يسودون فى يوم من الأيام بسببها على إخوتهم و أبناء أوطانهم حتى و لو جز ذلك الى بيع الاستقلال بلدهم، و تذليل شعبهم، و تحطيم قيمهم.

ان هؤلاء هم المنافقون.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَاْفِرِينَ أَوْ الْيَهُودَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ كَلَّا، لا- يمكنهم الحصول على القوه بالركون الى الاجنبى، إذ ان الاجنبى إذا جاء فسوف يستعبد أول ما يستعبد هذه الفئه المرتبطه به و الخادمه له! انه لا يعطى هذه الفئه الدعم لسواد عينها بل لتحقيق مكاسب خاصه، قد تتناقض مع مكاسب هذه الفئه، و قد يبيع الاجنبى فى مائده المفاوضات الفئه المرتبطه به، و يساوم عليها.

فأين تكمن عزه هؤلاء، انها تكمن فى اللجوء الى الصف الايمانى و تقويه شوكة الشعب كله حتى يكون الجميع اساءدا بين الأمم.

فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۗ وَلِمَنْ يَنْفِذْ بِرَأْمِهِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

لنلا نصير عملاء

[١٤٠]لكى لا يستميل الاجنبى الكافر بعض ضعاف النفوس من أبناء الامه. منع الإسلام الاستماع الى دعايات الكفار المضلله التى يستهدفون من ورائها التأثير على البسطاء، و من ثم استدراجهم للعماله، و بيع القيم.

وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ الْكُفْرَ هُوَ الْإِنكَارُ الْمَغْلَفُ بِمَا يَزْعَمُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ اسْتِدْلَالٌ عَقْلِيٌّ.

اما الاستهزاء فهو محاوله مفضوحه للتأثير على البسطاء عن طريق تهوين القيم الرساليه فى أعينهم، و يجب مقاطعه مجالس الكفر و الاستهزاء لحين تغيير طابعها العدائى، و تبديل موضوع الحديث.

حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ حِينَ يَجْلِسُ الْإِنْسَانُ فِي مَحْفَلٍ يَسْتَمِعُ فِيهِ إِلَى انْكَارِ الرِّسَالَةِ، وَ اسْتِخْفَافِ بِهَا، ثُمَّ لَا يَرُدُّ وَلَا يَتَأَثَّرُ، فَانَّهُ مَحْسُوبٌ مِنْ أَصْحَابِ هَذَا الْمَحْفَلِ الْفَاجِرِ.

إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ

ای انکم منافقون إذ ذاك كما هم كافرون، و جزاؤكم آئذ هو جزاء مشترك و هي النار.

إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا [١٤١] ان المنافقين يوالون الكفار، و يحضرون مجالس كفرهم و استهزائهم في حاله السلم،..اما في حاله الحرب فهم يجلسون فوق التل يراقبون سير المعركة لأنهم جنباء، و الجبان لا ينفذ اي طرف يتعاون معه، و ينتظرون بالتالي نهايه المعركة بقلب بارد، فاذا انتصر المسلمون جاءوا و طالبوا بالغنائم باعتبارهم أعضاء في المجتمع الاسلامي، و إذا انتصر الكفار مؤقتا تسللوا إليهم و طالبوهم بأجور خدماتهم التي أسدوها لهم (هكذا يزعمون لهم، بيد انهم لم يفعلوا شيئاً هاما لهم) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ أَي يَتَّظِرُونَ نَهَايْتَكُمْ.

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَي حفظناكم من ان يصيبكم سوء من قبل المؤمنين.

و ليعلم هؤلاء: ان عاقبه نفاقهم حساب شديد يوم القيامة، اما في الدنيا فلان الرساله تنتصر أبدا على اعدائها، فان المنافقين سوف يفقدون الدعم الخارجى لهم و يسقطون داخل المجتمع الاسلامي.

فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

أشاره

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُساًا يَرَاُونَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)
مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ
لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)

اللغة

١٤٣ [مذبذبين]: المذبذب المهتر القلق الذي لا يثبت في مكان.

١٤٤ [سلطان]: حجه.

١٤٥ [الدرك]: أقصى قعر البحر و يقال للحبل الذي يوصل به حبل آخر ليدرك الماء درك و أصل الدرك الحبل الذي يوصل
به الرشا و يعلق به الدلو.

ص: ٢٢٧

هدى من الآيات:

استمرارا للحديث السابق عن الولاء التام داخل المجتمع المسلم، وإدانه ازدواجيه الولاء كما يفعل المنافقون يأتي هذا الحديث، و يبين فى البدء بعض صفات المنافقين الظاهره التى تدل على انفصالهم الروحى عن مناهج و قيم المجتمع الاسلامى و ذلك حين يقومون للصلاه كسالى، و أن قلوبهم كالصخر لا تخشع لذكر الله، و أنهم فى حاله شك دائمه، يراوحون بين جبهتى الايمان و الكفر، و لا يستقرون على واحده منهما، و أنهم بفعل شكهم، و عبادتهم لذواتهم و مصالحهم بعيدون عن نور الهدايه.

ثم يحذر الله المؤمنين من المصير الذى انتهت اليه هذه الطائفه من المنافقين، و ينذرهم بأن الله سيأخذهم بسلطان مبین، لو سمحوا لأنفسهم بموالاه الكافرين.

تلك العاقبه السوأى التى تنتهى بصاحبها الى نار جهنم فى أسفل دركاتها حيث لا ينقذهم ولاؤهم للكافرين من النار.

وقبل ان ينهى القرآن هذا الحديث يفتح أمام المنافقين باب الأمل، و يرشدهم الى التوبه بشرط ان تقارن ياصلاح ما أفسدوه بالنفاق، و ذلك بالولاء التام للمجتمع الاسلامى، و الإخلاص فى تطبيق مناهجه سبحانه، و آئذ سوف يلحقون بركب المؤمنين الذين أعد الله لهم أجرا عظيما.

بينات من الآيات:

خداع الله

! [١٤٢] يزعم المنافقون: إنهم كما يخادعون حسب زعمهم أبناء المجتمع الاسلامى، كذلك بإمكانهم مخادعه الله لذلك تجد ان أعمالهم الدينيه تشبه ممارساتهم الاجتماعيه.

فاذا قاموا الى الصلاه تكاسلوا، و أدوا فقط القشر البارز من الصلاه، اما جوهر الصلاه فإنهم بعيدون عنه.

بيد أن هذه المخادعه ستنقلب عليهم. إذ أن الله أكبر من أن تنطلى عليه مخادعه العباد، و يتقبل منهم هذه العبادات القشريه الفارغه.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ كَيْفَ يَخَادِعُ اللَّهُ عِبَادَهُ؟ إِنْ يَكْرَهُمْ وَيُكِيدُهُمْ بِأَنْ يَمْلَهُمْ أَمَا حَتَّى تَسْكُرَهُمُ النِّعَمُ، وَ يَفْقَدُوا عَقُولَهُمْ وَ أَرَادَتُهُمْ، ثُمَّ يَأْخُذُهُمُ اللَّهُ فِجْأَهُ أَخْذًا شَدِيدًا كَمَا فَعَلَ مِثْلًا- بِقَوْمِ لُوطَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ بِمَلَائِكَةِ الْعَذَابِ فِي صُورِهِ ضَيْفُوفَ، وَ أَلْبَسَهُمْ ثُوبَ الْجَمَالِ حَتَّى اسْتَهْوَوْا قَوْمَ لُوطَ الَّذِينَ تَعَوَّدُوا عَلَى الْفَاحِشَةِ سَابِقًا، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِمْ، وَ كَانُوا يَمْنُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلَيَالِ حَمْرَاءَ وَ لَمْ يَبْقَ فِي أَنْفُسِهِمْ ذَرَّةٌ مِنَ التَّقْوَى أَوْ الْإِيمَانِ.

آنذ تحول أولئك الملائكه الى صورتهم الاصليه.فاذا هم غلاظ شداد،و إذا بهم يقتلعون مدينتهم و يدمرونها عليهم.

هكذا يخادع الله عباده عند ما يحاولون مخادعته.

وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتُوبًا يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا فَهُمْ لَا يَصَلُّونَ حَقِيقَهُ لِلَّهِ، بل يتظاهرون أمام الناس.

و إذا كانت الصلاه و هى أهم الشعائر العباديه يؤدونها بهذه الروح فكيف بسائر الواجبات.

هذا مثل لخداع المنافقين لأنفسهم،و كيفيه قيامهم بواجباتهم الدينيه، و بالتالى هذه صفه واضحه فيهم نستطيع أن نكتشفهم عن طريقها.

فقدان المقاييس و الحكم بالشك:

[١٤٣] و الصفه الثانيه للمنافقين هى الشك،و تذبذب المواقف.فهم لا يتخذون مواقفهم حسب رؤيه مستقبلية،بل حسب التوفيق بين الجبهه الكافره و بين المجتمع الاسلامى،و تمييع المواقف،و تأييد كل طرف فى شىء حسب المصالح الآنيه العاجله لهم.

مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ أَى بَيْنَ الْكُفَّارِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ ذَلِكَ بِإِشَارِهِ الْكَلِمَةَ الثَّانِيَةَ.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَاءِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَاءِ وَ لِأَنَّهُمْ مُذَبِّبُونَ تَسْتَبِدُّ بِهِمُ الشُّكُوكُ فَان قُلُوبَهُمْ تَفْقَدُ الْمَقَائِيسَ الصَّحِيحَةَ

التي تميز الحق عن الباطل، و بالتالى فإنهم لن يهتدوا أبدا.

وَ مَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي عِبَادَهُ بَعْدَ أَنْ يَسْعُوا مِنْ أَجْلِ الْهِدَايَةِ، أَمَّا الَّذِينَ يَتَقَاعَسُونَ عَنْهَا وَيَسُدُّونَ أَبْوَابَ قُلُوبِهِمْ دُونَهَا، إِذَا كَيْفَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ؟! إِنَّهُ يَتْرِكُهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ وَ آتِئذْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَهْدِيهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

لنتصور الهدايه كالعلم. كيف يحصل الواحد منا على العلم؟ بالطبع عن طريق السعى الدائب، و البحث الدائم، و لكن كيف يكون حال من لا يسعى من أجل العلم، بل و أخس من ذلك بأن يسد على نفسه الأبواب، و لا يدع أحدا يدخل عليه ليعلمه، أ فلا يبقى هذا الشخص فى الجهل أبدا؟! كذلك الله يضلل المنافقين.

لمن الولاء

؟ [١٤٤] هذه بعض صفات المنافقين، و علينا أن نتحذر من انحرافهم الذى يبدأ بولاء الكافرين خوفا منهم أو طمعا فيهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِنْسَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمُنَّ بِوَلَاءٍ لِحَيْثُ مَتَضَادَتَيْنِ: فَأَمَّا هُوَ - بِالتالى - موال للمؤمنين أو للكافرين.

و إذا والى المؤمن كافرا، فإنه سيقطع ولاءه طبيعيا عن المؤمنين، و لذلك عبر القرآن الكريم هنا بكلمه «من دون المؤمنين».

نعم يمكن أن يكون ولاء المؤمن للكافرين من خلال ولاءه للمؤمنين، و ذلك

بأن يخلص ولاءه للمؤمنين، و لكل من يخدم المؤمنين من الكفار.

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۖ فَلَا يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ أَنْكُمْ لَا تَخْلُصُونَ الْوَلَاءَ لَهُ، إِذْ إِنْ نَصَرَ اللَّهُ إِنْمَّا يَأْتِي لِلَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ كَلِيًّا عَلَيْهِ، وَيَعْبُدُونَهُ بِتَطْبِيقِ بَرْنَامِجِهِ كَامِلًا غَيْرِ مَنْقُوصٍ.

أما الذين يوالون الكفار فإن الله يوكلمهم إليهم، لأنهم في الواقع لا يستطيعون تطبيق برامجه بالكامل.

[١٤٥] أما إذا والى المؤمنون الكافرين فإنهم سيكونون منافقين، و جزاء المنافقين معروف: أنه جهنم.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ طَبَقَاتِ الْجَنَّةِ تَسْمَى بِالدرجات، و أرفعها أعلى عليين، و طبقات النار تسمى الدركات و أسوأها أسفل السافلين.

و لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۖ إِنَّهُمْ وَالُوا الْكُفْرَ بِهَدَفِ الْحَصُولِ عَلَى عَوْنِهِمْ، و لكن آمالهم ستخيّب يوم القيامة. إذ سيجدون أنفسهم في النار دون أن ينصرهم أصدقاؤهم الكفار.

سبيل العوده:

[١٤٦] طريق عوده المنافقين الى الجبهه الايمانيه، طريق سألك و معبد و ذو مراحل أربع:

الاولى: التوبه بالندم على تعاملهم السابق مع الكفار، و العزم على عدم

تكراره.

الثانية:الإصلاح بترميم الجسور المهْدَمه بينهم و بين المؤمنين،و ذلك بتصفيه عقولهم من أفكار الكافرين،و تصفيه قلوبهم من النفاق و الحق على المؤمنين، و تصفيه علاقاتهم السابقه و تكوين علاقات حميمه جديده.

□
الثالثه:الاعتصام بالله،و ذلك بتوثيق الولاء للقياده الاسلاميه و التسليم لها و الطاعه لأوامرها.

□
الرابعه:إخلاص الدين (1)،و ذلك بإقامه الصلاه بنشاط و وعى،و من دون كسل،و ذكر الله كثيرا،و اقامه سائر الشعائر،و ممارسه سائر الواجبات بطريقه صحيحه.

□
بعد طى هذه المراحل يلحق هؤلاء بالمؤمنين الذين أعد الله لهم أجرا عظيما فى الدنيا متمثلا بالنصر المؤزر،و فى الآخره فى جنات عدن خالده.

□ □ □ □ □
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

ص: ٢٣٣

(١-١) ربما يكون معنى إخلاص الدين هو توحيد الولاء.

اشاره

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧) لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) إِنْ تَتَّبِعُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا (١٤٩) إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢)

هدى من الآيات:

بعد بيان مفصل لشروط الإصلاح المسبقه التى ينبغى ان يتصف بها المنافق التائب، و بالتالى كل مؤمن حتى لا يتسرب النفاق الى قلبه.

□
يبين السياق ان من ابرز شروط الإصلاح الشكر لله، و الايمان به، و تنقيه أجواء المجتمع من الكلام السلبي، و اشاعه الخير، و العفو عن السوء.

و بعد بيان هذه الشروط الاساسيه لاقتلاع جذور التفرقه و النفاق من ارض المجتمع يعود القرآن ليحدثنا عن طبقه اخرى من المنافقين، و هم الذين يعضون ايمانهم، فيؤمنون ببعض الرسل و ببعض التعاليم السماويه الموصى بها إليهم، و يكفرون ببعض.

و يقرر القرآن انهم هم الكافرون، لان الايمان كل لا يتجزأ، و يؤكد هذه الحقيقه فى الايه التاليه، و فى الدرس القادم يضرب مثلاً من بنى إسرائيل الذين

آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعض. إن إيمانهم ببعض التعاليم و كفرهم ببعضها الآخر إنما هو حسب ما تقتضيه مصالحهم الذاتية.

بينات من الآيات:

شكر الله و النظره الايجابيه

□
[١٤٧] إن الله غنى عنا، غنى عن أعمالنا، و غنى عن عذابنا، انه لا- يتلذذ بعذاب أحد سبحانه، بيد انه حين يعذب الناس فانما لاستحقاقهم ذلك، و بالتالى بسبب جر النار الى أنفسهم بأنفسهم.

□ □
و لكى يتحصن الإنسان من شر اعماله فعليه ان يؤمن، و لكى يؤمن فعليه ان يشكر الله، إذ ان النفس الشاكره لأنعم الله عليها ان تتمتع بنظره ايجابيه متفائله للحياه، و تنظر الى كل نعمه باعتبارها عطاء جديدا لا- تستحقه، و انه يمكن ان يؤخذ منه فى ايه لحظه، فهم من جهه يقدر النعمه حق قدرها، و من جهه ثانيه يقدر من أعطاهها إياها و هو الله سبحانه، حق قدره، و بذلك يزداد ايمانه بالله، و وعيه التام برحمته الواسعه، و بهيئته الدائمه على الحياه.

أ رأيت لو استضافك رجل كريم، ليس لك عليه حق، و هياً لك أفضل أنواع المتع و اللذات، و لم يحدد نهايه ضيافته لك، أو لست تبقى تشعر بالامتنان اليه طيله فتره ضيافته، و تعمل خلالها بكل لباقة و أدب يتناسبان و رجل ضيف مثلك، لأنك تقدر من جهه العطاء الذى قدمه لك على غير استحقاق، و تخشى من جهه ثانيه من الطرد فى ايه لحظه.

□ □
كذلك الشاكر يزداد وعيه بنعم الله، و بالتالى ايمانه بالله، و شعوره بمنته عليه كلما اوتى نعمه جديده، بعكس المنافق الذى كلما زادت نعم الله عليه كلما

أحس بأنها جزء من حقوقه، و دليل على عظمته، و بالتالى يزداد طغيانا و كفرا.

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا فَكَلِمَا ازداد شكرك، و تقديرك لنعمه عليك، كلما شكرك الله، و اغرقك بنعم جديده، و هو إذ ذاك يعلم كم شكرته و متى؟

علاج بعض الأمراض الاجتماعيه

[١٤٨] حين تتشبع النفس بالشكر لله، و بالرضا يقل الحسد و الحقد و الكراهيه المنبعثه عن ضيق الأفق و تناقص البغضاء التابعه من الاستئثار و الفرديه، و يعم مكانهما الصفاء و المحبه و التسامح، مما ينعكس على أحاديث الناس فتصبح ايجابيه سليمه.

لان الله لا يحب التجاهر بالأحاديث السلبيه السيئه الا إذا كانت ذا هدف شريف و هو: الضرب على يد الظالم، و الاستعانه بالناس ضده.

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا يسمع الغيبه و التهمه و النميمة و التنازب بالألقاب، و الانتقاص من قدر هذا أو ذاك، و يعلم كذبها و دوافعها، و هل هى تظلم؟ أو استعانه ضد جائر أم لا؟ ان الله حين لا يحب شيئا فلائنه يضر بمصلحه الناس، و سوف يعاقب عليه فى الدنيا و الآخره.

[١٤٩] بلى ان الله يحب ذلك المجتمع النظيف من سلبيات الكلام العاكف على عمل الخير سواء كان ظاهرا أو مستترا، و من ابرز اعمال الخير العفو.

أو لم يقل ربنا في آية أخرى: (يَسْتَلُونَكَ مَا ظَايُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ)، ان العفو يربط أبناء المجتمع ببعضه ربطا و يقتلع جذور النفاق منه.

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا إِنَّ اللَّهَ يَعْفُو عَمَّنْ عَفَا عَنِ النَّاسِ وَيَعْفُو عَمَّنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ. يعفو عنهم بالرغم من قدرته عليهم، أو ليس من الأفضل أن يتخلق العبد بخلق ربه، و أن يكون هو الآخر عفوا؟! □ □ □

كيف تعبد الذات

؟ [١٥٠]

ما هو الايمان

؟ الجواب: انه اخضاع قوى الشرفى الذات لاراده الحق، و تسليم النفس لهدى العقل، انه استجابته الإنسان لنداء الله، و بالتالى مخالفة أهواء النفس، و اتباع برامج الله. □

و إذا كان هذا هو الايمان فليس بمؤمن أبدا ذلك الذى يوافق الحق حين يتوافق مع مصالحه، و يخضع للحق بهدف تحقيق شروور ذاته، و تسلّم نفسه للعقل بشرط موافقه اهوائه و يستجيب لنداء الله حين لا يضر شهواته، و هكذا.

انما هذا الرجل متوغل فى الكفر لأنه يعبد ذاته و لا يرى الحق الا وسيلة لتحقيق مصالحه.

□
و الذين يعضون رسالات الله فيأخذون ما يوافق مصالحهم، و يتركون ما خالفها.. انهم بالتالى يعبدون مصالحهم و لا يعبدون الله، لذلك فهم الكافرون حقا، و قد اصدر القرآن عليهم حكم الكفر مسبقا و قال:

ص: ٢٣٨

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا [١٥١] أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ يَأْتِي بِهَدَفِ عَصِيانِ الرَّسُولِ، وَالْإِدْعَاءُ بِأَنَّهُمْ يَكْتَفُونَ بِرَامِجِ اللَّهِ.

و لكن هل تعنى برامج الله شيئا من دون قياده الرسول، انهم يكذبون كذبه مفضوحه حين يدعون وجود علاقه بينهم و بين الله، اذ لو كان كذلك اذ الخضعوا الرسول.

ان كل الطغاه عبر التاريخ يحاربون رجال الإصلاح فى الوقت الذى يدعون انهم مؤمنون بالإصلاح ذاته، و يقتلون النبيين باسم المحافظه على الدين، و يسحقون علماء الدين، و يتظاهرون بحمايه الدين.

ان الرسول لا يفصل عن الله، و لا يفصل عن الإصلاح و مناهج الدين و عن حملتهما من المصلحين و العلماء، و انما يهين الله هؤلاء الكافرين بعذابه يوم القيامة أو حتى فى الدنيا، لأنهم خالفوا رسل الله، و بالتالى كفروا بالله بدافع كبرهم و عزتهم الكاذبه، و غرورهم الفارغ، لذلك يخزيهم الله و يذلهم فى الدنيا و الآخره.

[١٥٢] و فى مقابل الكفار الذين يفرقون بين الله و رسله ابتغاء المصالح العاجله هناك رجال صادقون فى ايمانهم يتبعون أجر الله الذى سيوافيهم عاجلا أم آجلا.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

يَسئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ
بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ
بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَ
كُفِّرْتُمْ بِالآيَاتِ اللَّهُ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَ
قَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ
إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ لَّهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) يَلِ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذْنَاهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ
الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)

١٥٦ [بهتاناً]: البهتان الكذب الذى يتحير فيه من شدته و عظمته.

ص: ٢٤١

هدى من الآيات:

□
لماذا يفرق المرء المؤمن بين الله ورسوله. هل لأنه لا- يقتنع بصدق الرسول؟ كلا.. ان أكثر الناس يخالفون الرسول استجابة لأهوائهم و مصالحهم الانية، و انما يغفلون مخالفتهم بطبقه من الجدل الفكرى فهؤلاء بنو إسرائيل يطالبون الرسول بأن يأتيهم بقراطيس منزله من السماء مباشرة كألواح موسى، فهل كفروا بالرسول لأنه لم ينزل عليهم قراطيس من السماء؟ و هل انهم يؤمنون إذا نزلت هذه القراطيس؟ كلا.. لقد جاءهم موسى بما اقترحوا و لكن لم يؤمنوا به أيضا، و انما قالوا لموسى: أرنا الله جهره حتى نؤمن لك، و هل كان من الممكن استجابه طلبهم التعجيزى؟! ثم انهم أشركوا بالله بعد ان اقتنعوا بالحق عن طريق البيئات التى جاءتهم، و أكثر من ذلك انهم نقضوا ميثاقهم بعد ان أحكمه الله عليهم أحكاما، بعد ان ظلل عليهم جبل عظيم، فكاد يقع عليهم لولا- انهم تعهدوا بالطاعة، فلما رفع عنهم الجبل عادوا الى غيرهم، و كفروا بآيات الله، و قتلوا الأنبياء، و ادعوا ان قلوبهم مقفله لا يدخلها نور الايمان، و انما هم الذين اقلوها

على أنفسهم بالكفر.

و مثل آخر: ان بنى إسرائيل كفروا بعبسى، و اتهموا امه الصديقه مريم ببهتان عظيم. و ادعوا انهم قتلوا المسيح الذى لم يقتلوه، بل انهم اشتبهوا فيه، و لكن الله رفعه اليه، و قبل ان يموت أى واحد منهم فسوف يؤمن بالمسيح لأنه حق. و الإنسان قبل موته يرى الحق بوضوح.

□
إذا ماذا كان وراء كفر هؤلاء؟ انه الظلم الذى حرم الله عليهم بسببه كثيرا من الطيبات التى أحلت لهم سابقا.

فالظلم سواء كان ذاتيا أو اجتماعيا فانه العامل الاساسى للكفر، و الظلم الذاتى مثل شرب الخمر، و الظلم الاجتماعى مثل محاوله تحريف الناس عن الحق، و أخذ الربا، و أكل أموال الناس بالباطل، و كل هذه تسبب الكفر، و مرد الكفر عذاب اليم.

بينات من الآيات:

حقيقه الكفر من واقع بنى إسرائيل:

[١٥٣] يجب الأءء تخدعنا كلمات الكفار التى يتظاهرون بها. ان مخالفتهم للرساله انما هى لعدم قناعتهم الفكرية بها، و يقدمون طلبات يزعمون أنها لو تحققت إذا لآمنوا كلا، فعلينا أن نكشف عن دوافعهم و رغباتهم الاجتماعيه.

فهؤلاء بنو إسرائيل طالبوا الرسول بأن ينزل عليهم كتابا من السماء غير القرآن، و يبدو أنهم كانوا يريدون أن يكون الكتاب محتويا على بعض الأفكار، أو أنهم طالبوا بكتاب مكتوب فى الألواح، كما نزل على موسى عليه السلام.

ص: ٢٤٣

بيد أن هذا الطلب لم يكن فى الواقع سوى ستار لإخفاء دوافع كفرهم المصلحيه.

□
إذ أن موسى عليه السلام جاء إليهم بمثل ما يريدون فلم يلبثوا حتى طلبوا منه طلبا تعجيزيا ساذجا فقالوا: أرنا الله!!! أو يمكن أن يرى ربنا سبحانه؟! بيد أنهم اشترطوا على موسى أن يريهم الله حتى يؤمنوا.

□
يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ نزلت صاعقه عليهم أبادتهم عن آخرهم ثم أحياهم الله، والسؤال: لماذا نزلت الصاعقه عليهم بعد طلبهم السخيف؟
الجواب: لأنهم كانوا من قبل ظالمين لأنفسهم و للناس، و ما كان طلبهم إلا غطاء لظلمهم، أو لأن مجرد هذا الطلب كان دليلا على أنهم يكفرون بالله، و بقيمه و مناهجه.

□
و أوضح الله لهم البيئات لقد عبروا البحر بعد أن انفلق لهم و تحول الى طريق سالكه، و لقد قضى الله على عدوهم فرعون بالموت غرقا.

و لقد نزل عليهم المن و السلوى و تفجرت لهم الصخور بالمياه العذبه، و مع كل ذلك عبدوا العجل، أ فلا يدل ذلك على ان لهم دوافع مصلحيه تدعوهم الى الكفر؟! ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَ آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا

استطاع بذلك السلطان قمع التمرد المتمثل فى عباده العجل، و قتل الكثير من الداعين اليه، و ضمن الوحده الفكرية لبنى إسرائيل.

[١٥٤] و مثل آخر من واقع بنى إسرائيل أيضا، حين اقتطع الله قطعه من الجبل فوضعها فوق رؤوسهم، و هددهم بإفنائهم حتى تعهدوا له بتطبيق الميثاق، ثم أمرهم بأن يدخلوا المدينه ساجدين لله سبحانه لا متكبرين و لا طامعين، و نظم حياتهم، فأمرهم بالأى يصيدوا يوم السبت، و أخذ منهم ميثاقا و تعهدا شديدا بأن يطيعوا أوامرهم. فهل فعلوا؟! كلا..

وَ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ أَى رفَعْنَا فوق رؤوسهم الجبل ليتعهدوا بالميثاق و العهد.

وَ قُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا لِلَّهِ، و الباب هو باب المدينه التى فتحها الله لهم بعد أن تعبوا من حياه البداوه، و سألوا الله بأن يرزقهم حياه الزراعة و التحضر.

وَ قُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ أَى لا تتعدوا حدود الله فى السبت.

وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا [١٥٥] و لكن لماذا نقضوا الميثاق، و كفروا بآيات الله، و قتلوا الأنبياء، و ابتعدوا نهائيا عن اتباع الحق، و برروا ذلك لأنفسهم، بأن قلوبنا مغلقة، و لا تستطيع أن تستوعب هذه الحقائق، أو ليس لأنهم كفروا؟! فلما كفروا طبع الله على قلوبهم، و أغلق فيها نوافذ الهدى، و لم يعطهم الهدايه التى هى منه الله،

و كان مثلهم مثل الذى أغمض عينه عن الشمس حتى غابت عنه فهل يستطيع أن يراها حتى و لو فتح عينه؟ كلا..

□
أنهم اختاروا العمى على الهدى، فسلب الله عنهم نور الهدى جزاء لكفرهم به.

□
فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كُفِّرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ قَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ بِالطَّبَعِ لَا يَكُونُ قَتْلُ النَّبِيِّ بِحَقٍّ، و انما جاء القرآن بكلمه (بغير حق) تأكيدا، أو أراد أن يبين أنهم لم يقاتلوا الأنبياء، فيقتلوهم فى الحرب مما قد يوحى الى البعض أن قتلهم حق، كلا..

□
إنما قتلوهم صبورا، و من دون أى مبرر حتى عندهم هم، و حسب مقاييسهم الجاهليه.

□
وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ أى مغلفه. لا يستطيع أن تستوعب نور الحق، و هذا تبرير سخيف يتوسل به كل المعاندين الذين يريدون قطع الجدل على من يخاصمهم، فيقولون هكذا خلقنا الله، أننا لا نفهم، أننا لا نستطيع أن نؤمن، و بالتالى يلقون بمسؤوليه كفرهم على الله سبحانه، و لكنه كذب واضح.

□
بَيْلٌ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ فهم كانوا قادرين على فهم الحقائق، و قد ساواهم الله فى نعمه العقل، و فرصه الهدايه كالأخرين، و لكنهم سدوا على أنفسهم الطرق بكفرهم بالله، و عنادهم المتعمد و حتى الآن هم قادرون على تغيير مسارهم، و لكن بصعوبه كبيره، و ذلك بأن يتركوا عنادهم و يتوبوا الى الله من جحودهم، و آنثذ يتوب الله

عليهم، و يعيد إليهم نعمه العقل و نور الهدى المسلوب عنهم.

بيد أن هذه العمليه صعبه جدا، و لا يقوم بها الا قليل منهم.

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا [□] بيد أن وجود هذه الفئه القليله التي تؤمن من بعد الكفر لدليل على سخافه فكره (حتميه الضلاله) التي تشبثوا بها لتبرير كفرهم.

قصه المسيح و أمه:

[١٥٦] كيف كفر هؤلاء حتى طبع الله على قلوبهم؟ انهم كفروا بعيسى، و أضافوا على كفرهم اتهام أم عيسى الصديقه مريم ببهتان عظيم.

وَ كَفَرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا [□] اتهموها بالزنا لإسقاط شخصيه نبيهم عيسى في أعين الناس، و كانوا يعلمون ان هذه تهمة باطله، و أنها تهمة كبيره.

[١٥٧] و أيضا بهدف إسقاط شخصيه عيسى في نظر الجماهير، و بالتالى إسقاط رسالته قالوا: انا قضينا على عيسى، قالوه كذبا، و انما قتلوا رجلا آخر شبيها بعيسى.

وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ [□] و انما كرم القرآن اسم عيسى هنا بأنه كان المسيح و هو ابن مريم الصديقه، و هو رسول الله، لكي يقابل محاوله اليهود لإسقاط شخصيته في أعين الناس.

وَ مَا قَتَلُوهُ وَ مَا صَلَّبُوهُ وَ لَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ فَقَدْ قَتَلُوا شَخْصًا آخَرَ، أَوْ أَنَّهُمْ تَصَوَّرُوا قَتْلَ الْمَسِيحِ بِيَدِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ رَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا.

وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ وَ مَجْرَدِ اخْتِلَافِهِمْ فِي كَيْفِيَةِ قَتْلِهِ لِذَلِيلِ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ يَقِينًا، وَ إِلَّا فَعَمَلِيَةَ الْقَتْلِ خُصُوصًا لِشَخْصِيَةِ كَبِيرِهِ كَعِيسَى لَا يُمْكِنُ أَنْ تَبْعَثَ الشُّكَّ وَ التَّرَدُّدَ، بَلْ تَكُونُ مَوْضِعَ يَقِينٍ وَ اتِّفَاقِ الْجَمِيعِ.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا الْجَبَّاعُ الظَّنُّ ذَلِكَ الظَّنُّ الْآتِي مِنْ غِيَابِ عِيسَى فَادَّعَوْا بِأَنَّهُمْ قَتَلُوهُ، وَ بَعْضُ أَدْعَاؤِ بِأَنَّهُمْ صَلَّبُوهُ.

وَ مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا عُلَمَا بِأَنَّ الْقَتْلَ يَكُونُ شَيْئًا يَتَقَنَّ الْإِنْسَانُ بِهِ.

[١٥٨] إِنَّمَا اسْتِعَادَهُ اللَّهُ وَ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَ هُوَ حَيٌّ يَرْزُقُ وَ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ بَعِزَّتِهِ، وَ هُوَ حَكِيمٌ يَرْفَعُ عِيسَى بَعْدَ أَنْ أَدَّى رِسَالَتَهُ، وَ انْتَهَتْ وَظِيفَتُهُ.

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

متى يؤمنون:

[١٥٩] وَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى لَمْ يَكُنْ سِوَى رَسُولٍ مِنَ اللَّهِ. وَ أَنَّ أَرْتِيَابَهُمْ فِيهِ لَيْسَ إِلَّا - بِهَدَفِ الْمَصَالِحِ، أَوْ بِسَبَبِ ضَيْقِ

ص: ٢٤٨

النفس، و عامل الحسد و الكبر و حين تسقط عنهم حجب الريب فتنتهى المصالح، و يطهر القلب من الحسد و الكبر. آئنذ يؤمنون بعيسى، و لكن متى يتحقق ذلك؟ إنما يتحقق عند الموت، فعند الموت يفكر الإنسان تفكيراً جدياً سليماً بعيداً عن مؤثرات الدنيا الفانية، و آئنذ يعرف الحقائق، و يعلمها يقيناً.

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً بِمَاذَا يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ، أَنَّهُ يَشْهَدُ بِكَذِبِهِمْ وَ جَدَلِهِمْ، وَ مُحَارَبَتِهِمْ لَهُ. لا لشيء إلا لأنه حمل إليهم رساله الله، و أراد لهم الخير، يشهد على أنهم إنما كفروا به بعد أن عرفوه، و أن ارتابهم فيه لم يكن سوى غطاء لحسدهم و حقدهم.

وَ الإنسان حين يتصور نفسه فى لحظه مفارقة الحياه و لقاء الله، آئنذ يكتشف زيف كثير من التبريرات التى يبنى نفسه بها، و يرى الحقائق بوضوح تام، و علينا إذا ان نتصور ذلك بين فتره و أخرى لعلنا نهتدى الى الحق.

علاقه الكفر بنقص النعم:

[١٦٠] ان كفر اليهود (و جحودهم و عنادهم) سبب لهم العمى، و ان الله طبع على قلوبهم، و بالتالى سبب لهم انحرافاً رئيسياً فى الحياه كما رأينا و انتهى بهم الى نقض الميثاق، و قتل الأنبياء، و ادعاء قتل عيسى.

أما ظلمهم (تعديهم على حقوق بعضهم) فقد سبب لهم حياه البؤس حيث لم يستطيعوا التلذذ بنعم الله فى الحياه.

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ هَلْ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ تَحْرِيمًا تَشْرِيْعِيًّا (كما حرم عليهم أنواعاً من اللحم) أم

حرمها عليهم طبيعياً، أى منعها عنهم بطريقه تكوينيه. كما حرم مثلاً على موسى و هو رضيع المراضع.

□
قد يكون هذا و ذاك معاً. إذ أن الامه الظالمه يشدد الله عليها فى التشريع □ كما أن المجتمع الظالم يستوجب نظاماً شديداً و قوانين رادعه كثيره، و قد كان بنو إسرائيل من هذا النوع، و لذلك رأينا كيف أن الله تشدد معهم فى قصه البقره لظلمهم، و هكذا.

□
و الامه الظالمه لا تتنعم بنعم الله، لان كل فريق منهم يحاول الاستيلاء على حقوق الفريق الآخر، و لا يحاولون أن يتحدوا، و يكتفوا الجهود من أجل تحقيق رفاهيه الكل و استغلال موارد الطبيعه من أجل خير و رفاهيه الجميع.

و لكن يبقى سؤال: ما هو الظلم الذى يمنع النعم؟.

□
الجواب: أولاً: منع الناس عن الاكتساب، و وضع عراقيل أمام الطاقات أن تحقق الرفاه مما يسميه القرآن هنا بسبيل الله.

و من الطبيعى أن تتخلف الامه التى تكبل الكفاءات و تضع عليها قيوداً كثيره.

ثانياً: باستغلال القوى للضعيف حيث ان القوى يتكاسل -إذ ذاك- عن العمل البناء، و يكتفى بما يستغله من الناس.

و الضعيف لا يؤدى دوره لأنه مستغل، و يضرب القرآن لنا بمثلئى أخذ الربا، و أكل اموال الناس بالباطل.. فالأول: استغلال مبطن و الثانى: استغلال سافر.

□
وَ بَصَدَّهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا

ص: ٢٥٠

[١٦١] وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوَا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا بما أن الحديث السابق كان عن بنى إسرائيل على وجه الإطلاق و بصفه عامه فقد خصص القرآن العذاب للكافرين منهم لكى لا يزعم أحد: أن كل بنى إسرائيل كفار، و لكن يستثنى منهم طبقه خاصه يتحدث عنها فى الآيه التاليه.

[١٦٢] لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا الْعِلْمَ وَسِيلَةً لِنُتُقَاتِلِ، بَلْ مَنْظَارًا لِمَعْرِفَةِ الْحَيَاةِ.

وَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ طَابَتْ نَفُوسُهُمْ وَ لَمْ تَحْمَلْ رِوَا سَبَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ يَجِبُ أَنْ يَتَمَتَّعَ، أَمَّا بِعِلْمِ رَاسِخٍ أَوْ بِفِطْرِهِ إِيمَانِيَّةٍ نَظِيفَةٍ، وَ بِالتَّالِي: أَمَّا أَنْ يَفْهَمَ الْحَقَائِقَ كُلَّهَا شَخْصِيًّا، أَوْ يَسَلِّمَ لِمَنْ يَفْهَمُهَا بَعْدَ أَنْ يَكْتَشِفُهَا بِبَصِيرَةٍ طَاهِرَةٍ، وَ يَتَجَرَّدَ عَنْ ذَاتِهِ، وَ يَتَسَلَّحَ بِصِدْقٍ وَ صَفَاءٍ.

يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا

اشاره

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى
 وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ
 وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
 (١٦٥) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ
 تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)

هدى من الآيات:

فى اطار الحديث عن الطبقات الاجتماعيه انتهى القرآن فى حديثه السابق الى طبقه الكفار، و ضرب مثلا من واقع بنى إسرائيل الذين طالبوا الرسول بكتاب ينزل من السماء، و غلفوا دوافع كفرهم بهذه المطالبه فردهم القرآن، و بين ان للكفر دوافعه النفسيه و المصلحيه و الاجتماعيه.

أما لو أوتى البشر رسوخا فى العلم أو ايماناً فإنه لا يكفر، و فى هذا الحديث يسوق القرآن بعض البيئات على رساله الرسول، فيقول:

أولاً: ان الرساله ليست جديده على الناس، بل هى امتداد للرسالات السماويه السابقه التى نزلت على النبيين.

ثانياً: أن الهدف من الرساله الأبقى للناس على الله حجه، فلا يعذبهم دون ان ينذرهم سلفاً.

ثالثاً: ان الله هو الشاهد على صدق رسالته، فكل من يعرف الله يعلم ان الله يحب الخير، و يدعو الى الإحسان و الصدق و الفداء، و كل تلك القيم تتفق و روح رسالته، ثم يبين الله مصير الكفار بالرسالة فقال: أنهم منحرفون عن الصراط، و ان طريقهم يؤدي بهم الى النار.

و يأمر الناس أخيراً باتباع رسالته لأنها خير للناس، و أنهم لو خالفوها فلن يضرُوا الله شيئاً، بل انما يعرضون أنفسهم لعقاب الله و سخطه العظيم.

بينات من الآيات:

خط الأنبياء:

[١٦٣] لأن وحي الله لبعض عباده خرق لعاده الطبيعه، و مخالفه للسنن التي يألفها الناس، لذلك كان يردّ مدعى رسالته، و أوضح تبرير لردّه كان مخالفته للمألوف الذي تعود على الناس، و لكي يتجاوز القرآن هذا الحاجز النفسى المانع للناس عن اتباع رسالته. ذكرهم بأن هناك سلسله طويله من الأنبياء على فترات من التاريخ، إذا فليس الرسول بدعا من الرسل، و لا هو عجيب من امر الله الذي بعث الأنبياء السابقين.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ بَعْدَ نوحٍ جاء أنبياء كثيرون لا يعرف عنهم التاريخ شيئاً، و لذلك أشار القرآن هنا الى ذكرهم أشاره، كما لا يعرف بالضبط الفتره الفاصله بين نوح و إبراهيم.

وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا

و بالرغم من ان الزبور لم يكن كتاب تشريع، بل كتاب دعاء و ابتهاج، فانه أوحى الى داود و حيا، مما يدل على ان الله أوحى الى بعض رسله حتى الادعيه و الابتهاجات.

□ □
[١٦٤] هؤلاء بعض رسل الله. و هناك آخرون لا يعرفهم الناس فمن قال لكم: إن الرسالة مخالفة لسنة الله، أو لطبيعته الحياه كلاً انها جزء من هذه الطبيعه، و تلك السنه، و ان ابسط دليل على ذلك هو وقوعها بشكل مكرر.

اننا نعرف ان المطر جزء من سنه الحياه لأننا نرى وقوعه مكرراً، و ان الزلازل جزء من طبيعه الأرض، لأنها تقع بشكل مكرر و كذلك الرسائل ما دامت توحى بشكل مكرر فانها جزء من سنن الحياه..

وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ مَجْرَدِ الْوَحْيِ، بل كان هناك تكليم مباشر من قبل الله مع الإنسان، و بالطبع دلالة الحديث المباشر أقوى من الوحي من وراء حجاب.

□ □
وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا

التبشير و التحذير وظيفتا الرسل:

[١٦٥] كانت الغايه من بعث الرسل هي: التبشير بحياه أفضل، و التحذير من الهلاك، حتى لا يقول الناس غدا: ربنا لم لم تبعث إلينا الرسل حتى لا نضل و لا نقع في الهلاك، ان هذا الهدف العقلاني لدليل على ان الله قد بعث الرسل بالتأكيد، ثم لأن الله قادر على بعث الرسل لا ريب في ذلك و لأنه حكيم، فهو

لا يعذب البشر قبل ان يقطع عليهم الحجج، و يسوق إليهم بالاعذار.

رُسِيًّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَمَا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَلَوْ لَمْ يَبْعَثِ الرُّسُلَ بِالْبَشَارَةِ وَ
الإنذار، ثم عذاب من عذب و نعم من نعم، إذا لكان ذلك مناقضا لعزته و حكمته، و بالتالى دليلا على انه أما أن يكون غير قادر،
أو غير عارف بالمصالح و بظرف العمل سبحانه عن ذلك.

شهادة الله دليل صدق الرساله:

[١٦٦] و الدليل الثانى على صدق الرسالات شهادة الله الذى انزل الوحي بعلمه، و لكن كيف يشهد الله؟ ان الله زود الإنسان
بعقل، و ان عقله يهديه الى معرفه الله من خلال التفكير فى آيات الوجود، بل و يهديه الى معرفه صفات الله الحسنى، و الى طائفه
كبيرة من تعاليمه و قيمه.

ان نظره واحده الى الكون تهدينا الى ان الله عادل، و أنه رحيم يحب الخير و الإحسان، و انه يكره الفسوق و الظلم و الفاحشه، و
نحن نعرف ذلك من خلال العدالة المنتشره فى أرجاء الكون، و من خلال الرحمه التى تتمثل فى نعم الله على الحياه، و من خلال
وصول كل فرد الى جزاء عمله، و هكذا يعرف العقل قيم الله التى تطابق الرسالات السماويه التى يوحى الله بها الى الأنبياء، فبنظره
واحده الى برنامج الرسالات يكتشف الفرد صدق هذه الرساله و ارتباطها بالله، و انها تتفق و قيم العدالة و الخير و الرحمه، و انها
بالتالى أنزلت بعلم الله.

شهادة الملائكة:

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا كَيْفَ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ؟ هل ان شهادة الملائكة تعنى ان حقائق الكون وقوى الطبيعه تتفق ورسالات السماء، باعتبار ان الملائكة هى القوى العاقله الموكله من قبل الله بالطبيعه؟ ربما كان ذلك، وربما ان الملائكة يشهدون بدعم جبهه الرساله عمليا كما فعلوا فى بعض حروب الرسول، أو ان الملائكة هى تعبير عن نوازع الخير فى قلب الإنسان، تلك النوازع التى تدعمها الملائكة، و تخالفها الشياطين، و حين تتفق نوازع الخير ورسالات السماء نعرف ان الملائكة يشهدون على صدقها.

ألم يشر الرسول مره الى قلب واحد من الاعراب و قال له: «ما قال لك هذا فافعله فانه الحق».

المهم أن الله و ملائكته يشهدون بصدق الرساله و بطرق شتى.

شهادة الكفار دليل حى:

[١٦٧] و هناك شهادته على صدق الرساله تأتى من الطرف الثانى أى من الكفار أنفسهم، حيث أن مقاومتهم لقيم الرساله و من أبرزها: الحريه و العدالة تجسد أماننا الضلاله بكل ما فيها من قبح و بطلان.

إنك قد لا- تشعر بمدى خطوره الكبت و القهر و الظلم الا- حين تراها مجسده فى نظام طاغوتى، و ترى كيف تسحق كرامه الناس، و تغتصب حقوقهم، و تصادر حرياتهم فى ظل هذا النظام، آنئذ تفهم مدى بطلان الايديولوجيه التى يعتمد

عليها هذا النظام، كما تعرف صدق الفكره التي تخالفه و تخالف ايدولوجيته.

إذا نظره الى جبهه الكفر كافيه للدلاله على صدق الرساله.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا وَ سَبِيلَ اللَّهِ هُوَ كُلُّ خَيْرٍ يَدْعُو إِلَيْهِ اللَّهُ وَ يَنْتَهَى إِلَيْهِ.

[١٦٨] هؤلاء يصادرون حريات الناس و لا يدعونهم يتمتعون بنعم الحياه، و بالتالى يصدونهم عن سبيل الله، كما انهم يصادرون حقوق الناس و أموالهم، فهل يمكن أن يكون هؤلاء على حق؟ و يكون الرسول على باطل؟ و هل يمكن ان يدخلهم الله الجنة و يدخل الرسول النار؟ كلا- إن الرب الذى نعرفه من خلال نعمه السابقه، و رحمته الواسعه، و عدالته الشامله، و بالتالى من خلال أسمائه الحسنى فى الكون، إنه لا يرضى بالتأكيد عن الظلم، و انه يخالف تلك الفكره التي تدعو الى الظلم، و بالمقابل يؤيد تلك الرساله التي تدعو الى العداله.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَ لَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا [١٦٩] إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا فبالرغم مما يملك هؤلاء من عز و سلطان فى الدنيا مما يعظم فى أعين الناس، فإنهم هناك فى الاخره منبوذون فى النار خالدین فيها، لان عزتهم و سلطانهم لا شىء عند قدره الله و سلطانه.

الواقع دليل بارز

[١٧٠] و دليل آخر على صدق الرساله دليل واقعى آت من تجربتها العمليه، حيث نكتشف من خلال تجربه ان تطبيق الرساله يؤدى الى الخير (الرفاه)،

ص: ٢٥٩

و السعاده، و الحريره، و العداله) لأنها حق، و مطابقه لواقعيات الحياه و سننها و قوانينها.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا اى انه قادر غنى عنكم و عن عبادتكم، و لكنه لا- يوفر لكم الخير الا بعد اتباعكم لرسالته، لأنه حكيم و لأنه عالم بأعمالكم، و يجازى عليها إن خيرا فخييرا و ان شرا فشرا.

ص: ٢٦٠

إشارة

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ إِنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣)

اللغة

١٧١[لا تغلوا]:أصل الغلو مجاوزة الحد.

١٧٢-[يستنكف]:الاستنكاف الأنفه من الشيء و أصله من نكفت الدمع إذا نحيته بأصبعك من خدك.

ص:٢٤١

تكميلاً للحديث عن ضروره الوحي، و توضيحاً لمواصفات الطبقة المؤمنه، حتى لا تختلط بالطبقات المتظاهره بالايان، جاءت هذه الآيه لتحدث عن زيف فكره انصاف الآلهه التي ابتدعت في مذاهب النصارى، فزعموا: ان نبيهم عيسى بن مريم كان ابناً لله. كلاً، عيسى و جميع الأنبياء انما هم بشر، و صفتهم المميزه التي جعلهم الله بها أنبياء، و اختارهم للوحي تلك الصفه هي عبوديتهم التامه لله و خضوعهم الكامل له.

و نهت الآيه الأولى عن الغلو في الدين، و الافتراء على الله غير الحق بأن عيسى ثالث ثلاثة، يشكلون بالمجموع قياده موحده لاداره الكون، بينما المسيح (كما تقول الآيه الثانيه) لا يتكبر عن عبوديه الله، و لا يرى نفسه أكبر من هذه العبوديه، و هذا سر عظمته، أما المتكبرون عن عباده الله فان جزاءهم عذاب أليم.

بهذا نقت الآيات فكره الرساله عما لصق بها من روايب الشرك

الجاهليه، و جعلها مقبوله للعقل البشرى.

و الواقع ان كثيرا من الذين ينكرون الحقائق الدينيه انما ينكرون ما لصق بها من خرافات و أوهام، و لو صفيت الحقائق عن تلك الخرافات و الأوهام، فان أكثرهم سيعود الى الرشد، و يؤمن بالحقائق.

لذلك تعتبر تصفيه فكره الرساله من رواسب الشرك بمثابة دليل على صدق الرساله لأنه يفتح الطريق أمام الايمان بها.

بينات من الآيات:

الغلو:

[١٧١] الغلو فى الدين بمثابة الإنكار للدين. ذلك لان إضرار الغلو لا تقل عن إضرار الجحود أو الانتقاص من الدين، و قد يكون الغلو فى الدين سببا لكفر كثير من الناس الآخرين الذين ترفض فطرتهم النقيه شوائب الغلو، فينكرون ما ارتبط بها من حقائق الدين أيضا.

و قد كان غلو النصارى فى عيسى سببا لهروب المثقفين منهم و إنكارهم الرساله رأسا لأنهم وجدوا بفطرتهم الصافيه ان الايمان بألوهيه بشر مثلهم سخافه، فأثروا الكفر بالدين رأسا، و لم يجهدوا أنفسهم بالفصل بين الخرافه و الحقيقه فى الدين.

لذلك تجد القرآن الحكيم يعامل المغالين فى الدين بذات العنف و القسوه التى يعامل بها الكفار و الجاحدين.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ و ليس إلهها في مستوى الله سبحانه، و ليست ولادته الخارقة الا دليلا على قدره الله و عظمته، و ليس فيها اى دلاله على ألوهيه عيسى.

وَ كَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلِى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ وَ كَلِمَةُ اللَّهِ يَعْنِى مَشِيئَتَهُ الَّتِى تَتَجَسَّدُ فِى كَلِمَةِ «كُن» الَّتِى تَتَحَقَّقُ بِهَا الْأَشْيَاءُ، كَذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ. وَ كَذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ عِيسَى. قَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَكَانَ فِى رَحْمِ أُمِّهِ مَرْيَمَ، وَ لَذَلِكَ عَبَّرَ اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ بِ(أَلْفَاها إِلِى مَرْيَمَ) أَى تَلَكِ الْكَلِمَةُ الَّتِى أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلِى مَرْيَمَ، فَكُونِ بِهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ذلك لان جبرئيل هو الذى نفخ فى جيب مريم متمثلا فى رجل سوى، و بذلك النفخ خلق الله عيسى.

اما الروح فانها حسبما-يبدو لى-روح القدس الذى أيد الله به عيسى، فعلم الغيب و أحيا الموتى و عمل المعجزات.

و بذلك لم تكن معجزات عيسى دليلا على انه اله من دون الله، بل انه مزود بروح من الله.

فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ سِوَاكَ كَانَ خَلْقُهُمْ بِغَيْرِ أَبِ أُمَّ لَّا... وَ سِوَاكَ أَحْيَا الْمَوْتَى أُمَّ لَّا... إِذْ أَنْ الْمَهْمُ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ، وَ لَيْسَ الْمَهْمُ سَائِرُ الْمِيزَاتِ الْمَتَوَافِرَةِ عِنْدَ هَذَا أَوْ ذَاكَ.

وَ لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّما اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا و هل من المعقول: ان يتخذ رب السموات و الأرض واحدا من البشر بمثابه ابن له..و ما قيمه معجزات عيسى بالنسبه الى قدره الله الهائله المتمثله فى ملكوت السموات و الأرض.

و هل يتناسب ان يكون عيسى البشر المحدود الضعيف ابنا لذلك الرب العظيم..القادر.

و بدلا من ان يتخذ الواحد منا عيسى إلهًا، أ فلا يكون من الأفضل أن يتخذ الله إلهه؟! أ فليس الله يغنيه عن عيسى و غير عيسى من البشر، أ فلا يكفيه وليا و نصيرا و قائدا؟!!

العباده لله هى الامتياز:

[١٧٢] أبسط دليل على ان عيسى لم يكن سوى بشر عبادته لله و طاعته لمناهجه، تلك العباده و الطاعه التى أتقنها و أكملها المسيح، كما أتقنها سائر الرسل. مما دل على أنهم -كما نحن- عباد الله علينا جميعا ان نطيعه.

لَنْ يَشْتَنِكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ إى لا يرى ذلك غير مناسب لشخصيته، أو غير لائق لعظمته كرسول.

و لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ أولئك الذين تصور بعضهم انهم يشاركون الله فى الالوهيه سبحانه، هم بدورهم لا يرون العباده غير لائقه بهم.. كلا بل هى من صميم وجودهم الناقص

الضعيف.

وَمِنْ يَشْتَكِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَشْتَكِبُ أَيُّ مَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَعْلَى مِنَ الْعِبَادَةِ تَكْبَرًا وَكُذْبًا، فَلَا بَدَّ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ لَيْسَ سِوَى بَشَرٍ ضَعِيفٍ، وَآيَةُ ضَعْفِهِ أَنَّهُ سَوْفَ يُحْشَرُ إِلَى اللَّهِ بِكُلِّ خُضُوعٍ.

فَسَيُحْشَرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا [١٧٣] وَهَنَّاكَ يَنْقَسِمُ النَّاسُ فَرِيقَيْنِ:

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَدَفَعَهُمُ اسْتِنكَافُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ.

وَاسْتَكْبَرُوا وَدَفَعَهُمُ اسْتِكْبَارُهُمْ إِلَى تَرْكِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا فَلَا يَنْفَعُهُمْ أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَنْصَافًا هَهُ لِيُخَلِّصُوهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

ص: ٢٦٧

إشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا (١٧٥) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّرْطَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

اللغه

١٧٤[برهان]: البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان البيان يقال برهن قوله أى بين حجته.

هدى من الآيات:

بعد ان ساق القرآن الحججه بعد الحججه على صدق الرسالات السماويه-عموما-اختص الحديث عن رساله النبي محمد صلى الله عليه وآله و بين انها تحتوى على ذات المواصفات الموجوده فى آيه رساله سماويه.

فهى برهان من الله يشهد عليه الله سبحانه بما فيها من قيم صادقه، وهى نور مبين ينير للإنسان كافه جوانب حياته، وهى خير لمن اتبعها و اعتصم بها.سعاده و رفاه و هدى.

و ختم القرآن سوره النساء بما بدأ السوره من بيان حكم اجتماعى يتجلى فيه حكم الإسلام العادل الذى يعطى كل ذى حق حقه.

بينات من الآيات:

القرآن نور و هدى:

[١٧٤]القرآن برهان من الله، و بذلك يكون هدى لحياتنا فيه كل الجوانب

العامه من قيم الخير، و هو نور من الله، و بذلك يكون توضيحا لتفاصيل خطوط الحياه.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا .

[١٧٥] ولأن القرآن برهان من الله فهو يربط البشر بربه و على البشر ان يستجيب لهذا الربط بالايمان، و لأنه من جهه اخرى -نور- فعلى البشر ان يستضيء به، و يتبعه و يعتصم و يتمسك بحبله.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ حَيْثُ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ .

وَ اعْتَصَمُوا بِهِ حَيْثُ جَاءَهُمْ نُورٌ مِنَ اللَّهِ .

فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ مِمثله في حياه سعيده تتوافر فيها حاجات الجسد و الروح و الفرد و المجتمع و بكل طبقاته و عناصره.

و فضل متجسد في الرفاه المادى، و التطلع الروحى. ذلك ان السعاده هى الدرجه الاولى من الخير، و قد يكون الفرد سعيدا و لكنه لا يكون ذا رفاه عظيم، بيد ان الفضل هو الدرجه العليا في سلم الخير، و هو الذى يوفره الايمان و اتباع الإسلام.

وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

فيكون تحقيق الخير و الفضل في الدنيا مقدمه لسعاده و رفاه أكبر في الآخره، كما يكون تحقيق هذه جميعا بأقل قدر ممكن من الجهد لأنه يتبع صراطا مستقيما و هو أقرب الطرق الى الهدف.

كيف ترث الطبقة الثانيه:

[١٧٦] و كمثل على ذلك منتزع من حكم الإسلام في القضايا الاجتماعيه التي ابتدأت سوره النساء بها، و تختتم بها أيضا، كمثل على ذلك يبين القرآن حكم الإرث الذي هو من جهه رابط اجتماعي بين أجنحه الاسره الواحده، و من جهه ثانيه: طريق سليم لتوزيع الثروه و محاربه تكريسها، و من جهه ثالثه: احترام لحقوق الفرد (الميت) الذي بذل جهودا كبيره للحصول على المال، فمن حقه ان يقسم هذا المال بعد موته على أقرب الناس اليه، و ذلك بعد أداء ديونه و تنفيذ وصاياها.

في الإرث طبقات ثلاث متدرجه لا ترث الطبقة الثانيه فيها إلا بعد ان يندم أي شخص في الطبقة الاولى، و الطبقة الثالثه لا ترث شيئا الا في حاله عدم وجود أحد من أبناء الطبقة الثانيه و الاولى.

و الأخوات هن في الطبقة الثانيه (بعد الأبوين و الأولاد) و في حاله وجود أخت واحد للميت ترث نصف التركة، و إذا كانت له اختان فإنهما تتقاسمان ثلثي المال، أما إذا كانوا أكثر من ذلك، بل مختلطين، أي كان للميت اخوه و أخوات فهم يتقاسمون المال على أساس نصيبين للذكر و نصيب للأنتى.

كل ذلك في حاله عدم وجود أحد من أبناء الطبقة الاولى، أي الوالدين و الأولاد.

يَسْتَفْتُونَكَ أَي سَأَلُونِكَ أَنْ تَصْدُرَ فَتْوَى فِي قَضِيهِ الْكَلَالَةِ.

قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ أَي الْإِخْوَةَ وَالْأَخَوَاتِ.

إِنْ أَمْرُؤُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَوَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، وَأَمَّا أَغْفَلُ الْقُرْآنِ ذَكَرَ الْوَالِدَ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ عَدَمُ وَجُودِ الْوَالِدِ مَعَ هَلَاكِ الشَّخْصِ.

وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ أَمَا إِذَا مَاتَتْ هِيَ وَتَرَكَتْ أَخًا أَوْ مَاتَ رَجُلٌ وَتَرَكَتْ أَخًا لَا غَيْرَ، فَهُوَ يَرِثُهَا أَوْ يَرِثُهَا بِالْكَامِلِ.

وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَوَلَدٌ أَمَا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ، وَخَلْفَ أُخْتَيْنِ فَهُمَا تَتَقَاسِمَانِ ثَلَاثِي الْمَالِ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ الثَّلَاثِ.

فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَتْ وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَ نِسَاءً فَهُمْ يَرِثُونَ الْمَالَ عَلَى أَسَاسِ نَصِيبِ وَاحِدٍ لِلْأُنثَى، وَ نَصِيبِينَ لِلذَّكَرِ.

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَعُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أَي أَنَّمَا يَبِينُ اللَّهُ أَحْكَامَهُ لَكُمْ لِكَيْ لَا تَضِلُّوا وَ لِكَيْ لَا تَبْخَسُوا حَقُوقَ أَحَدٍ

لحساب الآخرين، والله يعلم ما يناسب الصلات الرابطة بين أبناء المجتمع، و أبسط الحقوق، فيضع لها احكاما مناسبة. هل هناك من يعلمها إلا الله، حاشا لله..

ص: ٢٧٣

سوره المائدہ

اشارہ

ص: ۲۷۵

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الهداه الميامين.

فضل السوره

□
عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال:

□
« كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بآخره، فكان من آخر ما نزل عليه سوره المائده، نسخت ما قبلها، و لم ينسخها شيء، فلقد نزلت عليه و هو على بغلته الشهباء، و ثقل عليه الوحي حتى وقعت و تدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض، و أغمى على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضع يده على ذؤابه شبيه و هب الجمحي، ثم رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقراً علينا سوره المائده، فعمل رسول الله صلى الله عليه وآله و علمناه

«

ص: ٢٧٧

استوحى اسم السوره من قصه ذكرت فى اخرها و العبره فيها: أن الرفاه الاقتصادى نعمه تهبط على البشر من السماء بقدر التزامهم بمناهج الله و أحكامه.

و تتناسب هذه العبره مع الإطار العام لأحاديث السوره، التى تدور فى محور التنظيم الاجتماعى و بصوره تكاد تكون قريبه الى اطار سوره النساء اللهم الا فى نقطه واحده. ان هذه السوره تعنى فى الأغلب بالروابط الاجتماعيه العامه، بينما كانت سوره النساء تركز على العلاقات الأسريه و الحقوق المتبادلله فيها، و بالذات قضايا الإرث، و ما أشبه.

تبتدء السوره بضروره الوفاء بالعقود، باعتبارها الرابطه الاعتباريه الأساسيه التى تبنى حضاره الإنسان، و لكن القرآن يحدد العقود فى حدود احكام لا يجوز أن تتجاوز.

من ابرز هذه الأحكام ما بيّنه القرآن، في الأُطعمه التي هي أول واهم ما تتناوله عقود البشر، لأنها مرتبطة بأشد الحاجات ضروره لهم.

و بعد بيان طائفه من أحكام الأُطعمه التي فيما بينها حكم الصيد، و حكم حريه التجاره-خصوصا في الأشهر الحرم-و التعاون على البر و التقوى و ما أشبهه، مما يتصل من قريب بقضيه الطعام(الآيات ٤/١).

بعدئذ يتحدث عن طعام الذين أوتوا الكتاب حيث يحله القرآن للمسلمين، و يشجع بذلك التجاره بين أهل الكتاب و بين المسلمين في الاطعمه(الايه ٥).

ثم يبين القرآن بعض احكام الطهاره في الإسلام، المتصل بالعلاقات الاجتماعيه(حيث ان التطهر يحجب الناس بعضهم الى بعض، و هو حق من حقوق المجتمع على الفرد)(الآيه ٦).

و يحدثنا القرآن(بعدئذ)عن ضروره الوفاء بالمواثيق باعتبارها ركنا اساسيا للعلاقات الاجتماعيه، و إذا كانت العقود وسيله للتبادل التجارى، فإن المواثيق وسيله للتعاون السياسى الاجتماعى، الا ان المواثيق يجب ان تهدف تحقيق العدل فى الحياه(الآيات ١١/٧).

كما تحددت العقود بالاحكام الشرعيه و بالتعاون على البر.

و الميثاق السياسى للدوله الاسلاميه هو أهم ما يجب على الأمة احترامه، و يسوق القرآن قصصا تاريخيه من واقع بنى إسرائيل ليجسد لنا مدى ضروره الالتزام بالمواثيق و كيف أن نقضها يورث الدمار و اللعنه(الآيات ١٤/١٢).

ثم يحدثنا عن ضروره تطبيق شريعه السماء فى المجتمع. انها نور و هدى، سواء

نزلت على موسى في التوراه، أو على عيسى في الإنجيل، أو على محمد في الكتاب المهيمن على التوراه و الإنجيل.

و يسوق القرآن الكريم من تاريخ بنى إسرائيل كيف ان مخالفتهم لأوامر السماء جعلتهم يتيهون في الأرض أربعين سنه، ثم يبين حكم القتل بعد بيان قصه ابني آدم حيث وقعت أول جريمه قتل (الآيات ٣٢/١٥).

و من القتل ينتقل القرآن الى حكم الفساد في الأرض (قطاع الطرق) و منه الى جريمه السرقة، و منها الى جريمه التجسس مما يرتبط جميعا بقضيه الأمن الاجتماعى. (الآيات ٤٢/٣٣).

و يبين ضروره الالتزام برسالات السماء انى كانت و أن من يخالفها كافر أو ظالم أو فاسق حسب طبيعه المخالفه، و يسوق أمثالا لهذه المخالفات الثلاث..

(الآيات ٤٧/٤٣).

بيد انه ليس من الضرورى لاقامه الدوله الاسلاميه أتباعهم لان القيادة و الهيمنه تكون للإسلام، حيث لا يجوز للقائد اتباع أهوائهم لأنها جاهليه (الآيات ٥٠/٤٨).

و الولاء السياسى داخل المجتمع المسلم يجب ان يكون خالصا للقياده الاسلاميه (الآيات ٥٣/٥١).

و بعد ان بين القرآن طبيعه الولاء السياسى داخل المجتمع المسلم، و الذى سماه بحزب الله (الآيات ٥٦/٥٤) عاد و حذر من ازدواجيه الولاء، و بين بعضا من مساوى أهل الكتاب، و من أبرزها حقدهم على المسلمين، و مسارعتهم فى الإثم و العدوان، و قولهم يد الله مغلوله و فسادهم فى الأرض

□
وماذا يستفيد الناس من تطبيق شريعته الله؟ يجب القرآن: بأنهم سوف يأكلون من فوقهم و من تحت أرجلهم إذا طبقوا كتب الله، هذا في الدنيا، اما في الآخرة: فسوف يرزقهم الله جنة النعيم (الآيات ٦٥/٦٦).

□
و على الرسول ان يبلغ رساله الله في كل الشؤون (و من أبرزها قضيه القياده الاسلاميه) و لا يخشى أحدا (الآيه ٦٧).

□
ذلك أن رساله الله هي خير للناس و ان الأمه لا تساوى شيئا لو لم تطبق هذه الرساله بالكامل و من دون زياده فيها (الآيه ٦٨).

و ان قيمه الايمان و العمل الصالح هي القيمه الاساسيه التي يقاس بها الأشخاص في المجتمع الاسلامى على اختلاف انتماءاتهم (الآيه ٦٩).

و لكن حرّف أهل الكتاب دينهم، و اتبعوا أهواءهم حتى انه لو جاءهم نبي يخالف أهواءهم كذبوه أو قتلوه، و زعموا انهم بقتله ضمنوا لأنفسهم حياه هائئه، و لكن كانت النتيجة بالعكس من ذلك تماما (الآيه ٧١).

□
اما النصرارى فقد اتخذوا المسيح إلها بينما كان المسيح يدعو الى الله، و ينهى عن الشرك به و منهم من قال: ان هناك آلهه ثلاث، المسيح واحد منهم، و هؤلاء كفار سوف ينالون جزاءهم إذا لم يستغفروا ربهم.

□
□
إذا، لم يكن المسيح سوى رسول مثل سائر رسل الله، و أن امه صديقه، و ان اى شخص يعبد من دون الله لا يملك ضرا و لا نفعا فهو الآخر عبد لله، و إنما تسربت فكره تعدد الألله الى الرسالات السماويه من أفكار الجاهليه، و قد

حاربها كل أنبياء الله و من بينهم-المسيح بذاته(الآيه ٧٨).

و هؤلاء الذين أدخلوا هذه الأفكار الكافره فى الرسالات هم كفار و بعيدون عن روح رساله،و ابسط دليل على ذلك انهم لا يتناهون عن المنكرات،و ان كثيرا منهم يتخذون الكفار قادتهم و أولياءهم،و هذه صفة الكفر،إذ لو كانوا يؤمنون بالله حقا،لما اتخذوا الكفار أولياء،بيد ان بعضا من علماء النصارى لا يزالون متمسكين برساله الله،و ان لهم جزاء حسنا.و بهذا السرد أراد القرآن فصل قياده المجتمع الاسلامى عن اليهود و النصارى،ثم عاد يتحدث عن:تنظيم الحياه الاجتماعيه و ضروره الانتفاع بالطيبات فى اطار مراعاة حقوق الناس.

و من الحقوق مراعاة اليمين الذى ينظم جانبا من حياه المجتمع.

و المجتمع الاسلامى متماسك لأنه بعيد عن الطيش (هو سبب من أسباب النزاعات الجاهليه)فلا خمر و لا ميسر و لا أنصاب،و لا أزلام داخله.

و لا- يعنى ذلك ان كل لذه حرام فى هذا المجتمع.كلا- إذ أن كل شىء حلال فى حدود القانون الذى تحصنه التقوى و الإحسان(الايه ٩٢).

فمثلا: كل الطعام حلال إلا- بعض الصيد،الذى جاءت حرمة امتحانا و تربيه للناس و ذلك هو الصيد وقت الإحرام،و يختص ذلك بصيد البر اما صيد البحر فهو حلال حتى فى وقت الإحرام و تكميلا للصوره..تحدث القرآن قليلا عن الكعبه،و انها تخدم النظام الاجتماعى.فلو حرم الله الصيد خلال رحله الحج فلأن ذلك سوف ينتهى الى تنظيم الحياه الاجتماعيه الآيه:(٩٧).

و بعد ان تحدث القرآن عن ضروره الالتزام بتعاليم السماء،بين سخافه

بعض ما أُلصق بالدين من خرافات و أساطير.

و بالتالى يَبين: ان الزيادة فى الدين هى بمثابة النقيضه فيه. لا تصلح الحياه به (الآيه ١٠٣) و انها جاءت نتيجة التقاليد الجاهليه، و ان على الامه أن تتحصن ضد هذه التقاليد و لا تأبه بها(الآيه ١٠٥).

و تنظيمًا للحياه الاجتماعيه يأتى دور الشهاده حيث انها تحصن المجتمع من الاستهتار بالحقوق، و يبين الله احكام الشهاده هنا بايجاز ضمن مثل حى (الآيه ١٠٨).

ثم يعود الى الحديث عن الرسل و دورهم الذى لا يتعدى البلاغ، و انهم حتى لو فعلوا المعجزات فانما ياذن الله، و بما أتاهم من قوه و علم، و ان الرفاه الاجتماعى الذى يعقب الرسالات السماويه، انما هو من الله كما انزل الله مائده من السماء على الحواريين، فان نزول المائده لا يدل على ان عيسى كان إلها و لذلك فهو يسأل يوم القيامه عن مقاله الناس فيه و لكنه يتصل فوراً عن فعله اتباعه لان الملك لله وحده(الآيه ١٢٠).

ص: ٢٨٤

[سوره المائدہ (۵): الآيات ۱ الى ۳]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلَّىٰ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (۱) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضواناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَايُنْ قَوْمٍ أَنْ صَادُواكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (۲) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصِهِ غَيْرَ مُتْجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳)

اللغة

۱[بالعقود]: عقود جمع عقد و هو كل التزام و ميثاق بين جانبيين.

[بهيمه]: البهيمه من الإبهام، و يراد بها كل دابه، و سميت بهيمه لأنها أبهمت.

۲[شعائر]: الشعائر جميع شعيره، و هى أعلام الحج و اعماله و اشتقاقها من قولهم:

شعر فلان بهذا الأمر إذا علم به.

[القلائد]: جمع قلاده و هى ما يقلد به الهدى، و التقليد فى البدن أن يعلق فى عنقها شىء ليعلم أنها هدى.

[شأن]: بغضاء و عداوه.

□
[أهل]: أى ما ذكر عليه غير اسم الله، و هو ما كان يذبح لأجل الأصنام.

[تستقسموا]: الاستقسام طلب القسمه.

[الأزلام]: جمع زلم و هو القدح أى السهام التى كانوا يجيلونها للقمار [مخمصه]: شده ضمور البطن.

[متجانف]: المتمايل للاثم، المنحرف اليه.

ص: ٢٨٤

هدى من الآيات:

لتأمين الحد الأدنى من الحضاره تحتاج البشريه الى تبادل موارد الرزق، فيعطى كل إنسان الفائض من غذائه للآخر بدلا من اخذه الفائض من غذاء الآخرين.

وقد بدأ القرآن سوره المائده التي خصصت لتنظيم الحياه الاجتماعيه العامه بتقرير مبدأ الوفاء بالعقود حيث انها تنظم علاقات الأفراد الضروريه لتعاونهم فى التجاره.

وقد تعيش مجموعه من الناس بغير مناهج-اقتصاديه،اجتماعيه،سياسيه،خلقيه-،و لكنهم كمجموعه يكاد لا يجتمعون بدون تبادل تجارى.

و لكن مبدأ الوفاء بالعقود يجب ان يكون فى اطار النظام الاقتصادى العام للإسلام.

لذلك تحدث القرآن عن المباحات و المحرمات فور حديثه عن العقود و قال ان بهيمه الانعام حلال و الصيد فى الإحرام حرام، كما يحرم شعائر الله و الشهر الحرام، و الهدى و القلائد، و يحرم إيذاء من يقصد البيت الحرام لغرض التجاره أو الحج، و كذلك الاعتداء على الآخرين حتى و لو كانوا هم البادئين.

□
ثم يبين بالمناسبه ضروره التعاون لتحقيق الخير للمجتمع و لتطبيق نظام الله الذى فيه السعاده.

و عاد الى الحديث عن بعض المحرمات مثل الميتة و الدم و لحم الخنزير، و بين ان من الضرورى تجنب العادات الجاهليه دون خوف، لان الدين كامل لا نقص فيه، و فى حاله الضروره يجوز الانتفاع بالمحرمات، و لكن بقدر الضروره و من دون الانحراف الى المحرم و لو نفسيا.

بينات من الآيات:

الوفاء بالعقود:

[١] يجب الوفاء بالعقد أى تطبيقه تطبيقا تاما، حسب ما تراضى عليه و تعاهدا به الطرفان و العقد: هو العهد و الميثاق أو هو الالتزام المتبادل حيث يلتزم كل طرف بشىء فى مقابل التزام الطرف الثانى بما يقابله.

و مبدأ وجوب الوفاء بالعقد وجوبا شرعيا، لأنه يلزم صاحبه حقا من حقوق المجتمع. ان هذا المبدأ يجعل كل عقد مشروعاً سواء كان تجاريا أو غيره، و سواء كان عقدا معروفا بين الناس فى عهد الإسلام الاول أم لا، كما يجعل هذا المبدأ التشريع الاسلامى يواكب تطورات الزمن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و لعلنا لا نجد في كتب القانون و الفقه كلمه موجزه كهذه الكلمه تفيض بعشرات الأحكام و القوانين العامه، و ربما جاء التعبير بـ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا».

للايحاء بأن الوفاء بالعقود يدخل ضمن ركائز المجتمع المؤمن، و كأنه يقول:

ايها المجتمع المؤمن عليك الوفاء بالعقود.

و مبدأ الوفاء بالعقود يوحى بحريه التجاره الا ان بقيه الايه تحدد هذه الحريه باطار التشريع الاسلامى العام الذى يحل أشياء، و يحرم اخرى.

أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمُ الْأَنْعَامِ أَي الْأَنْعَامِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ شَيْئًا، هِيَ حَلَالٌ عَمُومًا إِلَّا بَعْضَ الْمُسْتَثْنَايَاتِ.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ و من هذه الاستثناءات:

غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ أَي الْأَصْطِيَادِ فِي حَالِهِ الْإِحْرَامِ، أَمَّا الصَّيْدُ فِي غَيْرِهَا فَهُوَ جَائِزٌ وَ يُوجِبُ الْمَلَكَِيَّةَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ و علينا الا نتصور أننا أحرار في شؤوننا نختار النظم التي تعجبنا.. كلا.

فالحاكم هو الله وحده.

إذا هناك حريه و انطلاق فى الإسلام فى حريه التعامل التجارى و حيازه المباحات، و لكن فى حدود الاراده العليا لخالق الكون، و المصلحه العليا للانسانيه و فى الآيات تفصيل مبین لهذه القضايا.

أنواع الأحكام:

[٢] ما هو الحكم الذى يفرضه الله حسبما يريد؟ يضرب الله لنا مثلا واقعيا لهذا الحكم فيقول: ان احكام الله الاجتماعيه نوعان:

الف/ هناك احكام تحافظ على أمن الناس، و تصون حريتهم، و تعطى لكل إنسان فرصه للانطلاق و ذلك مثل اقامه أماكن حره تنحسر عنها الاعتداءات باى مبرر كان فلقد جعل الله-الكعبه البيت الحرام- و فرض فيه السلام و الأمن، و اعطى الحرمه و الحصانه لكل من دخله لكى يستطيع القادمون من تبادل التجاره و تداول الأفكار و التعارف على بعضهم، و بالتالى التعاون فى سبيل الخير. ان الهدف من هذا النوع من الأحكام هو حفظ الناس من شرور بعضهم و فسح المجال أمام كل الطاقات ان يساهم فى بناء المجتمع.

باء/ و هناك نوع من الأحكام تنظم علاقه الإنسان بالطبيعه و الهدف منها صيانته البشر من أضرار الطبيعه، و ذلك مثل حرمه الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أشبه.

و عن النوع الاول يحدثنا الله سبحانه قائلا:

ص: ٢٩٠

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ إِي لَا تَجْعَلُوا الشَّعِيرَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ حَرَامًا، إِحْلَالًا وَ الشَّعِيرَةَ الَّتِي تَسَاقُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ يَحْرِمُ الْإِعْتِدَاءَ عَلَيْهَا بِالسَّرْقَةِ أَوْ النِّهْبِ، أَوْ أَنَّهَا الْحِجُّ نَفْسَهُ وَ فِيمَا يَلِي تَوْضِيحَ ذَلِكَ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ لَا الْهُدَى وَ لَا الْقَلَائِدَ إِي لَا يَعْتَدَى بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَ لَا يَسْرِقُ أَوْ يَنْهَبُ أَحَدُكُمْ الْهُدَى الَّذِي اخْتَصَّ بِالْكَعْبَةِ، وَ لَا تَأْكُلُوا الْبِهَائِمَ الَّتِي تَقْلُدُ بِرِقَابِهَا قَلَادَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهَا تَسَاقُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ.

غرض كل هذه الأحكام هو تبيين حرمة الكعبة على الناس، و هي مقدمه لفرض جو من السلام على ربوع تلك البلاد المقدسه، و على الطرق المؤديه إليها من كل أفق بعيد، لذلك قال الله بعدئذ:

وَ لَا آمِنِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ إِي الَّذِينَ يَقْصِدُونَ زِيَارَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ وَ لَا تَحْلُوا حُرْمَتَهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَهْدَفُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَ رِضَاهُ.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا إِي أَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ سَلْبَ أَمْوَالِ النَّاسِ وَ لَا الْإِعْتِدَاءَ عَلَى حَقُوقِهِمْ، بَلْ يَرِيدُونَ الْحَصُولَ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي تَمَثَّلُ فِي حَيَازَةِ الْمَبَاحَاتِ، أَوْ التِّبَادُلِ التِّجَارِيِّ، كَمَا أَنَّهُمْ لَا يَهْدَفُونَ الْخُرُوجَ عَلَى الْإِنْظَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْحَصُولِ عَلَى مَكَاسِبٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ بَلْ يَبْتَغُونَ رِضْوَانًا مِنَ اللَّهِ، مِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ مِنْ وَرَاءِ

الحج أكل أموال الناس بالباطل أو مخالفه احكام الله فإنهم لا حرمه لهم.

ان الطبيعه واسعه و بإمكان الجميع ان ينتفعوا بها دون مزاحمه الآخرين، و إذا استل من قلوب الناس الأحقاد و روح الاعتداء، استطاع الجميع الاستفادة من نعم الله. بيد ان هذه الأحقاد تأتي عادة بسبب رده الفعل، فكل طرف يتصور انه ليس هو المبتدء بالاعتداء و انما يقتصّ ممن أعتدوا عليه باعتداء مماثل و هذا هو الذى يقف حاجزا امام تعاون الجميع.

و على الجميع ألاّ يدفعهم الاعتداء على مضاعفه الرد (الصاع بصاعين)، و لا ان يخرجهم من حدود العدالة، و انشد فقط يمكن للجميع أن يتعاونوا.

وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ان الله جاء بهذا التمهيد لتوجيه الإنسان الى نعم الله الواسعه، و إبعادهم عن النظر إلى أموال بعضهم و لذلك لم يلبث ان قال:

وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا اى لا يحتم عليكم اعتداء الآخرين عليكم مقابلتهم بالمثل، و ذلك بأن تعتدوا عليهم قصاصا على أنهم منعوكم عن المسجد الحرام ردحا من الزمن. كلا... ان شنان هؤلاء و عداوتهم لكم يجب الا تخرجكم عن اطار العدل بل العكس من ذلك. عليكم ان تهدفوا تحقيق التعاون.

التكفل الایمانی:

وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ

ص: ٢٩٢

هنالك تكتلات عدوانيه الهدف منها ظلم الناس و استغلالهم مثل تكتل التجار المحتكرين ضد المستهلكين، و تعاون الانظمه الجائره ضد الشعوب المستضعفه، و هذه لعنه سوداء..

و هناك تكتلات تهدف إشاعه الخير، و تطبيق النظام. أما إشاعه الخير-فهى البر-و ليس البر أن تسعد على حساب غيرك، بل أن تسعد و يسعد الجميع معك.

□
و أما النظام و تطبيقه فهو التقوى إذ هو الحذر من الله، و اتقاء بلائه، و هو لا يكون إلا بتطبيق نظامه الذى أوحى به إلى رسله، و مراعاة سننه التى أركزها فى طبيعته، و بتعبير آخر يجب أن يكون الهدف من التعاون اشاعه الخير و مقاومه الشر أنى كان مصدرهما.

و يضع القرآن فى مقابل البر الإثم، و فى مقابل التقوى العدوان فالإثم هو الحصول على أموال الناس بالخديعه(الغش-السرقه-الاحتيال-التعاون مع السلطات الجائزه-الحلف الكاذب).

بينما العدوان:هو الاستيلاء على حقوق الناس بالقوه، و بلا أى غطاء.

□ □ □
وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ □ و من أنواع عقابه الشديد أن يضرب بعضكم، بعضاً، و يشعل بعضكم نار حرب بعض على بعض فيحترق الجميع.

أو إنكم بتحالفاتكم العدوانيه يخشى بعضكم بعضاً، فيتوجه الجميع الى صناعه السلاح و يضع الميزانيات الرهيبه لغرض التدمير، فتمتص ميزانيات التسليح ثرواتكم و تحرق جذور السعاده و الرفاه، فتصبحون على ما فعلتم نادمين.

أو ليس هذا بعض ما يعيش فيه العالم؟! أ فلا يرجعون الى هدى الله؟! أو الى متى؟! [٣]لكى يسعد المجتمع لا بد ان تنظم علاقاته ببعضه على أساس ثابت من العدل و التعاون، كما لا بد أن تنظم علاقته بالطبيعه بحيث لا تضره شورها.

و قد بين القرآن فى هذه الايه جانبا من تنظيم علاقته الإنسان بالطبيعه، و بالذات جانبا من العادات المحرمه التى كانت شائعه فى المجتمع الجاهلى انئذ فقال:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ لأنها كلها تضر بصحة الإنسان.

□ □
وَ مَا أَهْلٌ لِعَيْبِ اللَّهِ بِهِ اى كل ذبيحه ذبحت على غير اسم الله.

وَ الْمُتَخَنِقَةُ الذبيحه التى قتلت خنقا و ليس ذبحا.

وَ الْمَوْقُودَةُ و هى التى ضربت بآله غير حاده حتى ماتت (كأن ضربت بصخره).

وَ الْمُتَرَدِّيَةُ التى وقعت من عال فماتت.

وَ النَّطِيحَةُ

ص: ٢٩٤

التي نطحتها البهائم حتى ماتت.

وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا تَبَقِيَ مِنْ فَضْلَاتِهِ إِلَّا إِذَا جَرَحَهَا السَّبُعُ وَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ اسْتَطَعْتُمْ ذَبْحَهَا بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ.

وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ فَعَلَيْكُمْ اجْتِنَابُهُ لِأَنَّهُ يَمْتَرِجُ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَبِالتَّالِيِ بِالشَّرْكِ.

وَ أَنَّ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ تِلْكَ الْعَادَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَيْثُ كَانَ يَجْتَمِعُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ وَ يَسَاهِمُونَ فِي شِرَاءِ شَاهٍ ثُمَّ يَقْسِمُونَهَا بَيْنَهُمْ لَا حَسَبَ سَهَامِهِمْ بَلْ حَسَبَ الْأَزْلَامِ حَيْثُ تَوْضَعُ أَخْشَابٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي كَيْسٍ أَوْ فِي بَطْنِ صِنْمٍ ثُمَّ يَسْحَبُ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَهُ، فَإِذَا خَرَجَتْ لَهُ خَشْبَةٌ مَعِينَهُ يَأْخُذُ نِصْفَ الذَّبِيحَةِ، وَإِذَا خَرَجَتْ أُخْرَى لَا يَأْخُذُ مِنْهَا شَيْئًا، أَوْ يَأْخُذُ الرَّأْسَ فَقَطْ، وَ هَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْقَمَارِ الْمَحْرَمِ.

ان الذبيحة تحرم في هذه الحالة إذا كانت قد ذبحت باسم الصنم الذي يقتصر في بطنه على نصيب كل واحد من المشركين.

ذَلِكُمْ فِسْقٌ وَعَمَلٌ مَحْرَمٌ يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ عَنْ حُدُودِ التَّقْوَى، بَلْ عَنْ حُدُودِ الْإِيمَانِ إِذَا كَانَ يَهْدَفُ التَّقَرُّبَ إِلَى الْأَصْنَامِ، وَبِالتَّالِيِ إِذَا كَانَ الْعَمَلُ ذَا خَلْفِيَّةٍ شَرْكِيَّةٍ.

و إذا كان الجاهليون قد تعودوا على هذه العادات السيئه فعلينا مقاومتهم و إياها، و عدم التنازل لهم فيها، ذلك لأن خطا واضحا قد رسم بيننا و بينهم فقد يسوا منا و نحن بدورنا لا يجب أن ندهنهم، و لا نتنازل عن بعض واجباتنا استسلاما لهم.

علينا ان نعرف ان ديننا كامل لا نقص فيه، فلما ذا نرجع للعادات الجاهليه للاخذ منها.

الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا الْإِسْلَامَ هُنا بمعناه اللغوى الذى استخدمه القرآن فى سائر الآيات بمعنى التسليم لله و لمناهجه و انه دين الله الذى ارتضاه لنا و يتجسد فى تقوى الله، و اتباع مناهجه، و فى طاعه رسول الله و أولى الأمر من بعده الذين يشكلون الامتداد الرسالى و الطبيعى لخط الله و الرسول.

و بما ان سوره المائده جاءت بعد سور القرآن كلها، فان قضيه تكميل الدين طرحت فيها، و بالطبع تكون قضيه القيادة الاسلاميه هى أبرز و أهم القضايا المعلقه التى كمل بها الدين بعد نزول سوره المائده، و عرف الناس ان الائمه المعصومين عليهم السلام هم القاده الرساليون للأمم سواء حكموا البلاد سياسيا أم لا... و سواء قاموا بمصالح الأمم العليا أم لم يقوموا.

بيد أن القيادة لا- تعنى شيئا فى منطق الإسلام لو لم تنفصل عن رواسب الجاهليه، بل لو لم تتحد الجاهليه بشجاعه و من دون خشيه، و تطبق تعاليم الإسلام.

لذلك جاءت الاشاره الى القيادة ضمن الحديث عن طائفه من عادات الجاهليه التي نسفها الإسلام ليعطى للقيادة بعدها الرسالى بحيث يجعلها لا تنفصل عن مناهج الدين، فلا يعترف الإسلام بقياده لا تطبق هذه المناهج و ان اختفت تحت غطاء كثيف من الكلمات الدينيه و الشعارات الرساليه.

فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصِهِ غَيْرَ مُتَّجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَى إن الحاله الواحده التى يجوز فيها الاكل من البهائم الميتة المحرمه هى حاله الاضطرار، حين تعم المجاعه البلاد، فيجوز الاكل منها بقدر الاضطرار بحيث لا يجوز ان يميل الى أكل الميتة ميلا- نفسيا، بل يظل يعرف ان الاضطرار هو السبب فى أكل الميتة فمتى رفع الاضطرار استطاع بسهوله ان يقلع عن أكلها الميتة، لأنه لم يتعود (لا أقل نفسيا) عليها.

ص: ٢٩٧

يَسِئَلُونَكَ ۖ ذَا أُحْزَلٍ لَهُمْ قُلٌّ لِّكُمْ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (۴) الْيَوْمَ أُحْزَلِ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا تُتَّخَذِ أَهْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (۵)

هدى من الآيات:

فى ذات الوقت الذى يحرم الإسلام طائفه من الأشياء، لا يريد ان يكبل البشر بهاجس الحرمة، فيجمد عن الانطلاق و العمل، لذلك يسد عليه أبواب الحرام، ثم يفتح أبوابا اخرى و يدفعهم الى ولوجها ففى هذا الدرس يحلل الإسلام الطيبات بوجه عام فالقاعده الأساسيه هى حليه الطيبات الا ما استثنى مما جاء فيه نص.

و الأدوات التى تستخدم فى الحصول على الطيبات هى الاخرى يجب أن تكون حلالا- الا- ما يتلى و منها: أدوات الحيازه كالكلاب و وسائل التجاره، أو كالتجاره مع أهل الكتاب، فكلاب الصيد يجوز أكل ما أمسكن به من الأحياء بشرط أن يذكر الصياد اسم الله عليه.

كما يجوز التبادل التجارى مع أهل الكتاب للحصول على منافع مشتركه، ليس هذا فقط بل حتى المتعه الجنسيه غير المحرمه، إلا فى حدود معينه فيجوز

التمتع بالنساء العفيفات سواء كن من المؤمنات أو من أهل الكتاب بشرط أن يلتزم كل طرف بواجباته، فالزوجه تحصن نفسها و لا يتبعها لقاء ذلك أجر، و الزوج يؤدي أجورها بالكامل.

□
إذا فدين الله ليس دين الجمود، و لا دين الكبت و الإرهاب، بل هو دين النظافه و التوجيه.

بينات من الآيات:

كل شيء طيب الآ:

[٤]الجهل يدعو صاحبه الى التطرف يمنه أو يسره، كما إذا، ضل شخص في الصحراء و جهل الطريق فانه ينحرف عنه ذات اليمين و ذات الشمال.

و ليس بإمكانه من دون العلم ان يلتزم بالطريق المستقيم، و لقد كانت الجاهليه تعيش بين خطى الفوضى المطلقه، حيث لا شيء حرام عندهم، كما كانت الحال عند عرب الجزيره غالبا حيث خط(الجمود المطلق) فهم يحرمون على أنفسهم طيبات الدنيا(كما كانت الحال عند بعض المسيحيين و المترهين من العرب) و جاء الإسلام بالقول الفصل، فحرم ما يضر البشر صحيا أو خلقيا أو اجتماعيا، و حلل الطيبات و جعل القاعده الأساسيه أن كل شيء طيب حلال حتى تعلم حرمة بالذات.

وسائل الكسب:

و الطيب هو كلما يستطيه العقل السليم.

□ □ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ

ص: ٣٠٠

و سألوا عن بعض الوسائل التي يحصلون بها على الطيبات، فأجاب القرآن عن وسيلتين إحداهما: نموذج لوسائل الحيازه و الاستفادة من الطيبه، و لكنه نموذج يثير الشك و يدعو الى التساؤل إذ أنه غريب على الطيبه و هو صيد الكلب.

فهل يمكن استخدام الحيوانات فى حيازه المباحات، و الكلب بالذات حيوان نجس و مكروه فى الدين فهل تحل ذبيحته؟ و حين أجب القرآن عن هذا التساؤل بالإيجاب تبين أن الطرق الأخرى التي قد تستخدم فى حيازه المباحات طرق مشروعه (كاستخدام اليد أو الآلات الحاده كالسكين أو الحيوانات المحببه الاليفه و ما أشبهه) و الثانيه: وسيله من وسائل التعاون فى الحياه، و تبادل المنافع و التجارات و هى أيضا وسيله قد يثار حولها بعض التساؤلات:

هل يجوز التعامل التجارى مع أهل الكتاب أم لا؟ فلما أجب القرآن بالإباحه تبين بالطبع حره التجاره مع كافه المسلمين.

هكذا خصصت هذه الآيات عن ضروره التخلص من الرهنه، و اتخاذ كل شىء حراما، بل بالعكس كل شىء حلال، حتى يتلى فيه نص صريح.

وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَهَذَا إِرْشَادُ بَانَ تَعْلِيمِ الْجَوَارِحِ لَيْسَ فَقَطْ مَبَاحًا، بَلْ وَ مُسْتَحَبًّا أَيْضًا، لِأَنَّهُ يَسَاعِدُ عَلَى رِفَاهِ الْإِنْسَانِ.

فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

بأن يذكر الصياد اسم الله حين يبعث كلبه.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [٥] وإذا كانت الطيبات أو بعضها محرمة على بعض أهل الكتاب بسبب سوء أفعالهم، و ظلمهم لأنفسهم فإنها قد أحلت لكم حيث انتهى السبب الداعى الى التحريم.

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ الوسيله التجاريه التى تحصلون بها على الطيبات محلله لكم هى الاخرى حتى و لو كانت التجاره مع غير ملتكم مثل (أهل الكتاب).

وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَ بالرغم من ان الطعام يعم الحبوب و الفواكه و يشمل الذبيحه و المطبوخات الجاهزه للأكل، بالرغم من ذلك فان سياق الآيه يدل على التبادل التجارى، و التبادل التجارى لا يكون عادة الا فى المأكولات غير الجاهزه مثل الحبوب و البهائم غير المذبوحه، اما المأكولات الجاهزه فهى قليله التداول خصوصا فى ذلك الوقت.

و المحصنات من أهل الكتاب:

وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اى يجوز لكم التمتع بهن فى عقد دائم أو عقد مؤقت و الجنس ليس خسه أو خبثا، أو حاله بهيميه عند البشر، كلا ان الجنس لذه طيبه هياها الله للإنسان.

و لكن يجب ان يكون التمتع بالجنس فى حدود الشرع المقدس.

فأولاد: يجب ان تكون المرأه محصنه(أى عفيفه،أحصنت فرجها،و صانت كرامتها)و من جانب ثان:أحصنها زوجها أى جعلها فى حصن اللذنه المشروعه حتى لا تفتش عن لذه حرام.

ثانيا:أن يلتزم الزوج بأداء حقوقها،و بالذات مهرها الذى هو أجر حصانتها و إخلاصها للزوج،و تمكينها للزوج انى دعته إليها حاجه جنسيه.

ثالثا:الا يهدف الزوج من وراء العلاقه مع المرأه السفاح،و ضياع ماء الحياء،و التلذذ بالمقاربه الجنسيه لفته محدوده،بل يكون هدفه بناء حصن الزوجيه الرصينه حيث يحافظ كل واحد على حقوق الثانى و حرمانه.

رابعا:الا يكون الهدف من وراء العلاقه الصداقه المائعه،حيث يوفر كل واحد لصديقه الجنس مقابل توفير الثانى له ذلك من دون التزامات قانونيه محدوده -كلا-يجب ان يكون تراضى الطرفين على أساس الأحكام الشرعيه و بالتعهد على الالتزام بها.

انك قادر على تبادل الهدايا مع اصدقائك أو أقاربك لأن ذلك التبادل لا يؤدي إلى الخلاف و النزاع،و لا يضعف علاقاتك الاجتماعيه الأخرى،و لكن لا-يجوز لك أن تبادل امرأه اجنبيه الحب و الجنس كهديه متقابله لان الجنس قضيه هامه فى حياه البشر،و ركن اساسى من أركان التعاون الاجتماعى فلو سمح لنا القانون بان يكون الجنس حسب أهواء الطرفين،و من دون الضوابط القانونيه لكانت نهايته تفكيك عروه من العرى الاجتماعيه و لتزلزلت أرسخ قاعده من قواعد التماسك الاجتماعى،من هنا فرض الإسلام أحكاما فى العلاقه الجنسيه،و أمر

بأن يكون ترابط الطرفين بينهما على أساس هذه الأحكام، وليس لمجرد الصداقه و اتخاذ العلاقه كهدايا متبادله.

إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُخْصَصِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّحِذِينَ أَخْدَانٍ وَ اعْتَبِرِ الْقُرْآنَ الْخُرُوجَ عَنْ هَذِهِ الْأَنْظُمَةِ بِمِثَابَةِ الْخُرُوجِ عَنِ الدِّينِ، إِذْ أَنْ الْفِكْرَ لَيْسَ قَوْلًا إِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ وَ سَلُوكٌ.

الإيمان قول و عمل:

وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ أَي مِنْ يَكْفُرُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُؤْمِنًا، أَوْ مَعَ التَّظَاهَرِ بِالْإِيمَانِ فَانْ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ تَحْبَطُ وَ تَقْذَفُ فِي وَجْهِهِ، وَ لَا تَنْفَعُهُ شَيْئًا.

وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنْ يُمْكِنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَ الْعَمَلِ الْفَاسِدِ، إِذْ أَنْهُ سَوْفَ يُؤْخَذُ بِعَمَلِهِ وَ لَا يُؤْبَهُ بِعَقِيدَتِهِ الَّتِي يَدْعَى أَنَّهُ يَلْتَزِمُ بِهَا فِكْرِيًّا.

ص: ٣٠٤

اشارہ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَمَا طَهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۶)

اشاره

[٦] تأتي آية التطهر في إطار الحديث عن المجتمع الاسلامي للدلالة على الجانب الاجتماعي في الطهاره، و لبيان العلاقه بين طهاره القلب و طهاره الجسد، و قد رأينا في سورة النساء كيف جاءت ايه التطهر (٤٣) بعد ايات النهي عن البخل و الرياء، و قبل ايات النهي عن تحريف الدين.

و هنا جاءت هذه الآيه في سياق النهي عن طائفه اخرى من المنكرات بينها الزنا، فكان الحديث عن الوضوء و الغسل مناسبا لطبيعته العلاقه بين حرمه الزنا و حرمه الميته و الدم و..و تنظيم العلاقه الجنسيه مما يرتبط بصحه الجسم، و بين الطهاره التي تتصل هي الأخرى بالصحه، اضافه الى العلاقه بين طهاره الظاهر التي تجسده واجبات الوضوء و الغسل، و طهاره الباطن التي يمثلها الابتعاد عن المحرمات.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ

الوضوء:

ان الشرط المسبق للتحدث مع الله في مراسم العباده، هو التطهر و ذلك بغسل الوجه مما يصدق عليه الوجه عرفا، و قد حدده الفقهاء بأنه من منابت الشعر الى نهايه الذقن طولا، و بما يشمل عليه الإبهام و الوسطى عرضا.

اما اليد فانها تطلق عادة على اى جزء من العضو المشهور.

و لذلك حدد القرآن مقدار المغسول منها بالمرفق على ان يكون المرفق جزء منه.

الغسل:

و قد سكت القرآن عن بيان طريقه الغسل و ما يغسل به، و لكن بما ان القرآن يتحدث الى الناس الذين يمارسون الغسل طبيعيا، و يعرفون كفياته، فان ذلك يكفينا دليلا عن كافه التفاصيل.

شرائط الغسل:

فأولا: الغسل يكون بالماء و ليس باى سائل آخر (فلا يجوز بعصير البرتقال أو بالكحول مثلا) ثانيا: ان الغسل يكون عادة من الأعلى الى الأسفل لان الهدف منه ان يحمل الماء الوسخ فى جريانه، و بالطبع فالماء لا يجرى الى الأعلى بل يجرى الى الأسفل.

من هنا يجب ان نصب الماء اولا على الجبهه و من ثم ينحدر على الوجه،

كذلك يجب ان نصبه على المرفق و من ثم ينحدر الى الذراع و الكفين.

كيفية الغسل:

و أتصور ان التفسير الذى يجعل كلمه (الى) فى هذه الايه بمعنى (نهايه عمليه الغسل) و يزعم ان بدايتها الكفان و ان الغسل ينبغى ان يكون من تحت الى الأعلى، أتصور انه تفسير ساذج لا يتفق مع بلاغه القرآن، كما انه يخالف العرف العام... أو ليس إذا قال الأب لابنه اغسل يديك الى الرسغ، هل يفهم من ذلك ان الغسل يبدأ من الرسغ، فلا يتصور الابن ان والده امره بان يقلب كفيه حين يغسل؟ أو ليس إذا أمرت الصبّاغ بان يصبغ غرفتك الى السقف، أو لست تضحك عليه إذا رايتة يأخذ بالصبغ من أسفل الغرفه صاعدا الى السقف، بل قد تنهاه عن ذلك لأنه يسبب تشويه الغرفه، فاذا قال لك أنت امرتنى بان اصبغ الى السقف، أو ترد عليه بانى انما أردت ان يكون نهايه المقدار المصبوغ عند السقف؟! و لم أرد ان يكون أسلوب الصباغه من تحت الى فوق... إذ ان الأسلوب شأنك أنت و ليس من شأنى.. و أنت تعرفه جيدا.

كذلك فى العرف يعرف كيف تغسل الأشياء، و لكن على الشريعه ان تحدد لهم فقط المقادير.

كيفية المسح:

وَ امْسِيْ حُوا بِرُؤْسِكُمْ وَ ارْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ اى امسحوا بجزء من رؤوسكم فتدل الباء هنا على ضروره مسح جزء من الرأس، اما الرجل فبالرغم من أنها هى الأخرى يمسح عليها و لكن القران جعل

ص: ٣٠٨

الكلمه منصوبه من ناحيه الاعراب (أرجلكم) بفتح اللام لماذا؟ لأنه لو جعلها مجروره (أرجلكم) بكسر اللام إذا لكان تقديره (بأرجلكم) و من الطبيعي ان هناك اختلافا كبيرا بين المسح بالرجل و المسح بالرأس، فالمسح بالرجل يعنى عند العرف جعل الرجل اداه للمسح كأن تقول امسح برجلك الأرض فقد قال الله تعالى:

أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ بِيَدِ ان الرأس لا يصبح أداه للمسح فلا يتصور ان يكون معنى امسح برأسك اى اجعل رأسك اداه للمسح بشىء آخر، بل يتبادر إلينا معنى (البعضيه) اى امسح ببعض رأسك.

من هنا كان من البلاغه ان يفتح كلمه الرّجل ليكون المعنى (و امسحوا أرجلكم) فيجعل لفظ أرجلكم معطوفا على محل (برؤسكم) و ليس على لفظه، أو يقدر له كلمه امسحوا بدلاله السياق.

و لو قال القران امسحوا بأرجلكم لكننا نتساءل اى شىء نمسحه بأرجلنا، و كأن الأرجل اداه للمسح و الكعبان هما قبتا الرجل.

التيمم:

وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا اى اغتسلوا.

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

ص: ٣٠٩

أى توجهوا الى تراب طاهرا و ارض طاهره لتطهروا بها تيمما.

فَأَمْسِجُوا بُرُوجِيَّكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ مِنْهُ بِان تَضْرِبُوا أَيْدِيَكُمْ عَلَى التُّرَابِ، فإذا علقته به عالقه من التراب فامسحوا بها بعضا من وجوهكم، و بعضا من أيديكم، اما الوجه فهو الجبين و الجبهه الى بدايه الأنف، أما اليدان فتمسح الكفان منهما ابتداء من الرسغ حتى رؤوس الأصابع.

إن حكم التطهير ليس الهدف منه ابتلاء المؤمنين بعمل شاق، بل الهدف منه تطهيرهم من النجاسات الظاهره و الباطنه.

الخرج:

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ إِنْ إى حكم شرعى يصل فى صعوبته الى درجه الحرج (و هى الصعوبه الشديده التى لا تحتمل) فانه يلغى أو يبدل بما هو أخف منه فالحج و الصوم و الصلاه و.و. إذا كانت تحتوى على صعوبات جسديه لا يحتملها و لا يطيقها الشخص فانها تخفف فيسقط بعض واجبات الحج و يبقى البعض فقط، و كذلك تصبح الصلاه عن جلوس بدل القيام، أو بالإيماء بدل الحركات، أو انها تحذف فيما إذا كان الواجب لا يتحرز.. مثل الصوم، فانه يحذف مره واحده إذا كان ذا صعوبه بالغه لا يطيقها الفرد.

و قد ضرب الله مثلا لهذه القاعده الفقيهه التى تسمى بقاعده (الخرج) من واقع التيمم الذى جاء بديلا عن الوضوء و الغسل فى أوقات الحرج مثل المرض أو

البرد القارص، أو قله الوقت لعجله السفر، أو فقدان الماء، أو الخوف من عدو قاهر..

و نستطيع ان نستأنس بهذه الأمثال التى ساقها القرآن الحكيم هنا فى تفصيلات قاعده الحرج و تعميماتها على الأحكام الجزئية الأخرى.

انهم أناس يتطهرون:

وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَ لِيُسَمِّيَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ الهدف من الغسل و الوضوء أو التيمم هو طهاره الجسد، و طهاره الروح، و الجسد يطهره الماء و التراب اما الروح فانها تتمرغ فى أو حال الشهوات فتحتاج الى ان تتطهر بتجدد الايمان، و عمليات التطهير هى رمز هذا التجدد. كيف؟ الرجل ينام و يلبى بالنوم حاجه جسديه ملحه، و لكن روحه و غير راضيه عن ذلك، إن الروح تتطلع الى عمل دائم، و جهد مستمر لتحقيق مزيد من أهدافها فى فرصه العمر لذلك فحين يقوم المرء من النوم يجد روحه كسوله غير راضيه، فيذهب الى الماء و يتطهر استعدادا للصلاه بهدف تحقيق مرضاه الله فى العمل بواجبات الدين، و بالتالى فى تحقيق اهداف الروح، فيرفع الكسل عن روحه بذلك، و يجد أن روحه بدأت تسير فى الاتجاه الصحيح.

ان قيمه التطهر الروحيه آتية من انه مقدمه و تمهيد للواجبات و استعداد نفسى لها.

و الله حين يبين حكم التطهر فانما يكمل الدين بذلك، و لا يدع الدين مرتبنا بالجوانب المعنويه فقط، بل بكل الجوانب و هذا من تمام نعمه الله على الإنسان،

ص: ٣١١

و لكن هل يشكر البشر ربه بهذه النعمه التامه المتجسده فى دين كامل أنزله اليه، و هل يعمل به حتى يسعد فى الدارين.هذا السؤال؟!و منك الاجابه.

ص:٣١٢

اشاره

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ اطَعْنَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۷) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ (۸) وَ عِدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۹) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (۱۰) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ
اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۱)

اللغة

۸] و لا يجرمنكم]: جرمت و أجمت بمعنى واحد لا يجرمنكم: لا يدخلنكم فى الجرم، كما يقال آثمته اى أدخلته فى الإثم.

هدى من الآيات:

بين الرب والعبد:

بين الإنسان المسلم و بين الله ميثاق اجتماعى عليه ان يلتزم به لأنه سبب مباشر لنعمه الله عليه، و نصره له، و الالتزام يجب ان يكون نابعا من القلب فلا يداخله تردد أو نفاق.

اما بنود هذا الميثاق فهو:

اولا: العمل الدائب من أجل الله من دون كلل أو كسل.

ثانيا: الشهادة بالقسط لا بالزور و لا من أجل مصالح خاصة.

ثالثا: اقامه العدل فى المجتمع حتى مع الأعداء.

رابعا: التقوى فى تطبيق هذه البنود و غيرها من فرائض الدين.

و بالالتزام بهذه البنود يمنح الله المؤمنين مغفره منه تمحى ذنوبهم السابقه، و تعرض عن تخلفهم و تكاسلهم فى الماضى، و تفتح لهم آفاق التقدم و الرفاه، بينما العكس يورد الجحيم.

تطبيق الميثاق:

و لكى نطبق الميثاق بدافع قوى علينا ان نتذكر أبدا أن تطبيق هذا الميثاق فى السابق هو الذى خلصنا من براثن العدو بعد ان امتدت إلينا، و فى المستقبل سيكون الوضع كذلك لو آمننا بالله، و توكلنا عليه، و لم نخضع لأيه ضغوط جاهليه تمنعنا عن تطبيق مناهج الدين و فى طليعتها الميثاق المقدس.

بينات من الآيات:

الرساله:

[٧] أكبر نعم الله على الإنسان نعمه الرساله، إذ أنها الاداه التى تمكن البشر من الانتفاع بسائر نعم الله عليه، فمن دون مناهج الدين لا- ينتفع البشر من نعمه الصحه، بل يفسدها بارتكاب الموبقات و لا ينتفع بنعمه العقل، بل يدسه فى تراب الشهوات، و لا ينتفع بنعمه الحريره بل يكبلها بأغلال الشرك، و عبوديه الجبت و الطاغوت.

من هنا يذكرنا الله بالنعمه الكبرى (نعمه الرساله) التى و فرت لنا فرص الانتفاع بنعم الحياه، يذكرنا بها مره بعد مره فيقول:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

ص: ٣١٦

بيد ان هذه النعمه بحاجه الى ما يكرسها و هو الميثاق الذى تعهدنا مع الله فى العمل به فمن دون الالتزام بالميثاق لا نقدر على الاستفاده من نعمه الرساله.

وَ مِيثَاقَهُ الَّذِى وَاتَّقَكُمُ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَيِّمِعْنَا وَ أَطْعَمْنَا لَا بَدَّ لَنَا أَن نَّتَذَكَّرَ يَوْمَ الْمِيثَاقِ حَتَّى لَا نَتَّصِرَ أَن نَعْمَةَ الرَّسَالَةِ وَ مَا وَرَاءَهَا مِنْ نَعْمِ الْحَيَاةِ سَوْفَ تَبْقَى لَنَا أَزْلِيهِ، كَلَّا...انما تبقى لنا ما دمنا ملتزمين-نحن بدورنا- بالميثاق و ذلك هو التقوى.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فَأَيُّهُ نِيَهَ لِنَقْضِ الْمِيثَاقِ تَرَصُّدًا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ، وَ يُؤَاخِذُ صَاحِبَهَا عَلَيْهِ أَخْذًا شَدِيدًا.

بنود الميثاق:

[٨] لهذا الميثاق بنود ثلاث:

الأول: العمل النشط من أجل الله، فعلينا ألا نتوانى عن تنفيذ واجباتنا الدينيه، أو مسؤولياتنا الاجتماعيه.

ان الله لا يحب الاعمه الكسوله المتخلفه التى لا- تنشط فى الحياه، كما لا- يحب الاعمه التى تنشط لا- من أجل الله بل من أجل مصالحها العذوانيه. إن الله يريد منا ان نكون مجتمعا دائم الحركه و الفعاليه و لكن باتجاه الأهداف الساميه، و هذا معنى أن نكون كما قال الله:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ

ص: ٣١٧

أى أن نبالغ فى القيام من أجل تحقيق أهداف الرساله المتجسده فى عماره الأرض، وإشاعه الخير فى أرجائها.

الثانى: أن تكون الأمه واعيه لذاتها، ولما يجرى حولها، وتمتلك موقفا سليما، و تعلن عن هذا الموقف بإصرار.

فالأمه التى يلفها الجهل و الغيبه عن الحياه، والأمه التى لا تملك المقياس الصحيح لتقييم أحداث الحياه، والأمه التى لا تعلن عن مواقفها السليمه. انها ليست الامه التى يريدنا الله و التى يقول عنها:

شُهَدَاءٌ بِالْقِسْطِ ذَلِكَ لَان الشهاده لا تكون إلا بعد العلم بالحقيقه و بعد الاستعداد لإعلان الموقف منها.

الثالث: يجب ان تكون الأمه عادله حتى مع اعدائها، و لا تنمو فيها الحساسيات العدائيه ضد هذا أو ذاك، و لا تنجر وراء هذه الحساسيات فى سلب حريه الأمم الأخرى و نهب خيراتها.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى الْعَدْلُ هُوَ اَقْرَبُ وَسِيْلَهُ لِتَحْقِيْقِ مَرْضَاةِ اللّٰهِ، و اتقاء عذابه، أما الظلم فهو أقرب طريق الى النار.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ

[٩] و بسبب تنفيذ بنود الميثاق تجازى الامه بجائزتين.

الاولى: إصلاح ماضيها السيء، و تصفيه رواسب هذا الماضى.

الثانية: ضمان مستقبلها الحافل بالخيرات فى الحياه الدنيا و فى الاخره.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ وَاللَّهُ لَا يَخْلِفُ وَعْدَهُ وَقَدْ جَاءَتْ كَلِمَهُ (لَهُمْ) تَأْكِيدًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَرَّرَ هَذَا الْجَزَاءَ لَهُؤُلَاءِ قَرَارًا نَهَائِيًّا لَا رَجْعَةَ فِيهِ.

[١٠] اما من خالف هذه الصفه فبدلا من الايمان الكفر، و بدلا من تطبيق مناهج الإسلام بالعمل الصالح التكذيب بهذه المناهج المنزله فى آيات القرآن و بذلك فانه من المقيمين فى الجحيم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [١١] ان نعمه الايمان تستقطب سائر النعم و فى طليعتها نعمه العزه و المنعه، و لقد كانت العرب فى الجاهليه أذلاء يطمع فيهم كل دنىء و ردىء فجاء الايمان و نفخ فيهم روح الشجاعه و الوحده، فانصرفوا على أعدائهم.

اننا يجب أن نتذكر دائما كيف كنا قبل الايمان أذلاء و كيف أصبحنا أعزه، ذلك لان هذا التذكر يجعلنا نعرف أكثر فأكثر قيمه الايمان، و نندفع الى العمل بواجباته و فروضه، و من أبرزها العمل بينود الميثاق الآنف الذكر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ

أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ لَانَ اللّٰه قَذَفَ فِى قُلُوبِهِم الرّعب فتولوا هاربين.

سبيل الانتصار:

□
وَ اتَّقُوا اللّٰهَ بِتَطْبِيقِ مَنَاجِيهِ، وَ تَفْئِذِ الْمِيثَاقِ الَّذِى بَيْنَكُمْ وَ بَيْنِهِ.

□
وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا- يَخْشَوْنَ الْقُوَى الْاجْتِمَاعِيَةَ الْمَنَاجِيَةَ اِنْ تَنَحَّرَفَ بِهِمْ عَنِ الْعَمَلِ بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ كَأَمِهِ رَسَالِيهِ، بَلْ يَسْتَمِرُّوْا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ بِرَغْمِ ضَغُوطِ الْأَعْدَاءِ.

ان العامل الاساسى الذى سوف يحسم الصراع القائم بين الجاهليه و الإسلام هو الخوف، فاذا استرهب الجاهليون جانب المسلمين انهزموا، و هذا ما كان يحدث دائما اما إذا تمكن الخوف من قلوب المؤمنين فان العدو سيهزمهم، و تقوى الله (بتنفيذ برامجه) و التوكل عليه (بالشجاعه و الاقدام) هما اللذان يطردان الخوف من الامه و يقذفان به فى قلوب العدو.

ص: ٣٢٠

اشاره

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (۱۲) فَبِمَا نَفَقْتُمْ مِنْهُم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ أَرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (۱۴)

اللغه

۱۲ ميثاق: اليمين المؤكده لأنها يستوثق بها من الأمر.

نقيباً: أصل النقيب في اللغه من النقب و هو الثقب الواسع، و نقيب القوم كالكفيل و الضمين ينقب عن الأسرار، و مكنون الإضمار، و النقب الرجل العالم بالأشياء الزكوى القلب الكثير البحث عن الأمور.

عزرتموهم: التعزير التوقير.

١٤ فأغرينا: معنى الإغراء تسليط بعضهم على بعض، وقيل معناه التحريش و أصله اللصوق، و يقال غريت بالرجل غريا إذا لصقت به.

ص: ٣٢٢

هدى من الآيات:

بعد ان بين القران فى حديثه السابق أهميه الميثاق و ضروره الالتزام بينوده عاد ليضرب مثلا- من واقع اليهود الذين نقضوا الميثاق، و مثلا من واقع النصارى.

□
اما اليهود فقد أخذ الله منهم الميثاق، و أرسل اثنى عشر رئيسا عليهم -باعتبارهم اثنتى عشره قبيله- و فرض عليهم فى الميثاق اقامه الصلاه، و إيتاء الزكاه، و الايمان بكل الرسل و السير وراءهم، و المبالغه فى عمل الخير و وعدهم إنهم ان طبقوا هذه المواثيق، فسوف يغفر الله ذنوبهم و يدخلهم الجنه، اما من كفر فسوف تلفه الضلاله و ينحرف عن السبيل.

□
بيد ان اليهود نقضوا الميثاق، فلعنهم الله، و أول ما جازاهم بنقض الميثاق كانت قسوه القلب التى كانت العله فى سائر المحرمات و منها:

اولا: تحريف آيات الكتاب و عدم الاستفاده منها عمليا.

ثانيا: الخيانه التى أصبحت عاده شائعه فيهم، و لذلك نصح الله رسوله بأن يعفو عنهم، و يحسن إليهم لعلهم يرجعون.

□
هكذا لعن الله اليهود بنقض الميثاق.

□
أما النصارى: فإنهم لما نقضوا الميثاق أوقع الله بينهم العداوه فأخذوا يتآكلون داخليا، و يضرب بعضهم بعضا، و سوف يظنون هكذا الى يوم القيامه حيث يأخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر.

إن هذا كان مصير اليهود و النصارى حين نقضوا الميثاق، و لكن دعنا نعتبر منهم و نلتزم بالميثاق التزاما شديدا.

بينات من الآيات:

ميثاق بنى إسرائيل:

□
[١٢] لكل أمه ميثاقها المرتبط بظروفها الحياتيه و بحاجاتها التشريعيه، و بنو إسرائيل اتخذ الله منهم ميثاقا مرتبطا بظروفهم يعالج مشاكلهم، و أبرز مشاكلهم التى لا زمتهم خلال تاريخهم كانت مخالفتهم لرسولهم، فاذا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم خالفوه، فقتلوه أو كذبوه.

□
و كان اتباع و تعزيز الرسل أهم بنود الميثاق، بالاضافه الى اقامه الصلاه و إيتاء الزكاه و التضحيه بمزيد من المال فى سبيل الله.

هذا من جانب بنى إسرائيل.

□
و اما من جانب الله فقد وعدهم بان يكون معهم فى الدنيا، ينصرهم فى

الحرب، و ينعم عليهم في السلم و الرخاء و أن يكفر عنهم سيئاتهم، و يدخلهم الجنة في الآخرة.

و لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا أَي جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ نَبِيًّا أَوْ قَائِدًا يَدْبِرُ شُؤْنَهُمْ.

لنستوجب رحمه الله:

و قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَرْتُمْ يُؤْمِرُكُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُخِيرَنَّ عَنْكُمْ أَجْرَهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُخِيرَنَّ عَنْكُمْ أَجْرَهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُخِيرَنَّ عَنْكُمْ أَجْرَهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُخِيرَنَّ عَنْكُمْ أَجْرَهُمْ.

ان الميثاق كان يأمرهم بهذه البنود و يعدهم بأن يكون الله معهم في الدنيا و ان يكون جزاؤهم في الآخرة حسنا.

لَأُخِيرَنَّ عَنْكُمْ أَجْرَهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُخِيرَنَّ عَنْكُمْ أَجْرَهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُخِيرَنَّ عَنْكُمْ أَجْرَهُمْ.

ص: ٣٢٥

و جاء فى الميثاق إنذار صريح لمن لا يطبقه.

فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ وَ كَيْفَ حَالٍ مِنْ يَضِيعُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ وَ يَتِيهِ فِي الصَّحْرَاءِ؟

القلب و التحريف:

[١٣] بيد أن أغلب بنى إسرائيل خالفوا الميثاق و لعنهم الله.

فَبِمَا نَقَضَتْهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ عَنْ حَظِيرَةِ الْإِيمَانِ، وَ لَمْ تَعُدْ قُلُوبُهُمْ تَسْتَوْعِبُ نُورَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ لِعَظَمَتِهِ، وَ تَخْشَى عَذَابَهُ، وَ تَرْجُوا رَحْمَتَهُ، لَمْ تَعُدْ نَفُوسُهُمْ تَنْدَفِعُ إِلَى الْخَيْرِ، وَ تَرْهَبُ عَوَاقِبَ الشَّرِّ، فَأَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ جَامِدَةً لَا تَهْزَاهَا مَتَغَيِّرَاتُ الْحَيَاةِ، وَ لَا تَوْثُرُ فِيهَا الْأَحْدَاثُ، وَ بِالتَّالِي أُصْبِحَتْ قُلُوبُهُمْ قَاسِيَةً.

وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً إِنْ الْقَلْبَ يَلِينُ بِالمَعْرِفَةِ وَ المَوْعِظَةِ وَ يَقْسُوا بِالْجَهْلِ وَ الغَفْلَةِ.. إِنْ مَعْرِفَتَكَ بِاللَّهِ تَجْعَلُكَ تَخَافُهُ وَ تَرْجُوهُ، وَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ يَلِينُ قَلْبُكَ وَ يَسْتَعِدُّ لِلتَّفَكِيرِ المَوْضُوعِيِّ وَ يَتَقَبَّلُ الْحَقَّ الَّذِي يَهْدِيهِ إِلَيْهِ تَفَكِيرُكَ المَوْضُوعِيِّ وَ يَنْدَفِعُ لِلْعَمَلِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُهُ الْخَوْفُ وَ الرَّجَاءُ، الْقَلْبُ اللَّيِّنُ يَحِبُّ وَ يَكْرَهُ. يَحِبُّ مَا يَسَبِّبُ لَهُ السَّعَادَةَ وَ يَكْرَهُ مَا يَشْقِيهِ فَالْقَلْبُ اللَّيِّنُ كَأَرْضٍ لِيْنِهِ تَنْبَتُ الزَّرْعُ، وَ تَسْتَجِيبُ لِلْعِمْرَانِ.

إِنَّمَا إِذَا جَهَلْتَ الْحَيَاةَ، وَ لَمْ تُؤْمِنْ بِاللَّهِ، وَ لَمْ تَعِ الْإِخْطَارَ الَّتِي تَهْدِدُكَ وَ لَمْ تَعْرِفِ الْمَنَافِعَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَكَ فَإِنَّ قَلْبَكَ يَقْسُو وَ يَصْبِحُ صَلْبًا لَا يَتَحَرَّكُ لِرَجَاءٍ

و لا يهتز لخوف، أنك تشعر و كان الكون جامد من حولك، و ان ما عندك من خير و نعمه لا يزول أبدا، و ان ما بك من نقص أو عجز لا- يزول أبدا، فلما ذا الخوف إذا؟ و لماذا الرجاء؟ و لماذا التفكير الموضوعي؟، و بالتالي لماذا التحرك و النشاط؟ القلب القاسى يقع فى زنانه الذات، و لا يرى سببا لمعرفة الحياه و لا للتوافق مع سنتها و حقائقها، إذ أنه لا يخاف و لا يرجو، و من هنا فانه يستهين بالعلم و يستخف بالحق و برسالات السماء بل و يلعب بها حسبما تملى عليه أو هامه.

انه يحرف كلام الله لأنه لا يرى قيمه لكلام الله، و لا يشعر بأنه هو الذى يجلب الخير اليه و يدفع الضر عنه، ذلك لأنه أساسا لا يعقل زوال الخير عنه، و لا خطر نزول الضربه.

من هنا لعن الله اليهود بقسوه القلب فحرفوا كلام الله.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ يَحْرِفُونَ كل كلام عن موضعه الصحيح، و يضعفونه فى موضع آخر إما بتحريف الكلمه ذاتها مثل ما فعلوا بما يخص بشاره نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله فغيروا فيها بحيث لا تتوافق و دلائل بعثته، أو بتأويل الكلمه الى غير معانيها الأصلية.

لقد قالت اليهود: ان كل ما جاء فى التوراه من ذم الربا و السحت و أكل اموال الناس بالإثم و العدوان، انها جميعا تختص بعلاقه اليهود ببعضهم و لا تشمل علاقته اليهود بغيرهم من الأميين حيث زعموا انه يحوز الاعتداء عليهم.

و بذلك حرفوا الكلم النازله حول هذه الموبقات عن مواضعها الصحيحه، و هى علاقته الناس ببعضهم (اليهود و غيرهم) الى مواضع اخرى تتوافق مع

أهدافهم الخبيثة.

و لم يكتف اليهود بتحريف الكلم، بل و حرفوا بعض بنود الرساله لأنهم حين قست قلوبهم لم يعطوا للرساله قيمه فحرفوا منها ما خالف أهواءهم.

وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لَمْ يَقْل الْقِرَانِ حَذَفُوا قِسْمًا مِنَ الرَّسَالَةِ بَلْ قَالَ: (نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ).

لان الرساله باقيه لا تتغير، و لا يقدر أحد ان يحذف منها شيئاً بل هم الذين نسوا و بالتالى ابتعدوا عن بعض بنود الرساله.

ثم عبر القران بكلمه (حظ) عن جانب للدلاله على ان القسم الذى نسوه من الرساله كان بالتالى فى صالحهم كسائر أقسام الرساله.

وَ أخيراً قال الله (مما ذكروا به) لبيان أن عقولهم كانت تتوافق مع بنود الرساله التى كانت تذكيراً لتلك العقول، بيد أنهم أداروا ظهورهم عن هدى عقولهم أيضاً... فلم يحفلوا بالرساله و لا بما ذكرت به.

و لم تنته فصول اللعنه التى أحاطت باليهود بسبب نقض الميثاق عند هذا الحد، بل سيطرت اللعنه على سلوكهم العام.

وَ لَا تَرَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ أَصِيبُوا بِقَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَ الْاسْتِخْفَافِ بِالرَّسَالَةِ وَ تَحْرِيفِهَا، وَ نَسْيَانِ جَانِبِ مِنْهَا، فَقَدْ تَوَغَّلُوا فِي الْأُنَانِيَةِ وَ مَا الْأُنَانِيَةِ سِوَى وَلِيَدِهِ الْاسْتِهَانَةُ بِقِيمِ الْحَقِّ، وَ التَّمَحُورُ حَوْلَ الذَّاتِ.

ص: ٣٢٨

و هذه الأناثيه ولدت عندهم خيانه بعضهم البعض الآخر، لأن الامانه تأتي نتيجة الخوف و الرجاء و الالتزام بالقيم و التمحور حول الحق.

اما هؤلاء فكانت قلوبهم صخريه، و لم يجدوا حتى رائحه القيم فلما ذا الامانه؟ بيد ان خيانه هؤلاء يجب الا تدعونا الى خيانه مضاده، إنّ الأمه الإسلاميه يجب ان تحتفظ بأخلاقياتها الساميه عند تعاملها مع الأمم الفاسده خلقيا، و الا تكتسب منها سيئات خلقها و سلوكها.

لذلك نبه القرآن الى ذلك بالقول:

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ العفو: هو عدم مؤاخذه المذنب بذنبه، و الصفح: هو نسيان هذا الذنب كليه، و الإحسان: هو محاوله إصلاح المذنب برفع أسباب ذنبه (كالفقر و الجهل أو الحقد).

النصارى النموذج الآخر:

[١٤] كانت تلك قصه نقض اليهود للميثاق، اما قصه النصارى فى نقض الميثاق فهى تختلف جزئيا فى قسوه القلب فلان رساله المسيح كانت منصبه على المواعظ و الترغيب و الترهيب فان النصارى لم يصابوا بلعنه قسوه القلب.

بيد ان النصارى نسوا- مثل اليهود- جانبا من رسالتهم، و اتبعوا فى ذلك الجانب أو هامهم و شهواتهم و مصالحهم.

و لأنّ البشر حين يتبعون أو هامهم و شهواتهم و مصالحهم فإنهم يختلفون فيما

بينهم بسبب اختلاف الأوهام و الشهوات و المصالح من طائفه لأخرى بل من شخص لآخر لذلك فقد اختلف النصارى و انتهت حياتهم الى جحيم.

وَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ التَّرَامِ الْأُمَةَ كُلَّهَا بِالْمِيثَاقِ، يُوَحِّدُهَا، وَ يَصْبِحُ الْمِيثَاقُ بِوَقْتِهِ تَطْهَرُ خِلَافَاتُهَا وَ مَصَالِحُهَا.

فاذا تركوا الميثاق عادوا الى الخلاف الأبدى، و ليس هناك ما يوحد الناس مثل الالتزام بميثاق واحد.

وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ لِأَنَّ اللَّهَ مَهِيمٌ عَلَيْهِمْ، يَحْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَ يَسْجُلُهَا لِيَحَاسِبَهُمْ بِهَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ص: ٣٣٠

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (۱۵) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۶) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ أُمُّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۷) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (۱۸)

هدى من الآيات:

□
لقد نقضت اليهود و النصارى الميثاق، و حرّفت كتبها... فما هو العمل الآن؟ ان عليهما الالتفات حول رساله الله الجديده التي لا تزال بيضاء نقيه و لم تدخلها شائبه الشرك بالله.

إن هذه الرساله أوضحت الحقائق، التي حاول أهل الكتاب إخفاءها، و إلغاء بعض الأحكام المؤقتة التي استوجبتها ظروف خاصه، و هي بالتالى نور يذكر البشر بربه و يثير دفينه عقله، و يزكى ضميره.

كما انها كتاب مفصل، يحمل خريطه واضحه لدروب الحياه السالكة التي طالما تاهت البشريه فيها و كانت عاقبتها الهلاك.

□
□
لقد أصبح النصارى كفارا بسبب قولهم فى المسيح: انه هو الله، و أصبح اليهود مشركين بقولهم نحن أبناء الله، و لم يبق للبشريه رساله نقيه سوى

الإسلام.

□
فلم يكن المسيح سوى عبد لله، وليس اليهود سوى بشر كسائر البشر.

□
□
□^{تعالى} □^{عَمَا يَقُولُونَ} □^{عُلُوًّا كَبِيرًا} .
□^{اما} □^{الله} □^{فهو} □^{رب} □^{السموات} □^و □^{الأرض}، □^و □^{لا} □^{يعقل} □^{أن} □^{يتجسد} □^{في} □^{شخص} □^{المسيح}، □^{كما} □^{لا} □^{يعقل} □^{أن} □^{يتخذ} □^{اليهود} □^{أبناء} □^{له} □^{شِبْهَانَهُ} □^{وَ}

بينات من الآيات:

رسالة الله بين التجديد والتكامل:

□
[١٥] جاءت الرسالة الاسلاميه مجدده لرساله الأنبياء من قبل و مكمله لها، أما التجديد فلأن أهل الكتاب الذين استأمنهم الله على رسالته خانوا الأمانه، و أخفوا كثيرا من بنود الرسالة التي خالفت مصالحهم، فجاءت الرسالة لتجديد التأكيد على تلك البنود لأنها كانت ضروره اجتماعيه لسائر الأفراد.

□
فمثلا: أن يكون العالم الديني المطاع، زاهدا في الدنيا، راغبا فيما عند الله.

□
□^{إن} □^{هذا} □^{الأمر} □^{أخفاه} □^{علماء} □^{أهل} □^{الكتاب} □^{عن} □^{الجماهير}، □^{لأنه} □^{كان} □^{يتناقض} □^{مع} □^{مصالحهم} □^{العاجله} □^{فجاء} □^{القرآن} □^{يوضح} □^{هذا} □^{الأمر} □^و □^{يجدد} □^{التأكيد} □^{عليه}، □^و □^{ان} □^{على} □^{الناس} □^{التمرد} □^{على} □^{السلطان} □^{الجائر} □^{أمر} □^{آخر} □^{أخفاه} □^{أهل} □^{الكتاب}، □^{فجاء} □^{الإسلام} □^{يظهره} □^{إظهارا}.

□
□^و □^{جاءت} □^{الرساله} □^{مكمله}، □^{حيث} □^{ألغت} □^{بعض} □^{الأمر} □^{الهامشيه}، □^{التي} □^{اقتضى} □^{تشريعها} □^{ظروف} □^{خاصه} □^{مثل} □^{تحريم} □^{أقسام} □^{من} □^{اللحم} □^{كان} □^{يعقوب} □^{قد} □^{حرمها} □^{على} □^{نفسه}، □^{فحرمها} □^{الله} □^{على} □^{بنى} □^{إسرائيل} □^{مرحليا}، □^{لمجرد} □^{التأسي} □^{بمعقوب} □^{أو} □^{لتأديب}

ص: ٣٣٤

بنى إسرائيل، فجاء الإسلام ليعفو عن هذا التحريم.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ

رسالة الله الكنز الأعظم:

و الرسالة السماويه نور و كتاب، نور لأنها توقد فى ضمير البشر مشعل العقل فيمشى فى ظلمات الحياه بصيرا سويا.

إن رسالات السماء تذكر الإنسان بربه، و تفتح نوافذ بصيرته على آيات الله فى الكون، إنها تذكره بعقله، و تحذره من الهوى و الشهوات و الغضب و الغفله، و بالتالى من كل ما يسد عليه أبواب المعرفة، و يحجب عنه أنوار العقل.

و إذا فتح عقل الإنسان، و استثيرت بصيرته، فانه سيعرف الكثير من خفايا الحياه، سواء تلك التى أوضحتها رساله السماويه و فصلتها، أم لا.

بيد ان الله لا- يكتفى بإعطاء البشر نورا، بل يكمل عليهم النعمه، بأن يرسم لهم خريطه متكامله لدروب الحياه، و يوضح لهم المسالك المهلكه، و الصراط المستقيم، و ذلك عبر تشريعات منفصله، و واضحه يسميها القران ب(الكتاب) و يقول:

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ

كيف تستحق هدى الله

؟ [١٦] بيد أن نور الله و كتابه، و بالتالى رسالته، لا تنفع إلا الذين يتبعون

الطرق المهلكه.

وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ أَي إِنَّ اللَّهَ لَا يَكْتَفِي بِأَنْ يَرَسْمَ لِلبَشَرِ خَرِيْطَهُ لِلْحَيَاةِ تَوْضِيْحَ لَهُمْ دَرُوبَ السَّلَامَةِ بَلْ وَ يُعْطِيهِمْ مَشْعَلَ الْعَقْلِ وَ الْإِيْمَانِ، حَتَّى يَكْتَشِفُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ هَذِهِ الدَّرُوبَ، وَ يَسْتَوْضِحُوا مَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْهَا.

وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَي أَنْ سَبَلَ السَّلَامِ تَنْتَهِي بِالتَّالِيِ إِلَى صِرَاطٍ وَاحِدٍ مُسْتَقِيمٍ لَا عَوْجَ فِيهِ وَ لَا انْحِرَافٍ يَنْتَهِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ.

لقد كفر الذين قالوا:

[١٧] و أبرز معالم الصراط المستقيم الذى هدى الله عباده اليه، و زودهم بنور العقل للمشى فيه، انه صراط التوحيد الخالص، بينما الطرق الأخرى إنما هي سبل الشرك، و الانحراف، و قد احتاجت البشريه جميعا، و بالذات اليهود و النصارى لهدايه الله، و تجديد رسالته لهم لأنهم انحرفوا عن هذا الصراط المستقيم فقالوا أقوالا كافره على أنبيائهم فمثلا قالت النصارى (أو طائفه منهم): إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَلَّ فِي الْمَسِيحِ حُلُولًا، فَأَصْبَحَ الْمَسِيحُ هُوَ اللَّهُ؟! انها كلمه كفر، و صراط أعوج. أن يكون العبد العاجز الذى لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا، إلهها يملك السموات و الأرض؟! أيه ضلاله أكبر من هذه الضلاله! ان يتصور البشر أن واحدا مثلهم يأكل و يشرب و يمشى فى الأسواق و تعتريه أسباب الضعف و العجز هو إله يملك الشمس

ص: ٣٣٧

و القمر و النجوم و الكواكب؟! لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً هل يملك المسيح القدره على منع الله من إهلاكه و إهلاك أمه، و الناس الذين يقولون عنه انه إله؟! كلا... ان المسيح أعجز من ذلك، فكيف يدعي انه إله سبحانه الله و هل يفهم الذين يزعمون ان المسيح هو الله، هل يفهمون ما يقولون؟ هل يعرفون مقام الألوهيه... و أن الله يملك السموات و الأرض و انه يخلق، و انه قادر على كل شيء؟! انهم لو تصوروا قليلاً - ضخامه السموات و الأرض لصغرت في أعينهم شخصيه المسيح على عظمته، و اعادوه الى مرتبه عبوديه الله.

هذه الأرض الواسعه بما فيها من قفار شاسعه، و بحار عظيمه، و جبال راسيه، و أنهار و احياء مختلفه، هل يملكها المسيح (من دون الله) أبداً هذا غير معقول! و هذه الشمس العملاقه التي لو وضعت أرضنا فيها لضاعت كما تضيع حلقه صغيره في صحراء واسعه!!! هذه المجرات التي تحتوى على ألف الملايين من الشمس بعضها أكبر من شمسنا بحيث لو وضعت فيها شمسنا لضاعت كما تضيع حبه الرمل في الصحراء.

و هذه الملايين من المجرات التي تسبح في الفضاء اللامتناهى، التي تضيع فيها مجرتنا على ضخامتها.

كل هذه يملكها الله، أم المسيح البشر الضعيف الذي لا يكاد يملأ حيزاً من

الأرض؟! و من هو الجدير بالالوهيه الله أم المسيح بن مريم؟! وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلْكَفْرِ أَوْ الشَّرْكِ هُوَ جَهْلُ عَظْمَةِ اللَّهِ، وَ عَدَمُ مَعْرِفَةِ سُلْطَانِهِ الْوَاسِعِ، وَ مَلَكُوتِهِ الْعَظِيمِ، وَ لِذَلِكَ كَلَّمَا تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ عَنِ الشَّرْكِ بَيْنَ جَانِبَا مِنْ قُدْرَتِهِ لِيَنْتَزِعَ مِنْ قَلْبِ الْإِنْسَانِ أَهْمَ أَسْبَابِ الشَّرْكِ بِهِ.

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [١٨] وَ حِينَ قَالَتِ النَّصَارَى: إِنْ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، أَوْ إِنَّهُ هُوَ اللَّهُ، فَإِنْ دَافَعَهُمُ النَّفْسَى كَانَ التَّمَلُّصُ مِنْ مَسْئُولِيَّتِهِمْ كَبْشَرًا.

انهم قالوا: ان المسيح هو الله، و نحن اتباعه المقربون اليه، فهو لن يعذبنا، بل سوف يقف حاجزا بين رب العرش و بيننا حتى لا نعذب بذنوبنا.

و هذه هي الضلالة الكبرى التي يقع فيها البشر، فما ذا ترجو من بشر لا يرى نفسه مسئوله عن الخطيئات التي يرتكبها؟ أ فترجو منه سوى الجريمة و العدوان؟ وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ انظُرْ كَيْفَ إِنْ اللَّهُ فَضَحَهُمْ وَ أَكْذَبَ أَحَدُوتَهُمْ رَأْسًا، وَ بَلَا-مَقْدَمَاتٍ، فَلَمْ يَنَاقِشْ مَسْأَلَةَ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ أَمْ لَا، بَلْ نَاقِشْ قَضِيَّةَ الْمَسْئُولِيَّةِ مَبَاشَرَةً فَقَالَ:

ان الهدف الذي تبغونه من وراء هذه الدعاوى هو الخلاص من مسئوليته أعمالكم.. كلا.. إنكم مسئولون عنها، و ابسط دليل على ذلك مسئوليتهكم في الدنيا عن أعمالكم. إن الواحد منكم يشرب الخمر فيسكر و يجرح نفسه، أو

يمرض و يموت أو ليست هذه مسئوليته مباشرة لعمل شرب الخمر، و الآخر منكم يأكل الميتة و هي حرام، فيموت متأثراً بالجراثيم التي كانت فيها أو ليست هذه مسئوليته لحقت به جراء عمله. إذا فأنتم مسئولون عن أعمالكم، معذبون بسيئاتكم، و هذا أبسط دليل على انكم كسائر البشر خلقكم الله.

يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ بِلَا حَتْمٍ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ النَّاسِ أَنفُسَهُمْ.

و عاد القران و ذكرنا بقدره الله، و ملكوته، لعلنا نتذكر استحاله اتخاذ الله لبعض عباده أبناء له.

و لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا ثُمَّ ذَكَرْنَا مَرَّةً أُخْرَى بِالْمَسْئُولِيَّةِ أَمَامَهُ، تَجَاهَ أَعْمَالِنَا قَائِلًا:

وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَ هُنَاكَ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرِهِ مِنَ الرَّسْلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۹) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (۲۰) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (۲۱) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (۲۲) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبِلَادَ فَمَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكُمُ الْغَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۳) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (۲۴) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (۲۵) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (۲۶)

٢٦ يتيهون: أصل التيه التحير الذى لا يهتدى لأجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود.

ص: ٣٤٢

هدى من الآيات:

لقد استخدم القرآن أسلوب الترغيب في الدرس السابق، لتشجيع بني إسرائيل على اتباع رساله الإسلام.

اما في هذا الدرس، فقد استعمل التهديد المبطن، وقال: لو لم يلتف بنو إسرائيل حول رساله، فان أخطارا كبيره تهددهم، و سوف يندمون من دون جدوى.

و ضرب لهم مثلا من تاريخهم، كيف أصابهم سوء بسبب عصيانهم أمرا من أوامر الله، و ها هم اليوم يخالفون رساله بكاملها فما ذا ينتظرون؟ لقد أمرهم الله على لسان موسى بن عمران بأن يتذكروا نعم الله عليهم، و يلتزموا بتعهداتهم تجاه هذه النعم، و يدخلوا الأرض المقدسه سلما أو حربا، و لكنهم أبوا القتال، و خافوا من بطش الذين كانوا يسكنون فيها، و طالبوا نبيهم

بان يقوم هو و ربه بالقتال نيابه عنهم، بيد أن الله حرم المدينة عليهم، و جعلهم يتيهون فى الصحراء أربعين سنه.

□
و هكذا تكون عاقبه الذين يخالفون أوامر الله، و هكذا تكون عاقبه من لا يؤمن برسالاته.

بينات من الآيات:

استمراره الرسالات:

[١٩]الرساله السماويه مستمره سواء فى شخص الرسول أو فى أوصيائه، و حمله علمه و هديه، و بالتالى فانها لا تنقطع فى أى زمان، بيد انها قد تغتر، و تتباطأ خطواتها و تقدمها فى الحياه، و حينئذ يختار الله من عباده رسولا جديدا يعطى دفعا لمسيره الرساله، و يزيل عنها فترتها و تباطؤها.

و قد جاء الرسول صلى الله عليه و آله وفقا لهذه السنه الإلهيه، و الهدف من بعثته توضيح المسيره للناس بعد ان طمست التحريفات معالمها.

□
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ و الرساله نعمه إضافيه للإنسان، فقد زود الله البشر بالعقل و العلم، و عليه أن يتجنب المهالك بهما.

□
و لكنه مع ذلك من عليه بالرساله إتاما لنعمته، و تكميلا لفضله، لكي لا يأتى غدا و يلقى بمسؤوليه هلاكه على الله سبحانه و يقول مثلا: يا رب لماذا لم تبعث رسلا فقد كنا غافلين جهله و ها هو الله قد بعث الرسل.

أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَإِذَا اشْهَدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ لَوْ هَلَكْتُمْ فَمَا بِسَبَبِ عَمَلِكُمْ وَ سَوْءِ
اِخْتِيَارِكُمْ.

وَ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَعْذِبَكُمْ مَتَى شَاءَ إِذَا خَالَفْتُمْ الرِّسَالَ، كَمَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ رِسَالًا بِالْغَيْبِ وَ
بِصُورِهِ مَخَالَفَهُ لَطَبِيعِهِ الْأَشْيَاءَ.

دور الأنبياء و مسئوليتهم:

ما هو دور الأنبياء و ما هي مسئولية الأمة تجاههم؟ [٢٠] دور الأنبياء هو توجيه البشر الى ما فيه خيرهم، أما مسئولية الأمة فهي
العمل بذلك التوجيه، و من دون التوجيه لا توجد فرصة امام الناس للعمل، و من دون العمل لا يكفى التوجيه وحده و هذه قصه
بنى إسرائيل مع رسلهم.

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً وَ جَعَلَ لَكُم مَلُوكًا الْأَنْبِيَاءُ جَاءُوا بِتَوْصِيَاتٍ اتَّبِعَهَا
النَّاسُ، فَأَصْبَحُوا بِسَبَبِهَا مَلُوكًا فِي الْأَرْضِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا مَلُوكًا دَبَّتْ فِيهِمْ آثَارُ الرِّخَاءِ فَظَنُّوا أَنْ وَصُولَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ أَوْ مِنَ اللَّهِ، وَ لَكِنْ بِسَبَبِ أَنْ اللَّهُ فَضَّلَ عَنْصَرَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ تَفْضِيلًا عَبَثًا وَ بَدُونَ حُكْمِهِ، لِذَلِكَ أَوْصَاهُمْ مُوسَى بِتَذَكُّرِ
نِعْمَةِ النَّبِيِّ وَ أَنَّهَا لَوْ أَهْمَلْتُمْ فَان الْمَلِكِ سَوْفَ يَنْزَاحَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ.

وَ أَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ

ليس عبثاً بل بسبب اتباعكم للرسل الذين جعل الله فيكم.

[٢١] بعد ان بين موسى لقومه دور الأنبياء و مسئوليته الأمة تلقاء الأنبياء، و بعد ان ذكرهم بأن في اتباع الأنبياء يصبح بنو إسرائيل ملوكاً في الأرض، أمرهم بدخول الأرض المقدسه (فلسطين) بعد ان قادهم من مصر عبر البحر الى تلك الأرض، و كان امر موسى حازماً يشبه الأوامر العسكريه إذ قال:

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَزْتَدُوا عَلَيَّ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْخُلُوا فِلَسْطِينَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُمَثِّلُونَ الْأُمَّةَ الْمُؤْمِنَةَ الْوَحِيدَةَ وَ لِأَنَّ حُكَّامَ فِلَسْطِينَ كَانُوا قَوْمًا جَبَّارِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ.

ثم حذرهم موسى من ان رجوعهم يسبب لهم الخساره.

التبرير افيون الحضاره:

[٢٢] أما رد بنى إسرائيل فكان جباناً بما فيه الكفايه و فوق ذلك و على أساس ايدلوجى فهو خاطئ، و هو أن على الأنبياء ان يهيئوا غيباً كل وسائل التقدم المادى بعيداً عن جهد البشر و لذلك قال بنو إسرائيل و بلا خجل:

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَ انما كرروا كلمه موسى استعطافاً و تذكيراً بدوره الغيبى فى عبور البحر، و هلاك فرعون، و لذلك شبهوا حكام فلسطين بحاكم مصر السابق، و ان كليهما كان جباراً.

وَإِذَا لَمْ نَدْخُلْهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِذَا دَخَلُوا وَكَأَن دَخَلُوا الْمَدِينَةَ بَعْدَ خُرُوجِ الْجَبَارِينَ مِنْهُ مِنْهُمْ عَلَى اللَّهِ، أَوْ أَنهَا طَاعَهُ يَتَّبِعُونَ مِنْ وَرَائِهَا ثَوَابًا مِنْهُ.

و الواقع ان هذا تفكير موجود عند كثير من الناس انهم يتبعون الأنبياء فقط فيما يخدم شهواتهم العاجله، ثم يعتبرون ذلك عملا عظيما.

[٢٣] بعد جوابهم الفاتر لأمر موسى سكت عنهم، و تولى مهمه إقناعهم بعض الحواريين من أصحابه.

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ إِذْ أَنْتُمْ أَصْحَابُ الْحَقِّ وَ أَنْتُمْ تَتَّبِعُونَ أَنْتُمْ خَطَهُ الْمَبَادِرَهُ بِالْهَجُومِ، وَ تَمْلِكُونَ نَاصِيَهُ الْمَوْقِفِ بِالْإِقْدَامِ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَهْدِفُونَ مِنْ وَرَاءِ الْحَرْبِ تَحْرِيرِ شَعْبِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَيْدِي الْجَبَارِينَ، وَ بِذَلِكَ تَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ، بِتَعَاوُنِ الشُّعُوبِ مَعَكُمْ ضِدَّ الْجَبَارِينَ.
وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ذَلِكَ إِنْ التَّوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ يَزِيدُكُمْ ثِقَةً وَ رُوحًا مَعْنَوِيَةً عَالِيَةً.

القيادة مشعل هدايه لا واقع تبرير:

[٢٤] لقد كان هذا الرأى موقف رجلين فقط منهم، حيث حاولا اقناع الآخرين بضروره إتباع أوامر الرسول، اما الأكثرية الساحقه فقد خالفت انطلاقا

من فكره سلبه متخلفه، حيث زعموا ان على الله ان يوفر لهم النصر و يقدمه إليهم في طبق من ذهب.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَيْدًا مَا دَامُوا فِيهَا وَ اسْتخدموا أنواعا من التأكيد اللفظي في رفض دخولهم المدينة لقتال الجبارين فيها فقالوا: (لن) الداله على نفى الأبد، و أضافوا إليها كلمه أبدا للدلاله على ان كل المحاولات المبذوله لإقناعهم بضروره الجهاد، ستذهب سدى، و ان الحل الوحيد هو صنع النصر و اعطاؤهم إياه جاهزا.

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعٌ دُونََ ان نظره الناس الى الدين تختلف اختلافا يكاد يكون متناقضا فيبينما يؤمن البعض بالدين ليجدوا فيه برنامجا للعمل الصادق، و أسلوبا للتضحيه السخيه، و قياده رشيده للجهاد من أجل التحرر و التطوير، نجد آخرين يؤمنون بالدين و بالقياده الدينيه لتحمل عنهم مشاكل الحياه و تقوم بدلا عنهم بالعمل من أجل حلها.

و إذا لم تحلّ مشاكلهم بالدين صبوا عليه جام غضبهم، و كفروا به و بقيادته كما يفعل المسلمون اليوم الذين نبذوا الدين لأنه لم يمنحهم التقدم، بينما السبب في تخلفهم انما هو تقاعسهم عن العمل الصادق.

النصارى الذين زعموا ان المسيح يفديهم بنفسه و يخلصهم من شرور أنفسهم، و من سيئات أعمالهم كانوا من هذا النوع، و اليهود الذين و كلوا الله عنهم في الحرب كانوا هكذا أيضا من أصحاب هذه الفكره.

بينما المسلمون الصادقون استجابوا للرسول عند ما ناقشهم في الحرب (في

بدر) فقال له المقعداد: نحن لا نقول لك مثل ما قالت اليهود لنيهم (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا) بل نحن نقول: لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد.

[٢٥] ان اتباع القيادة بصدق هو هذا الاتباع لا ذاك، لذلك تبرأ موسى من قومه، وقال:

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ان اخطر بلاء ينزل على الأمة اللامسؤوله التي تلقى بأعبائها على كاهل قيادتها و تتقاعس عن العمل هو: حرمانها من تلك القيادة، حيث يفصل عنها قادتها المصلحون بعد التأكيد من أن لا رجاء في إصلاحهم.

لقد تبرأ موسى من قومه و انفصل عنهم و رماهم بالفسق.

[٢٦] اما الجزء الثاني: فهو البقاء في التخلف لان هذه الامه لم ترض بدفع ضريبه التقدم و هي الجهاد، لذلك كان جزاء بنى إسرائيل عند ما تقاعسوا عن حرب الجبارين أن بقوا في التيه، كما أن جزاء كل أمه لا تتبع قيادتها الرساليه، هو بقاؤها في مستنقع الضلاله و التخلف حتى تعرف أهميه القيادة، و تعود الى رشدها.

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ان موسى تبرأ من قومه و طلب من ربه بأن يفرق بينهم و بينه، و قد استجاب له الله و طلب منه ان ينسى هموم قومه، و لا يأسف على ما يصل إليهم.

اشاره

وَ اتلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِٰنۡى اٰدَمَ بِالْحَقِّ اِذْ قَرَّبَا قُرْبٰنًا فَتَقَبَّلَ مِنْ اٰحِدِهِمَا وَ لَمۡ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْاٰخَرِ قَالَا لَاقْتُلۡنَاكَ قَالَا اِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِيۡنَ (٢٧) لَئِنۡ بَسَطۡتَ اِلَآىۡ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِيۡ مَا اَنَاۡ بِبَاسِطٍ يَدَيۡ اِلَيْكَ لِاَقۡتُلَكَ اِنۡىۡ اَخَافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعٰلَمِيۡنَ (٢٨) اِنۡىۡ اُرِيۡدُ اَنْ تَبۡوَا بِاِثۡمِيۡ وَ اِثۡمَكَ فَتَكُوۡنَ مِنْ اَصۡحٰبِ النَّارِ وَ ذٰلِكَ جَزَاۗءُ الظّٰلِمِيۡنَ (٢٩) فَطَوَّعۡتَ لَهٗ نَفۡسُهٗ قَتَلَ اَخِيَهٗ فَفَتَلَهٗ فَاَصۡبَحَ مِنَ الْخٰسِرِيۡنَ (٣٠) فَبَعَثَ اللّٰهُ غُرٰبًا يَبۡحَثُ فِى الْمَآرِضِ لِیُرِيَهٗ كَیۡفَ یُوٰرِىۡ سَوَآءَ اَخِيَهٗ قَالَا لَیۡلَآ وَ لَیۡلَآ اَعۡجَزۡتُ اَنْ اَكُوۡنَ مِثۡلَ هٰذَا الْغُرٰبِ فَاُوٰرِىۡ سَوَآءَ اَخِيۡ فَاَصۡبَحَ مِنَ النَّٰدِمِيۡنَ (٣١) مِنْ اَجۡلِ ذٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلٰی بَنِیۡۤ اِسۡرَآئِیۡلَ اَنَّهُۥ مَنْ قَتَلَ نَفۡسًا بِغَیۡرِ نَفۡسٍ اَوْ فَلَاسِدٍ فِى الْاَرۡضِ فَكَآثۡمًا قَتَلَ النَّاسَ جَمِیۡعًا وَ مَنْ اَحۡلٰهَا فَكَآثۡمًا اَحۡلٰ النَّاسَ جَمِیۡعًا وَ لَقَدۡ جَآءَ تَہۡمُ رُسُلُنَا بِالۡبَیِّنٰتِ ثُمَّ اِنۡ كَثِیۡرًا مِّنۡہُمۡ بَعَدَ ذٰلِكَ فِى الْاَرۡضِ لَمُۡسِرِفُوۡنَ (٣٢)

اللغه

٢٧[قربانا]:القربان ما يقصد به القرب من رحمه الله من اعمال البر.

٢٨[بسطت]:البسط:المد و هو ضد القبض.

٢٩[تبوء]:تبوء ترجع « وَ بَاۗؤُۥ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ » اى رجعوا،و البوء الرجوع بالقود.

٣٠[فطوعت]:انقادت له و سولت.

٣١[يوارى]:يقال وارىت كذا إذا سترته،و توارى استتر.

[سوءه أخی]:جیفته أو عورته.

ص:۳۵۱

بينات من الآيات:

الاستعلاء فى قصه الاعتداء الاول:

[٢٧] قصه ابنى آدم تحتوى على عبر حقه، فبالاضافه الى انها بذاتها قصه واقعيه، فان الهدف منها واقعى و حق، و هو تحقيق السلام بين أبناء آدم.

و كما لا نرضى ان يعتدى أخ على أخيه و كلاهما ابنا لآدم، كذلك علينا ان لا نرض اعتداء بشر على بشر، لأنهما من أبناء آدم و هما بالتالى أخوان.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا وَ ضَحِيًّا بِأُضْحِيهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ.

فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّ الدَّافِعَ الَّذِى بَعَثَ قَائِلَ إِلَى ارْتِكَابِ أَوَّلِ جَرِيمِهِ قَتْلَ فِى تَارِيخِ الْبَشَرِيهِ هُوَ

دافع الحسد، و هي غريزه الحرص على التفوق و الاستعلاء.

إن البشريه بإمكانها ان تتقاسم بينها خيرات الأرض دون الحاجه الى الاقتتال، إذ أن الله وفر للبشريه ضرورات حياتها فهي لا تحتاج الى الصراع مع بعضها من أجل الحصول على هذه الضرورات.

و لكن الحروب انما كانت من ثوره غريزه الاستعلاء الشيطانيه التي يجب لجمها و تحديدها.

ان قابيل لم يقتل أخاه من أجل الصراع على البقاء كما يزعم المذهب الدار و يني، و لا من أجل الحصول على بنت أجمل كما يزعم المذهب الفرويدي، و لا- من أجل سوء التربيه و ضغوط الاجتماع، أو الصراع الطبقي أو غيرها مما تزعمها المذاهب الاجتماعيه المختلفه، كلا، و لكنه قتله لحب الاستعلاء و الحسد، و إذا سيطرت البشريه على غريزه الاستعلاء في ذاتها فقد وفقت للعيش بسلام مع بعضها و انتزعت من نفسها فتيل الحروب.

لقد كان موقف هايبيل أمام التهديد بالاعتداء موقف المسالم.

قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

عبرنان:

الاولى: ان كثيرا من الحروب تقع بدافع الخوف من الاعتداء فمثلا: تخشى دوله معينه من اعتداء جارتها عليها، فتتسلح، و حين ترى جارتها عمليه التسلح تخشى هي بدورها فتتسلح هي الاخرى فتخشى إحداهما من مبادره الاخرى بالهجوم فتهجم، فتدافع الاخرى عن ذاتها، و بالتالي تجد ان كلتا الدولتين

أقحمت في اتون الحرب من دون اراده مسبقه لها، بل استسلاما لدافع الخوف.

من هنا توحى إلينا قصه ابني آدم بأن الخوف من الاعتداء، ليس سببا معقولا للاعتداء حيث ان هابيل (القتيل) أجاب على التهديد بالقتل بكلام تربوى، و صرح بعدئذ(فى الايه التاليه)بأنه لن يمد يده لقتل أخيه.

الثانيه: ان الاستعلاء ليس طريقا للعلو فمن يريد الصعود الى الجبل لا يكفيه ان يقف على السفح و يمنى نفسه بالصعود، أو يعارض من يصعد، بل عليه ان يحرك نفسه و يعمل على تغيير ذاته حتى يصعد. و الله لا يتقبل عمل أحد، و بالتالى لا يباركه، و لا يوفقه للنجاح إذا لم يغير ذاته و يتق الله.

فمن يعمل من أجل تحصيل العلم ثم لا يصل اليه، و يرى الآخرين أصبحوا علماء فليس الطريق الأفضل له ان يعارض العلماء و يناصبهم العدا، بل من الأفضل و الأنفع له أن يراجع نفسه ليجد ان فيها خلا ما منعه عن الوصول الى العلم، فيصححه و هكذا إذا يكون منطلق التقدم هو هذا المبدأ (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) إذ انهم و حدهم الذين يصلحون أنفسهم فيساعدهم الله على ذلك.

[٢٨] لئن بسطت إالى يديك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك و بذلك صرح القرآن بأن التهديد ليس مسوغا للمبادره بالجريمه، و إذا استطاع الإنسان ان يقاوم إغراء التهديد فلا يقتل الناس و لا يشن الحروب الابتدائيه ضد الآخرين، لأن نصف الحروب تصبح بلا مبرر و بلا دافع إليها.

إذا فما الذى يساعدنا على ضبط الشعور بالخوف من الآخرين، و بالتالى تحديد غريزه المبادره بعد التهديد؟ الجواب: هو الخوف من الله فهو خوف يقاوم الخوف من البشر، فلأنك تخشى

الناس تريد ان تشن الحرب عليهم و لكنك من جهه اخرى تخاف الله فتحجم عن شن الحرب على عباده، و لذلك قال هايبيل:

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ و لان الله هو رب العباد فهو يحبهم، و لا يرضى لواحد ان يعتدى عليهم.

و كلمه اخيره ان هذا الموقف من هايبيل لا يدل على الاستسلام للظلم فالإسلام يأمر بكل وضوح و جديده بضروره مقاومه الظالمين، و لكن بعد ان يبدؤا فعلا في ظلمهم أو فيما يؤدي اليه بالتأكيد.

و هايبيل لم يكن يصدق ان قابيل قاتله، بل ربما كان يظن ان كلامه كان مجرد تهديد أو لا أقل كان يحتمل ذلك، و قد قتل غيله.

[٢٩] ثم قال هايبيل الذي لم يشأ ان يصبح المجرم. حتى و لو كان ذلك يؤدي به الى ان يصبح الضحيه:

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ حَيْثُ ان القاتل بغير حق سيتحمل أوزار القتل يوم القيامة، بينما يغفر الله للقتيل ذنوبه رحمه به.

فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ حيث يتضاعف اثمهم بسبب ظلمهم للناس.

[٣٠] النفس الاماره بالسوء تهون في عين الإنسان الجرائم الكبيره إرضاء للشهوات العاجله، و قابيل كان يستعظم في البدء الاعتداء

على حياه أخيه، حيث

أودع الله في فطره الإنسان احترام الحياة و تكريم الآخرين، بيد ان نفسه طوعت له، و ذلت هذه الجريمة.

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ خسر فطرته النقيه، و خسر أخاه الكريم، و خسر حياته الهادئه، و خسر مستقبله في الآخره.

[٣١] قتل أخاه و تورط في الأمر، ماذا يفعل بجسد أخيه.. بهذه العلامه الواضحه لجريمته؟! و هنا بعث الله غرابا، يثير الأرض بمنقاره فانهار كبرياء قاييل الكاذب، و تهاوى صرح غروره، و عادت اليه فطرته، و قد خمدت جذوه الغضب السابقه التي كانت قد حجبت عنه عقله، و قال لنفسه: كم انا عاجز و كم كنت مغرورا بنفسى فهذا الغراب عرفنى كيف ادفن جسد اخى!!! فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِى سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ [٣٢] أ رأيت كيف قضى قاييل على حياه أخيه، و كيف ندم على فعلته دون ان ينفعه الندم أ رأيت كم هى عظيمه و مؤلمه جريمه القتل، لذلك احترمت الشرائع السماويه حياه الإنسان و جعلت حياه كل فرد مساويه لحياه الناس جميعا.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ يَجُوزُ الْقَتْلُ قِصَاصًا أَوْ لَمْنَعِ الْفُسَادِ كَمَا يَبِينُهُ الدرس القادم، اما فى غير ذلك فان قتل نفس واحده، تكون بمثابة قتل النفوس جميعا....

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ان احترام الحياه عند الشرائع السماويه، و الإسلام بالذات، لا تعود الى حياه هذا الشخص أو ذاك، بل الى الحياه كحياه أيا كانت خصائصها و ميزاتها، لا فرق بين الطفل الرضيع، و رئيس البلاد، أو بين المؤمن الصالح أو الإنسان العادى، أو بين عدوى و صديقى، المهم ان الحياه محترمه، و لو استهان المجتمع بحياه واحد منهم فان الحياه كلها فى خطر.

وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعِدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُدْرِكُوا يَتَجَاوَزُونَ حُدُودَهُمْ، حتى ينتهى ذلك بهم الى الجريمه الفاحشه.

ص: ٣٥٧

اشاره

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (۳۳) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۴)

اللغه

۳۳[ينفوا]:النفى و الطرد.

[خزى]:الخزى الفضيحه.

ص:۳۵۸

هدى من الآيات:

فى الآيات السابقة تحدث القرآن الحكيم عن القتل الذى يقع بسبب الفساد فى الأرض، وفى هذا الدرس يفصل الحديث و يبين ضرورة قتل هذه الفئة المفسده أو صلبهم أو إخراجهم من الأرض، إلا- ان الله يذكرنا بأن العقوبه لا- تكفى وحدها فى ردع المجرمين، بل لا- بد ان يعرف المجرم ان جزاء عمله الحقيقى هو عذاب الله فى يوم القيامة، ثم يفتح الله باب رحمته حين يلغى العقوبه لأولئك الذين يتوبون قبل ان يقدر عليهم النظام الاسلامى، و هذا بدوره طريق لردع المجرمين عن التمادى فى فسادهم.

بينات من الآيات:

الجريمه و العقاب:

[٣٣] إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا

ما هي محاربه الله و رسوله؟ ان محاربه الله ليست بشهر السلاح ضده سبحانه، كما ان محاربه الرسول ليست دائما بشهر السلاح ضده، انما المحاربه الحقيقيه هي: مقاومه النظام الاسلامى الذى يقوده الرسول أو خلفاؤه مقاومه مسلحه، مما يسبب الفساد فى الأرض و تغييرا فى النظام الذى يصلح الأشياء.

ان فساد المجتمع هو: تغيير نظامه القائم، و اشاعه الفوضى فيه، و تعكير صفو الأمن، و إفساد الزراعه بتغيير نظام الري و المساقاه فيها، و عدم تطبيق واجبات الزراعه من تسميد و تشذيب، و اختيار الموسم المناسب.

و مثل الزراعه الصناعه و التجاره و غيرها من حقول الحياه المختلفه، و جزاء من يشيع الفساد بمقاومه الانظمه الطبيعيه أو التشريعيه التى وضعها الله سبحانه هو واحد من الأمور التاليه: اما القتل بالسيف أو الصلب أو قطع الايدى و الأرجل من اليمين و اليسار، و إما إخراجهم من الأرض.

أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَيَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقَاوِمُونَ
النظام الصالح بالقوه انما يطغون طمعا فى العزه، و هذه العقوبات تسبب لهم خزيا و ذله و صغارا..

وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [□] فان لم يرددعوا بالعقوبه الدنيويه أو يزعموا انهم يفلتون من يد العداله فى الدنيا، فان الاخره قريبه، و عذاب الله العظيم ينتظرهم.

[٣٤] و يفتح الله امام المفسدين فى الأرض باب التوبه لكى يرجعوا الى رشدهم و لا يهرقوا دماء أبناء الامه، و يقول سبحانه:

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و أمر قبول توبه هؤلاء أو ردها انما هو الى الامام الذى يمثل القائد الأعلى للدولة، لأنه قد لا تكون التوبه الا تكتيكا مؤقتا لجمع السلاح و الأموال للعوده الى القتال، و كلمه اخيره: ان هذه الفئه تشمل قطاع الطرق و المتمردين ضد النظام الاسلامى بالسلاح، كما تشمل القوات المسلحه التى تدعم انظمه الطاغوت المستبده بمصير الشعوب، و المفسده فى الأرض لذلك لو انتصرت الثوره الاسلاميه، سيكون لها الحق فى ملاحقه هؤلاء جميعا بتهمه الفساد فى الأرض، و محاربه الله و رسوله، و النظام الاسلامى الصالح، و بالتالى إنزال أشد العقوبات عليهم، و مثل القوات المسلحه، كل أركان النظام الطاغوتى مثل كبار رجال الأمن، و الاعلام، و الوزراء العاملين فى الفساد.

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۳۵) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۳۶) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (۳۷)

اللغه

۳۵ الوسيله:الوصله و القره.

ص:۳۶۲

هدى من الآيات:

ان النظام الاسلامى الذى يصلح الأرض و ما فيها بحاجه الى التعهد و الالتزام و التقوى، و بحاجه الى النشاط فى سبيل الله بهدف الوصول الى رضوانه، و الى الكمال الرفيع الذى هو فيه سبحانه، و بحاجه الى الجهاد و مقاومه العقبات البشريه و الطبيعيه التى تعترض طريق تطبيق النظام، هذه الشروط لو توفرت لأثمرت بالفلاح و الحياه السعيده.

اما الذين لا- يطبقون هذا النظام الصالح، و يكفرون به، فان عذاب الله ينتظرهم و لا مناص لهم حتى لو دفعوا كل أموالهم فديه ليتخلصوا منه، انهم يحاولون عبثا بصوره مستمره التخلص منه، و لكن عذاب الله مقيم دائم.

بينات من الآيات:

حقيقه النظام الاسلامى:

[٣٥] النظام الاسلامى الذى يعبر عن وحى الفطره و سنن الحياه، لا يمكن

تطبيقه بالقوه، بل بالالتزام الذاتى (و هو التقوى) فبالحذر من عذاب الله يتجنب الفرد المزالقات التى تؤدى به الى الهلاك.

الكمال المنشود:

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَالتَّقْوَىٰ يَجِبُ الْإِلَهِيَّةُ تَكُونُ طَرِيقًا إِلَى الْجُمُودِ وَالسُّكُونِ، بَلْ وَسِيلَهُ لِلتَّحَرُّكِ الْمُسْتَمِرِّ لِلْوَصُولِ إِلَى الْكَمَالِ الْأَرْفَعِ، الَّذِي هُوَ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، وَالْكَوْنُ كُلُّهُ يَسْعَىٰ مِنْ أَجْلِ الْكَمَالِ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ إِلَّا عِنْدَ رَبِّهِ، وَلِذَلِكَ نَجِدُ مَوْكِبَ الْوُجُودِ مُتَصَاعِدًا إِلَى ذَلِكَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَشْذُ عَنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ لَوْ سَلِمَتْ فِطْرَتُهُ الْأَوَّلِيَّةُ، فَهُوَ بِفِطْرَتِهِ يَسْعَىٰ مِنْ أَجْلِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْجَمَالِ وَسَائِرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

و على البشر الا- يترك طريقه يمكن ان تصل به الى تلك الأسماء الا- اتبعها و سار فيها دون اى توان أو كسل، لان ذلك هو الهدف الأسمى له فى الحياه، ان النشاط المكثف و الحركة الدائمة فى طريق الله و بلوغ أسمائه الحسنى هو الكفيل بتكامل البشر و تصاعده، لذلك قال ربنا:

وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ

الوسيلة الى الله:

ترك السياق كلمه الوسيله عامه مطلقه تشمل كل الوسائل الحقيقيه التى تؤدى بناء الى الله، و الى أسمائه الحسنى من العلم و القدره و المحبه و الجمال.

ص: ٣٦٤

و غيرها، فالصلاه و الصيام و الحج و الزكاه و الصدقه و الفداء و سبله، و التأليف و الخطابه و التوجيه الى الله و سبله، و هكذا.

و كما تتنوع الوسائل الى الله تختلف مواهب الإنسان التي يجب على كل شخص ان يفجرها جميعا و الا يدخر منها شيئا... فان الموهبه التي تدخرها تبلى و تفنى، و الطاقه التي لا تصرفها اليوم لا تستطيع ان تصرفها غدا لأنها فنيت، لذلك يجب الجهاد و مقاومه كل العقبات النفسيه التي تعترض طريق الإنسان الصاعد الى الله... الى الرفيق الأعلى.

وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

لا للفداء:

[٣٦] ان هذه الطاقات و الامكانيات التي نملكها اليوم، انما هي وقود مسيرتنا المتصاعده الى ربنا العزيز، فلو بخلنا بها فلنعلم انها لا تخلد لنا و لا- تبقى، و نبقي نحن و ذنوبنا التي نود غدا- في يوم البعث- ان ينقذنا منها الله، حتى و لو كان ذلك باعطاء كل ما نملك، و لكن هل نملك في ذلك اليوم شيئا؟! إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اذن دعنا نستخدم ما خوله الله لنا من طاقات و امكانيات في سبيل الوصول الى الله، و نجعلها و سبله التصاعد، و لا نجعلها- كما يفعل الكفار- حجابا بيننا و بين ربنا العزيز.

[٣٧] من شدة الألم في عذاب يوم القيامة، لا ينفك الكفار المعذبون هناك

من محاولاتهم اليأسه للخلاص من العذاب، وتلك المحاولات التي لو بذلوا شيئاً بسيطاً منها في الدنيا، لأنقذهم الله بها في هذا اليوم.

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ مستمر و غير منقوص.

ص: ٣٦٦

اشاره

وَ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا اَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۳۸) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ اَصْلَحَ فَاِنَّ اللّٰهَ
يَتُوبُ عَلَيْهِ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۹) اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْاَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللّٰهُ عَلٰى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۰)

هدى من الآيات:

فى سياق ذكر الجرائم و عقوبتها، التى بدأها القرآن فى الدروس السابقه، يبين القرآن جريمه السرقة التى هى اعتداء غير مسلح على أمن المجتمع، فىحكم بضروره قطع اليد جزاء لما ارتكبت من جريمه، نكالا من الله.

□
و لكن لا يعنى إنزال هذه العقوبه الشديده على السارق الغاء شخصه من قائمه المجتمع، بل إذا تاب و أصلح ماضيه فان الله غفور رحيم، و كذلك ليست العقوبات فى الإسلام تشفيا و انتقاما.

□
و مغفره الله تتناسب مع مقدرته و ملكوته، و ان له ما فى السموات و الأرض لذلك يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء و لذلك يجب ان لا يبخل البشر فى كرم ربه الواسع.

بينات من الآيات:

اشاره

[٣٨] حين تمتد يد خائنه الى ملك الآخريين فانها تمتد الى الأمن فى البلد

ص: ٣٦٨

و تجعل كل فرد قلقاً على مصير جهوده التي حصل بها على هذا المال، بالضبط كما ان قتل نفس واحده بمثابة قتل الناس جميعاً، لأنه يهدد امن المجتمع كله، و حين ينعدم الأمن في البلد لا يجد الناس ذلك الدافع القوي نحو بناء وطنهم، و تفجير طاقاتهم، و تخزين ثروتهم للمستقبل- من هنا كان جزاء السارق شديداً في الإسلام- بالرغم من انه لا يبلغ قساوه العقوبات التي فرضتها بعض الانظمة بقتل السارق، انما يوجب قطع يد السارق لتكون جزاء و عبره.

وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

حد القطع:

و يقول الفقهاء انه تقطع أصابع اليد اليمنى فيما لو كانت السرقة من حرز، و يبدو لى ان العقوبه يجب ان تقتصر على أقل قدر ممكن، و أقل ما في اليد الأصابع كما ان السرقة من غير حرز قد لا تعتبر سرقة في مفهوم العرف.

و الدوله الاسلاميه مظهر لعزه الله و قوته و قدرته و حاكميته، كما هي مظهر لحكمه الله و هداه و صلاح نظامه و تشريعه.

الهروب إلى التوبه أسلم:

[٣٩] في كل جريمه، الهدف الاساسى للإسلام تزكيه المجتمع منها و من آثارها، و ليس الهدف الانتقام من الفاعلين من هنا يفتح الله امام المجرمين باب التوبه، و لكن يشترط عليهم الا تكون توبتهم لفظيه، بل توبه نصحاً تتجلى في

إصلاح الفساد الذى عملوه بجريمتهم.

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

حقيقه التوبه:

اما من ترك السرقة و لم يدفع الأموال المسروقه الى أصحابها، أو ترك السرقة لصعوبتها و اشتغل بالاحتيال و الرشوه و الفسق فان توبته ليست حقيقه، و لا- تسعه رحمه الله التى وسعت كل شىء و الله غفور يطهر قلب الإنسان و وجدان المجتمع، و صحيفه الأعمال، يطهر كل ذلك من اثار الذنب الذى ارتكبه الفرد حتى كأنه لم يرتكب ذنبا، و الله رحيم يتفضل على التائب الذى تستقيم سيرته بالنعم و الرخاء و السعاده التى زعم انه يجدها فى ارتكاب المعصيه.

[٤٠] و الله لا- يخشى الناس، و لذلك لا يتعامل معهم بظلم أو بقسوه، و الدوله الاسلاميه يجب ان تكون كذلك لا تندفع نحو الإرهاب خشيه الناس، و خوفا من قيامهم ضدها. كلا. بل يجب عليها ان تتوب عليهم إذا أصلحوا، و تعتمد على قدره الله الواسعه.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و لان قدره الله واسع و ملكه عظيم، فعلى الإنسان ان يرهب جانبه و يتقيه و لا- يستهين بأوامره و تعاليمه سبحانه، كما ان عليه ان يتوكل على الله فى اكتساب المعاش دون خوف من فشل أو انتكاس.

و بكلمه، ان معرفه أسماء الله الحسنى و من أبرزها.. رحمته و قدرته، تنعكس

على السلوك البشرى فى صورته صفات مثلى. لذلك يذكرنا القرآن بها قبل و بعد بيان الأحكام، و علينا ان نتذكرها كلما أردنا تربيته أنفسنا أو مجتمعنا على السلوك الحسن.

ص: ٣٧١

اشاره

۴۱ أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتِكُمْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ
مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ (۴۱) سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلشُّحِّ فَإِنْ جَاؤَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَ
إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (۴۲) وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۴۳)

اللغه

۴۳ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ: قابلون له يقال لا تستمع من فلان قوله ای لا تقبل و منه سمع الله لمن حمده ای تقبل الله منه.

للسحت: أصل السحت الاستنصال يقال سحته و أسحته اي استأصله و يقال للعالق أسحت اي استؤصل

ص: ٣٧٣

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث عن الأحكام الاسلاميه يبين القرآن الحكيم طائفه من الحواجز النفسيه و الاجتماعيه التى تقف فى طريق تنفيذ هذه الأحكام و هى كالتالى:

أولاً: النفاق و انعدام الإيمان الحقيقى الذى يجعل صاحبه يسارع فى خرق القوانين، و العمل بأنظمه الكفر.

ثانياً: الكفر الذى يبيده بعض أهل الكتاب مثل اليهود الذين يسمعون أبداً الكذب، و يستلهمون أفكارهم من الأجانب. الذين يحرفون الكلم بعد ان وضعت مواضعها الصحيحه يخططون لهؤلاء و يأمرونهم باتباع أفكار معينه.

و هؤلاء أراد الله فتنهم و إضلالهم لأنهم سلفاً اختاروا ذلك، فلا ينفع معهم □

الكلام، والسبب أن قلوبهم مريضه غير نظيفه، وهؤلاء خزي و ذله فى الدنيا، و عذاب مؤلم فى الآخره.

ثالثاً: و من صفات هذه الفئه أنهم يرتاحون للكذب و يأكلون السحت، و على الرسول الا- يهادنهم فأما يحكم بينهم بالحق أو يعرض عنهم دون ان يهرب جانبهم، و الله يحب المقسطين الذين يحكمون بالعدل.

و من الواضح ان مجيء هؤلاء الى الرسول ليس قربه الى الله، بل لكى يجدوا مهرباً من الأحكام الموجوده فى التوراه.

بينات من الآيات:

لا يَخْرُجُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ:

[٤١] حين يكون الإسلام مجرد لقلقه لسان نجد الكثيرين يدعون الإسلام، و لكن إذا حانت مرحله العمل تجد الكثيرين منهم يسارعون فى الكفر، و يخالفون تعاليم السماء، و يتبعون الأنظمه الطاغوتيه الفاسده، و على القياده الا تشعر بوهن بسبب مسارعه هؤلاء فى الكفر لان ذلك لا يدل على ان جهتها قد ضعفت الآن، بل على انها كانت هكذا بسبب وجود هذه الفئه المنافقه فيها.

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَخْرُجُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ الكفر فى هذه الايه هو الكفر فى الآيه ٤٤ حسبما يدل عليه السياق، و الذين يسارعون فى الكفر قد يكونون من المنافقين، أو من الذين هادوا(الطابور الخامس فى المجتمع الاسلامى) و هؤلاء يستلهمون افكارهم و مناهجهم من

اليهود و صناعة الأفكار:

وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ كَلِمَهُ (السماع) تدل على حاله نفسه تدفعهم الى البحث عن الكذب لتقبله، وذلك بسبب انحرافهم النفسى من الحقيقة، و وراء هذه الفئة مجموعه اخرى هم كبارهم و اسيادهم و أولئك يضعون لهؤلاء ثقافه منحرفه، و يأمرونهم بان يتخذوها مقياسا لهم. فان كانت الأفكار التى يسمعونها من الرسول صلى الله عليه و آله تتفق و إياها، فليأخذوها و الا فليرفضوها.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ اى بعد ان استقرت الكلمه فى مستقرها. مثل ان تكون الكلمه قد توضح معناها، ثم يحرفونها أو تكون الكلمه قد حرف مصاديقها الواضحه، ثم ابتدعوا لها مصاديق اخرى غير صحيحه.

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا و يبقى سؤال لماذا لم يستفد هؤلاء شيئا من الرساله الجديده، أ ليست الرساله هدى و نور؟! لأن قلوب هؤلاء مملوءه بثقافات غريبه و بعيده عن الحقيقة قد اختاروها لأنفسهم و لتحقيق اطماعهم و شهواتهم، لذلك اختار الله لهم الضلاله، و من اختار الله تضليله فان الناس لا يمكنهم هدايته.

وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ

يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَ توحى هذه الآيه بأن تطهير القلب شرط مسبق لهدايه الله.

[٤٢] و الفئه الضاله التى تفسد آراء الناس، هم كبار الأخبار الفساق، و رجال البلاط و كبار الاقطاعيين و من أشبهه. و هم بؤره الفساد التى تتجمع فيها ضلالات الأولين و الآخرين، لأنهم يبحثون عنها ليجعلوا منها حجابا بينهم و بين رساله فهم:

□ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ لأنهم يعرفون ان رساله تحمل هدى و نورا و بالتالى تعطى الناس ثقافه غنيه سليمه، و الناس لا يمكنهم ان يعيشوا فى الفراغ، و لذلك لا بد من خلق ثقافه باطله أو استيراد ثقافه باطله لتملاء فراغ الناس الفكرى، و ليزعم الناس: انهم و صاحب الرساله سواء فى الفكر و العمل، حتى لا يستهوى علم صاحب الرساله و هداه جماهيرهم، و حين يريد الطاغوت صناعه ثقافه باطله ليجعل أمام كل حق رسالى باطلا من نفسه، فانه يبحث عن الكذابين و الدجالين فى كل مكان حتى يستخدمهم فى هذه المهمه القدره. من هنا يصبح سماعا للكذب.

و انما يهدف من وراء ذلك الوصول الى اهدافه الرخيصة فى بعض المتاع الذى يسميه القرآن بالسحت فيقول:

□ أَكَّاؤُنَ لِلشُّحِّ السحت لغويا: القشره العفنه المنفصله عن الجسد، المليئه بالجراثيم الفاسده، و ما يأكله هؤلاء من أموال المستضعفين. هو ذلك السحت الذى يفرزه الوضع

واجب الرسول:

و يأتى هؤلاء الى الرسول لا لكى يستفيدوا بل ليجدوا عنده ما يبرر لهم ترك دينهم، و رفض احكامه السليمه.

فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ و امام هؤلاء يتخذ الرسول صلى الله عليه و آله و القيادة الاسلاميه موقفا حازما، فاما يعرض عنهم دون خوف من هجره لهم و استهانته بهم، أو يحكم بينهم بالقسط الذى هو محض العداله.

[٤٣] و دليل كذب هؤلاء و ريبائهم حين يجيئون الرسول صلى الله عليه و آله دليل ذلك انهم يتركون كتابهم المقدس (التوراه) التى فيها حكم الله و التى لم تكن قد حرفت ذلك اليوم، و لكنهم يرفضون الاحتكام إليها و يأتون لينافقوا مع الرسول صلى الله عليه و آله .

وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ لأنهم لا يطبقون كتابهم المقدس حين يخالف آراءهم و أهواءهم.

اشاره

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا أُسْتُخِفُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ إِخْشَاؤَهُمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۴۵) وَ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (۴۶) وَ لِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (۴۷)

اللغه

۴۴[الأخبار]:الأخبار جمع خبر و هو العالم،مشتقه من التحبير و هو التحسين، فالعالم يحسن الحسن و يقبح القبيح.

٤٦]وقفينا]:القفو اتباع الأثر، و انما سميت قافيه الشعر قافيه لأنها تتبع الوزن

ص: ٣٨٠

هدى من الآيات:

□
في سياق الحديث التوجيهي الذي بدأه الدرس السابق حول أهميه الالتزام بأحكام الشريعة، يذكرنا الله بكتاب التوراه، الذي أنزله الله هدياً الى الصراط المستقيم، و نورا يطهر القلوب و يجلى البصائر و بالتالي قيما يحكم وفقها النبيون عليهم السلام الذين أسلموا لله و خضعوا كلياً لرسالاته، و جعلت احكام الله امانه في أعناقهم يراقبون تطبيقها و لا يخشون أحدا و هم يطبقونها و لا يساومون عليها أبداً.

□
و في مقابل هؤلاء هناك فئه لا تحكم بما انزل الله، بل تخضع للقوى أو للضغوط أو للاغراء.

و من بين الأحكام الموجوده في التوراه القصاص: أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ،

وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ، وَالْمَأْنَفَ بِالْمَأْنَفِ، وَالْمَأْذَنَ بِالْمَأْذَنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا. دون اى علاقته بانتماءات الشخص و طبيعته و عنصره و قومه. بلى يمكن ان يتصدق صاحب الحق على الجانى و هذه الصدقه تعتبر كفاره لذنوبه، اما أولئك الذين يخالفون حكم القصاص، و لا يقاصون من الاشراف للضعفاء فإنهم ظالمون، و جاء بعد موسى عليه السلام عيسى بن مريم يصدق ما سبقه من التوراه و يحمل معه الإنجيل الذى كان هدى و نورا، و كان على خط التوراه تماما فيه هدى و مواعظ للمتقين، بيد ان فريقا من الناس لم يطبقوا الإنجيل، و هم الفاسقون.

بينات من الآيات:

التوراه نور و هدى:

□
[٤٤] لماذا انزل الله التوراه و ماذا كان فيها؟ و من الذى حمل امانتها بصدق؟ اولا: لقد انزل ربنا التوراه للهدايه الى الصراط القويم، و للتزود برؤى و بصائر و مناهج و توجيهات يتمكن الإنسان إذا استوعبها ان يرى الحقائق بنفسه، لا ان يهتدى إليها فقط و هكذا كانت التوراه هدى و نورا.

□
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ وَ لَذَلِكَ يَجِبُ احْتِرَامُ التَّوْرَةِ وَ احْتِرَامُ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا حَقِيقَةً.

□
ثانيا: كان النبيون عليهم صلوات الله يحكمون بالتوراه، و يشرعون الأحكام الدائمه و التوجيهات اليوميه انطلاقا من قيم التوراه، و انما أوتى النبيون الحكومه و القيادة لأنهم أسلموا لله و كانوا معصومين عن الخطأ و الزلل.

ثالثا:الذين كانوا يخضعون للتوراه هم الذين هادوا،و الحكم انما كان لمصلحه هذه الفئه و ليس فى ضررهم.

رابعا:بعد النبیین كان الأولياء و العلماء يحكمون الناس وفق التوراه.

الائمة و العلماء:

يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ وَالرَّبَّانِيُّونَ -حسبما يبدو لى-هم أولياء الله الذين ينسبون الى الرب، لأنهم كانوا فى منتهى الإخلاص و التضحية،و كانوا يجسدون روح الرساله كأمثال الائمة عليهم السلام،و الحواريين فى التاريخ،و الصفه الظاهره لهؤلاء هى قيامهم لله،و تمحضهم فى ذات الله،بالرغم من انهم كانوا علماء بالدين أيضا، و قد جاء فى حديث مأثور عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآيه الكريمة:

(ان مما استحق به الامامه التطهير و الظهاره من الذنوب و المعاصى الموبقه.

التي توجب النار،ثم العلم المنور(و فى نسخه المكنون)بجميع ما تحتاج اليه الامه من حلالها و حرامها و العلم بكتابها خاصه و عامه،و المحكم و المتشابه،و دقائق علمه،و غرائب تأويله،و ناسخه و منسوخه).

(يقول راوى الحديث)قلت:و ما الحجه بان الامام لا يكون الا عالما بهذه الأشياء التي ذكرت؟قال:

قول الله فيمن اذن الله لهم فى الحكومه و جعلهم أهلها:

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ فَهَذِهِ الْأُمَّةُ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَرْبُونَ النَّاسَ بِعِلْمِهِمْ، واما الأحبار فهم العلماء دون الربانيين، واما الأحبار فهم الفقهاء العدول الذين كانوا دون الربانيين درجة لكن وجب على الناس اتباعهم في غياب من الربانيين.

صفات العلماء:

وقد كانت قياده هذه الفئه للناس على أساس وجود صفات الفقه و العدالة و التصدى فيهم اما الفقه و العدالة فتدل عليهما كلمه:
بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ اى بسبب انهم كانوا أمناء على كتاب الله، و أيضا بقدر حفظهم لكتاب الله دراسه و تطبيقا فكلما كان الشخص أوسع فقهها و أشد تقوى كانت قيادته أكبر و أوسع مدى، و اما التصدى للقياده فيدل عليها قوله سبحانه:
وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ اى شهداء على تطبيقه و رقباء على الناس فى مدى تنفيذهم له، و لكن لا يمكن ان يبلغ العلماء هذا المستوى الأرفع الا إذا تجاوزوا عقبتين الاولى: خشية الناس و الثانية: اغراءات الدنيا.

فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اَخْشَوْنَ اللَّهَ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا

شيئا عاليا جدا.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ أَي أُولَئِكَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَسْتَسْلِمُونَ لِأَعْرَافَاتِ الدُّنْيَا، أَوْ خَشِيَهُ النَّاسُ فَلَا يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَهَمُ الْكَافِرُونَ، لِأَنَّهُمْ يَهْلِكُونَ وَيَهْلِكُونَ النَّاسَ.

التشريعات التوراتية:

[٤٥] ما هي احكام الله التي أنزلها في التوراه هل هي مجرد الصلاه و الصيام- كلا-انها شرائع، و انظمه للحياه مثل القصاص الذى تتجلى فى تطبيقه سائر الأحكام الاجتماعيه مثل المساواه و العداله، ذلك لان المجتمع الطبقي لا- يقتص للفقير من الغنى، و المجتمع العنصرى لا يقتص للدننى من الشريف و للأسود من الأبيض، و المجتمع الحزبى لا يقتص للفرد من الكادر و هكذا، اما إذا أجرى المجتمع حكم القصاص فهو دليل على ايمانه بالعداله، و ترفعه عن سلبيات التمايز باى نوع كان.

و لذلك فان بنى إسرائيل فسدوا ليس بسبب عدم صلاتهم أو صيامهم، بل بسبب عدم تطبيقهم الكامل لحكم القصاص، حتى إذا قتل الشريف وضيعا لم يقتصوا منه (١) لذلك جاء فى الآيه الكريمة:

ص: ٣٨٥

١- ١) :جاء فى الحديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام ان امرأه من خير ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم، و هما محصنان فكرها رحمهما. فأرسلوا الى يهود المدينه و كتبوا إليهم ان يسألوا النبى عن ذلك طمعا فى ان يأتى لهم برخصه فانطلق قوم منهم. كعب بن الأشرف، و كعب بن أسيد، و شعبه بن عمرو، و مالك بن صيف، و كنانه بن أبى الحقيق و غيرهم فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزانى و الزانيه إذا احصنا ما حدهما؟ فقال: و هل ترضون بقضائى فى ذلك قالوا: نعم فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا ان يأخذوا به».

وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ دُونَ أَنْ يُؤْخَذَ فِي الْأَعْتَابِ الطَّبَقَةَ أَوْ شَرَفَهَا أَوْ عِلْمَهَا أَوْ مَا أَشْبَهَ.

وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَكُلُّ جِرْحٍ يُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ يَجِبُ الْقِصَاصُ لَهُ.

وَ الْقِصَاصُ حَقٌّ مِنْ حَقُوقِ الْمَجْنُونِ عَلَيْهِمْ، وَ يَجُوزُ لَهُمُ الْعَفْوُ عَنْهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ وَ تَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ وَ لِمَنْ عَفَا عَنْ أَخِيهِ مَغْفِرَةٌ وَ كَفَّارَةٌ لِدُنُوبِهِ.

فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

حقيقه التبديل:

يبدو لى ان تبديل حكم مثل القصاص فى المجتمع يعتبر ظلما اجتماعيا، لأنه يقضى على العدالة و المساواه فى المجتمع، و لكن هذا التبديل إذا كان فى مستوى التشريع و قام به العلماء و الأمراء فهو كفر كما سبق فى الآيه السابقه، بينما إذا كان تبديل حكم مثل الصدق و الوفاء و الامانه و سائر المواعظ الموجوده فى الإنجيل، فهو فسق كما ياتى فى الآيات التاليه.

الإنجيل صنو التوراه

[٤٦] و أرسل الله عيسى بن مريم عليه السلام بتبع آثار النبيين السابقين فى خط الهى واحد لا ينحرف و صدق عيسى برسالات الأنبياء، و جاء بالمزيد منها،

ص: ٣٨٦

فمثلا فى الإنجيل الذى كان فيه- كما فى التوراه- هدى يهدى الناس الى سبل السلام كما كان فيه نور يثير دفينه العقل، و يستجلى غبار الضمير، و يبلور قيم الفطره، حتى يرى الناس بأنفسهم السبل التى هداهم إليها الله برسالاته.

وَ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذِ جَعَلْنَاهُ يَقْفُو وَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْأَنْبِيَاءِ..

مُصَيِّدًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ آتِيَانَهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَةِ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَ تَكَامُلِهَا مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَ ضَرُورَةِ إِحْتِرَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ كَانَ الْإِنْجِيلُ يَحْمِلُ بَيْنَ دَفْتَيْهِ تَصَدِيقًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ كُتُبٍ وَ فِيمَا بَيْنَهَا التَّوْرَةَ، وَ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ الْوَاقِعِيَّةَ لِتَذَكُّرِ النَّاسِ وَ لِيَتَعَطَّوْا وَ لِيَعْتَبِرُوا.

وَ مُصَيِّدًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ إِذَا اتَّقَى الْفِرْدَ أَوْ لَا- أَقْلَ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنِ الشَّرِّ اسْتَمَعَ إِلَى الْمَوْعِظَةِ وَ اسْتَفَادَ مِنْهَا، أَمَا الشَّقَى فَانَّهُ يَصْمُ عَنِ الْمَوْاعِظِ.

[٤٧] و إذا كانت رسالات السماء واحده مع اختلاف بسيط فى التفاصيل التى بالرغم من اهميتها من الناحية التشريعية، إلا أن الأحكام اللاحقه تنسخ الأحكام السابقه لأنها اولى بالظروف المتجدده و هى بالرغم من ذلك غير هامه، إذا لا حظنا محتوى الرسالات و روحها التوحيديه، و اهدافها الساميه من الاطارات و الطقوس، و كذلك إذا لا حظنا هذه الحقيقه و هى ان خضوع البشر لرسالات السماء يجعله يقترب شيئاً فشيئاً الى الايمان بها جميعاً، فمن امن واقعا

بروح رساله الله الهابطه على موسى و عيسى عليهما السلام لا يمكنه الكفر برساله محمد صلى الله عليه و اله، لأنهما تصدران من منطلق واحد و تشعان من مشكاه واحده، لذلك امر الله أهل الكتاب باتباع رسالاتهم.

وَ لِيُحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

ص: ٣٨٨

اشاره

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مَنَاجِيَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيُنْزِلُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسِيَتِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۴۸) وَ أَنْ أُنزِلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ احْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (۴۹) أَ فَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (۵۰)

اللغة

۴۸[مهيمنا]:الهيمنه السيطره [شرعه]:الشرعه ابتداء الطريق.

[منهاجا]:المنهاج الطريق المستقيم.

ص:۳۸۹

أنزل الله القرآن ليبين ذات الرساله الالهيه الواحده التى هبطت على موسى و عيسى و النبيين عليهم السلام، و ليكشف الحق القائم فى واقع الحياه، و فى ذات الوقت الذى يصدق القرآن بالكتب السابقه فهو يكملها و يهيمن عليها و يحمل من القيم و الشرائع أكثر و أفضل منها و لذلك يجب إتباعه و رفض أهواء الناس التى تخالف الحق.

و لقد جعل الله لكل امه شريعته و منهاجا و طريقا يصلون عبره الى الحق، و كان من الممكن ان يجعل الناس فى صورته امه واحده، و لكن لاختلاف إنما هو من أجل ابتلاء الناس و بهذا الاختلاف الذى لو استغل حسب سنه الله، لأصبح وسيله للتنافس البناء، و تسارع الجميع نحو الخيرات، و غدا عند الله يعرف كل فرد هل كان على حق أو باطل.

و علينا جميعا إتباع أحكام الله دون أهواء هذا أو ذاك من الذين يحاولون تضليل البشر، أما أولئك الذين يتولون عن رساله، فان سبب ذلك ذنوبهم التي رانت على قلوبهم، حتى حجبتها عن الحقيقه، و أنهم فاسقون.

□
إنهم يريدون تطبيق أحكام الجاهليه التي هي انعكاس عن التخلف و الرجعيه و الظلم، و يتركون أحكام الله تعتمد على العلم و الايمان و بالتالى اليقين.

بينات من الآيات:

الكتاب الحق:

□
[٤٨] كما أنزل الله التوراه و الإنجيل و لنفس الأهداف، أنزل الكتاب (القرآن) الذى يتصل بالحق اتصالا عضويا، فهو حق يتطابق و سنن الحياه و أنظمه الكون و فطره الإنسان، و وسيلته الحق و هو العمل الصالح و الايمان و الفداء، و هدفه الحق و هو فلاح البشر و سعاده، و ربما كانت لفظه (الباء) داله على هذا التفاعل بل الوحده التامه بين الكتاب و الحق، لأنه حق أصلا و وسيله و هدفا.

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْكِتَابُ يَصَدِّقُ مَا أَنْزَلَ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَتِهَا سَلْفًا، وَ لَكِنَّهُ يَهَيِّمُنَا عَلَيْهَا، وَ يَكْمُلُ مَا سَبَقَ مِنْهَا وَ يَسِيْطُرُ عَلَيْهَا.

□
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَإِذَا كَانَ الْإِنْجِيلُ غَامِضًا فِيمَا يَتَّصِلُ بِمَنْهَجِ مَا، فَان تَفْصِيْلَهُ فِي الْقُرْآنِ.

و يبدو لي: أن القرآن الكريم أخذ يعالج مسأله الخلافات البشريه بصفه عامه هنا،بمناسبه الاختلاف القائم بين كتب السماء،و أتباع الديانات السماويه،و أجاب على هذا السؤال لماذا يختلف الناس فى ممارساتهم؟! بإجابته واضحه نفضلها فى عدده نقاط:

ألف: إن كل أمه تتميز بممارسات حياتيه ماديه و معنويه خاصه،فاقتصاد كل امه و اجتماعياتها و سلوكياتها الفرديه(و سائر ما تسمى بالشرع)تختلف عن غيرها، كما أن لغتها و ثقافتها و تطلعاتها(و سائر ما يسمى بالمنهاج)تختلف عن غيرها.

باء: إن هذا الاختلاف فطرى نابع من خلقه البشر،و طبيعه اختلاف الحياه،و انعكاس هذا الاختلاف على كيان البشر،و الا فان الله قادر على أن يجعل البشر- كما الطيور و الأسماك و ما أشبه-أمه واحده دون اختلاف يذكر فيما بينهم.

جيم: و الاختلاف نافع للحياه البشريه لأنه يدعو الى التنافس و التسارع الى الخيرات، إذ كل طائفه تسعى من أجل معرفه أفضل بأنظمه الحياه،و وسائل أفضل لتسخير إمكاناتها بهدف تحقيق التقدم على الطوائف الاخرى،و لذلك نجد الحضارات الكبرى فى التاريخ إنما نشأت بسبب تصارع الطوائف مع بعضها،تصارعا خفيا لا يدعو الى التدمير داخل الامه الواحده.

دال: إن هذا الاختلاف ينبغى ألا يجعل عدوا رئيسيا يستهدف كل فريق

القضاء عليه بالقضاء على صاحبه أو بالجدليات الكلاميه كلابل ينبغي ان يترك الحكم على عاقبه الاختلاف و نهايه الصراع أن يكون لهذا أو لذلك يترك ذلك الى الله و اليوم الاخر حتى لا توجه هذه الطاقه البناءه (طاقه الصراع و التنافس) الى الدمار و الهلاك، فيصبح هدف كل فريق القضاء على مكاسب الفريق الآخر كلابل ليكن هم كل فريق الحصول على مكاسب أكبر من صاحبه في ميدان الحياه الرحيب الذي يسع الجميع دون تضايق.

إن حكمه الله في إيجاد الناس مختلفين هي اختيارهم في مدى القوى الذاتيه، و الامكانيات الطبيعيه التي وفرها لهم لكي يعلم أي الفريقين أكثر معرفه و علما بالحياه، و أفضل تسخيروا لها و بالتالي أكثر إيمانا، و أفضل عملا صالحا.

فَاخُكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ وَيَجْعَلُ الْعِلْمَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَقَابِلِ الْهَوَى لِأَنَّ الْأَهْوَاءَ هِيَ الْحِجَابُ الْكَثِيفَةُ الَّتِي تَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ.

لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ الشَّرْعَ وَ الْمَنَاجِجَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَ هُوَ الطَّرِيقَةُ حَتَّى قَالُوا: بَأَنَّهُمَا مُتْرَادِفَانِ بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَان الْمَنَاجِجَ هُوَ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، بَيْنَمَا الشَّرِيعَةُ هِيَ:

الطريق العريض الواضح، فيتبادر ان المراد بالمنهاج هو ما يخص الأمور المعنويه (و التي نسميها بالثقافه) باعتبارها لحاظ الاستقامه في الحكمه، بينما المراد من الشريعه هو الأمور الماديه و الله اعلم.

الأهداف البعيده للاختلاف:

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ

ليخرج طاقاتكم و طبائعكم الكامنه، و مدى استقامتكم.

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ و هذا هو هدف الاختلاف البعيد و هو: التنافس البناء من أجل الوصول الى الخيرات، اما الخلافات فلان:

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ لذلك دعوها جانبا، و لا تتبعوا أنفسكم في محاوله إنهاؤها أو إثبات كل فريق بأنه أحق من غيره.

[٤٩] و لا يعنى السلام مع سائر الأمم وفق هذه الرؤيه الرساليه البناء، التنازل لاهوائهم و انحرافهم أو الخضوع لضغوطهم بل يعنى المزيد من الالتزام بالاحكام و التطبيق العملى لاستباق الخيرات و التنافس البناء.

وَ أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ اخذرهم أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ

تسريب الثقافه الباطله:

إن المنافسين و الأعداء يسعون من أجل تسريب أفكارهم و ثقافتهم الى الامه الاسلاميه فى حالات السلم القائمه بينهم و بين المسلمين، لذلك فان القرآن يوصى بضروره اتخاذ جانب الحذر حتى لا يتأثر المسلمون بتلك الأفكار.

و على المسلمين ألا- ينيهروا بالحياه الآمنه التى يظهر وجودها عند الكفار أو الأمم الاخرى، لان هذه الحياه سوف تتحول الى جحيم بسبب ذنوبهم، و لذلك

يجب التحصن ضد التأثير بهم، و تقليد أفكارهم أو عاداتهم.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاغْلَمَ أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ

تصدير الإسلام:

[٥٠] إنَّ الامه الاسلاميه تسعى من أجل تصدير برنامجها و رسالتها بالنموذج المتكامل الذى تصنعه حياتها الخاصه، و لذلك فهى لا تحتاج دائما الى شنّ الحروب ضد الأمم الاخرى و لكن هذا التصدير غير ممكن من دون تحصن أبناء الامه عن تسرب أفكار و برامج الآخرين الجاهليه إليها، و ذلك بان تعرف الامه ان حكم أولئك حكم جاهلى عفن قد أكل الدهر عليه و شرب و انه لا يمكن ان يستمع اليه المسلمون.

أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْغُونَ يَرِيدُونَ الجاهليه، و الجاهليه هى الحكم الذى لا يستمد أصوله من العلم.

و العلم بدوره نابع من أحد المصدرين العقل أو الوحى.

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ائى لأولئك الذين يبلغ بهم العلم درجه اليقين، و هذا أرقى درجات العلم بالحقيقه، فقد يكون هناك علم من دون يقين كأن تطمئن نفسك الى الحق بعيدا عن دواعى الشهوه و الغضب.

و الحكم المثالى فى رؤيه الإسلام هو: الحكم الذى تكون برامجه نابعه من العلم

(الآتى بدوره من العقل أو الوحي) بشرط أن يكون تطبيق هذه البرامج من قبل الناس معتمدا على الالتزام الذاتى و الواعى الذى يوفره اليقين، لذلك أكدت الايه على أن أحسن أنواع الحكومه هو حكم الله بشرط أن يطبقه أهل الوعى و اليقين لا أن يفرض على الناس فرضا...أو يتبعه الناس تقليدا أعمى.

ص: ٣٩٧

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵۱) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضِيبَهُمْ عَلَيَّ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (۵۲) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (۵۳)

اللغه

۵۲]دائره]:الدائره هاهنا الدوله التي تتحول الى من كانت له عمّن في يده.

هدى من الآيات:

□
بالرغم من ضروره إقامه السلام، بين الفئات المؤمنه بالله، على اختلاف مناهجهم و شرائعهم - كما أكده الدرس السابق - فإن ذلك لا يعنى الخضوع لهم، و اتخاذهم أولياء، و هم لا يهتدون السبيل الأقوم لأنهم ظالمون لأنفسهم.

و أولئك الذين يسارعون إلى اتخاذهم أولياء، مبتلون بمرض قلبى، و هو الخوف منهم لكى لا تصيبهم دائره بسبب مخالفتهم لأولئك، و السؤال هو: إذا جاء الله بالفتح و نصر المسلمين على أولئك أفليس يندم هؤلاء على ما كتموه؟ و قد يمكن أن يغلب أولئك فيخونوا بأتباعهم لأنهم لا - يعتبرونهم منهم، و الذين آمنوا يشمتون بالمنافقين. كيف انهم و صلوا الى الطريق المسدود؟ فهؤلاء الكفار دارت عليهم الدائره و حبطت أعمالهم و أصبحوا خاسرين، خسروا الصراع كما خسروا أولياءهم.

[٥١] يزعم بعض ضعفاء الايمان من المسلمين انه يمكن ان يحتموا بقوه اجنبيه لمقاومه قوه اجنبيه اخرى. مثلا- يعتمدون على النصرارى لمقاومه اليهود، وهذا زعم خاطئ لسبيين:

الاول: أن الاجنبى أقرب الى الاجنبى فى الواقع منك، وان اليهود و النصرارى سوف يتحالفان ضدك، كما يتحالف الشرق مع الغرب ضد مصالح المستضعفين، و بالنسبه إليك كمسلم تملك شريعته مختلفه عنهما و منهاجا متضادا معهما فانه يتساوى اليهود و النصرارى، أو الشرق و الغرب فهما معا بعيدان عنك، و عن مجتمعك...مخالفان لك.

الثانى: إنك حين تتحالف مع هؤلاء أو أولئك تصبح جزءا من مجتمعهم، و امتدادا لوجودهم و هذا يفصلك عن مجتمعك المسلم، لان أهم ما يحدد هويه الشخص هو ولاؤه فلا يجتمع ولاء ان لفرد واحد لذلك قال ربنا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ و ربما يزعم مثل هذا الرجل انه يتمكن من ربح الجهتين معا فهو فى الظاهر من المسلمين، و فى الباطن يوالى الاجنبى، و لكنه خاطئ لأنه يظلم بفعله هذا مجتمعه، و لذلك لا يهديه الله لان القلب الملىء بالنفاق و الغش و الغل لا يشع فيه نور العقل.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

[٥٢] من الذى يوالى الاجنبى؟ إنه الفرد أو الطبقة المنهزمه نفسيا أمامه، و التى تخشى قوه الاجنبى، و سيطرته فى المستقبل على أوضاع البلد فتتعاون معه.

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ، يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ أَوْ مَكْرَهُ، أَوْ سَلَطَهُ الْعَدُو.

انتظار الفرج:

و لكن ربنا يقول: ان هناك احتمالا وجيها آخر هو الانتصار الكاسح للمسلمين عليهم أ فلا يخشون المسلمين إذا! فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَنْ يَنْصُرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ كَعَذَابٍ شَدِيدٍ يَصِيبُ الْكُفَّارَ لَيْسَ عَلَى أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ عَنْ طَرِيقِ زَلْزَالٍ أَوْ خَسْفٍ أَوْ مَرَضٍ.

فَيُضِيبُوهَا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ لِأَنَّهُمْ اعْتَمَدُوا عَلَى قُوهِ ضَعِيفِهِ، وَ تَرَكُوا وِلَاءَهُمُ الْمُقَدَّسَ لِسَرَابٍ خَادِعٍ.

[٥٣] و آنذ حين ينصر الله المسلمين أو يهلك الكفار بأمره. يشمت المسلمون بالمنافقين و يقولون لهم: أ كان هؤلاء الكفار هم القوه التى تخالفتكم معها بقوه،

فهذه مكاسبهم قد ضاعت في سراب الشرك، وبقى رأسمالهم الوحيد الخساره و الندم! وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ
أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَيَّ بَاطِلٍ أَنُحَدِّثُكَ بِهِمَا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَن لَّيْسَ لَهُنَّ دُونَنَا مَن يَكْتُمُونَ. فَكَلَّمْنَا بَعْضَ الَّذِينَ أَكْفَرُوا أَن يَدْعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ لِيُرْسِلُوهُمْ وَرَدَحْنَاهُمْ زُرْقًا وَمَعْلُومٌ. وَإِن تَدْعُهُمْ خَارِجًا يَنصُرُوهُم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ. فإِذْ يُصْعَقُونَ يَدْعُونَ أَقْرَبَهُمْ مَّنصُرِينَ لِيُدْعُوَهُمْ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فَلاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ. وَإِن تَدْعُهُمْ خَارِجًا يَنصُرُوهُم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ. فإِذْ يُصْعَقُونَ يَدْعُونَ أَقْرَبَهُمْ مَّنصُرِينَ لِيُدْعُوَهُمْ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فَلاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ.

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ جَمِيعًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ.

فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ

ص: ٤٠٢

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَزِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (۵۴) إِنَّمَا وَدَّعَى اللَّهُ وَالرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَمُنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (۵۵) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (۵۶)

هدى من الآيات:

وجود عناصر منافقه توالى اليهود و النصارى فى الأئمه، لا- يعنى ان الامه الاسلاميه قد انتهت بل ان ربنا سبحانه سوف يهدى جماعه يتميزون بصفات الأعضاء الواقعيين لحزب الله، و للمجتمع المسلم. أولها: ان الله يحبهم و هم يحبون الله، و الله يتفضل عليهم، و هم يضحون فى سبيله، و انسجامهم مع بعضهم يبلغ درجه التواضع و الإيثار، فهم اذله على المؤمنين، و لكنهم يشعرون بالقوه و المنعه أمام الا-جنبي الكافر فهم أعزه على الكافرين، و جهادهم فى سبيل الله دائم و نابع من ايمانهم الصادق بربهم و ليس من تيار اجتماعى، و لذلك فهم لا يخافون لومه لائم، و هذه الصفات كلها من الله. من الايمان به و التوكل عليه، و بالتالى من نعمته على البشر التى يتفضل بها على من يشاء من عباده، و الله واسع النعمه عليم بمن يستحقها.

و هؤلاء هم الذين يستحقون الولايه فى المجتمع الاسلامى، لان الولايه

الاساسيه هي لله و ثم لرسوله و ثم للذين آمنوا الذين يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه و هم راعون و من يتخذ هذه الولايه حقا فانه من حزب الله، و ان حزب الله هم الغالبون.

أما الكفار فحرام على المسلمين ان يتخذوهم أولياء لأنهم ليس فقط لا يصلون، بل يستهزئون بالصلاه، و لا بد ان يلتزم المسلم بعهدته مع الله و يتقيه و لا يتولى الكفار أو أهل الكتاب.

و إنما يستهزئ هؤلاء بالصلاه لأنهم لا يعقلون واقع الصلاه و علاقتها بتزكيه الإنسان، و تربيته المجتمع الفاضل.

بينات من الآيات:

صفات المجتمع الفاضل:

[٥٤] لا تزعم انك لو واليت الأجانب فان المجتمع الاسلامي سوف ينطبع بطابعك، أو سوف يصبح أقرب الى الاجنبي، كلا... بل انك سوف ترتد عن دينك، و تنفصل عن واقع المجتمع المسلم حتى و لو كنت ذا سمه بارزه فيه و ذا منصب كبير، إذ ان الله سوف يأتي يقوم يجسدون ذلك المجتمع الفاضل الذي يتسم بالصفات التاليه..

اولا: ان الله يحبهم، و لا يحب الله الشخص لذاته بل لتكامل الصفات الحسنه فيه، من الايمان و العمل الصالح، و حين يحب الله أحدا تحبه ملائكته و أولياؤه، و يسخر له ما فى السماء و الأرض لأنها مطيعه لله.

ثانياً: وهم يحبون الله، ويشعرون بان الله متفضل عليهم، وان عليهم شكر ربهم بالعطاء و بالصلاه و الزكاه و الجهاد، و حين يصلون أو يزكون و يجاهدون فان عطاءهم هذا ليس جبراً عليهم و إكراها بل طوعاً و اختياراً لأنه نابع من حبهم لله.

□
ثالثاً: و لأن علاقتهم بالله هي علاقه حب و هي أرفع درجات الانسجام و التوافق فإنهم يحبون بعضهم و يتساهلون في علاقاتهم. حتى يزعم الناظر إليهم من بعيد ان الواحد منهم عبد للآخرين في علاقه التواضع و الإيثار و الابتعاد عن الذاتيات، فهم أذله على المؤمنين.

رابعاً: أما علاقتهم مع الكفار فهي علاقه المنعه و التحدى، فهم أعزه عليهم صامدون أمامهم غير متأثرين بأفكارهم، و غير خائفين منهم.

□
خامساً: و نشاط المجتمع المسلم مكثف، و يتحدى الصعوبات الداخليه و الخارجيّه، فهم أبداً يجاهدون في سبيل الله ضد سلبياتهم الداخليه و ضد الأعداء الخارجيين.

سادساً: ان سلوكهم لا يتأثر بما يقوله الآخرون، بل بما تمليه عليهم افكارهم السليمه و بصائرهم النافذه لذلك فان الاشاعات لا تنال من جهادهم.

□
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَانِهِ يَخْسِرُ انْتِمَاءَهُ إِلَى الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، بَيْنَمَا الْمَجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ موجود ليس به و بأمثاله بل بمن يأتي به الله.

□
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ

عن طريق هدايته لهم.

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ لَّانِ انْتِمَاءَهُمْ إِلَى الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ يَغْنِيهِمْ عَنِ الْاِرْتِبَاطِ بِسَائِرِ النَّاسِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَلِذَلِكَ لَا تَوَثُرُ فِيهِمُ الشَّائِعَاتُ وَالِدَعَايَا وَمَا يَبْتِئُ الْمَغْرُضُونَ حَوْلَ اِهْدَافِهِمُ الْمَقْدَسَةَ.

و هذا النموذج المتكامل يصنعه الايمان الصادق بالله، و تطبيق مناهج رساله التربويه.

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ و لأنه واسع فان نعمه كبيره لا تحصى، و لأنه عليم فهو يعلم من الذى يستحق بأعماله و بنيته الطيبه... فضل الله سبحانه.

ولاية الله أهم مظاهر حزب الله:

[٥٥] تلك كانت الصفات الظاهره للمجتمع المسلم أو بالأحرى-الطليعه المسلمه-أما واقع هذه الطليعه فهو قبول ولايه الله فى السماء و الأرض...فى الغيب و الشهود...فى أمور الاخره و الدين، كما فى شؤون الدنيا و الحياه، و ولايه الله تعنى:

اولا: إخلاص العبوديه له.

ثانيا: إتباع مناهجه.

ص: ٤٠٧

ثالثاً: أن يكون حب الفرد و بغضه لله و في الله.

و ولايه الله في الدنيا تتجسد في قياده الرسول و خلفائه الائمة، و الربانيين، و الإجبار الصالحين.

إِنَّمَا وَرَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ :

[٥٦] و الذين آمنوا، هم المجتمع الرسالي الأمثل الذي لا يتجاوز انتماء الفرد عن حدودهم، بل يقتصر عليهم لكي تتشكل هذه الولاية بالاضافه الى تلك القيادة-الحزب الإلهي-.

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ و السؤال: لماذا يغلب حزب الله سائر التجمعات؟ اولاً: لأن إرادة الله العليا تشاء ذلك بان ينتصر حزبه على سائر الأحزاب، و في صراع المجتمعات الاسلاميه و الجاهليه شواهد على ان ما نسميه بالصدق (أو بالأحرى القدر الإلهي) يلعب دوراً أساسياً في انتصار رساله، و ما هي سوى اراده الله العليا التي عبر سبحانه عنها بقوله:

إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يَجْعَلْ أُمَّامَكُمْ ثانياً: إن حزب الله يعتمد على أساس القيم الحياتيه التي تربي الفرد على اليقين و العمل الصالح و الانضباط، و هذه القيم قادره على صنع الحضاره..

ص: ٤٠٨

ثالثاً: أساس التنافس داخل المجتمع الاسلامى ليس بالشخصيات و لا- الغنى و لا- العنصر، و انما العلم و العمل، اللذان يعتبران القيمتان الاساسيتان فى هذا المجتمع، بينما أساس التنافس فى سائر المجتمعات هى واحده من تلك القيم الزائقه، و من الطبيعى ان يرتقى ذلك المجتمع الذى يتنافس أصحابه على العلم و العمل.

رابعاً: أبرز ما يعطى المجتمعات التقدم و الاستمرار هو قدرتها على تجاوز التحديات التى تتعرض لها من قبل الآخرين، و المجتمع الاسلامى يتكى على الجهاد و الشهاده فى مقاومه التحديات و تجاوز الصراعات، فيكون أقدر على الاستمرار و التقدم.

من هنا كان حزب الله[□] بالرغم من قله أبنائه و ضآله موارده فى البدايه أقوى من حزب الشيطان على كثره عدده و عدته و هو الغالب عليهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَ لَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أُولِيَاءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۵۷) وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَ لَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (۵۸) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ
مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (۵۹) قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ
لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عِبَادَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (۶۰)

هدى من الآيات:

لكى يصنع الإسلام سدا منيعا بين المجتمع الاسلامى، و المجتمعات الجاهليه، حتى لا يبتلى المجتمع بازدواجيه الولاء. يحرم اتخاذ غيرهم أولياء من أولئك الذين يتخذون الدين الاسلامى هزوا و لعبا، سواء كانوا كفارا مشركين أو كانوا من أهل الكتاب، و يأمرهم بالتقوى و الخوف من الله، و الحذر من عقابه.

و يذكرهم القرآن بان أولئك يتخذون الصلاه هزوا و لعبا و بسبب عدم انتفاعهم بعقولهم لم يعرفوا مدى اهميه الصلاه، و هم ينكرون على المسلمين ايمانهم بالله و بما أنزله الله من كتاب، بينما أولئك أكثرهم فاسقون.

و عند التقييم العادل يطرح هذا السؤال: من الذى شر مكانا؟ المسلمون أم اليهود الذين لعنهم الله، و غضب عليهم، و هم يعبدون الطاغوت؟ من الطبيعى ان هؤلاء اليهود هم شر مكانا و موقفا فى الحياه الدنيا، و ابعد عن

طريق الحق، و ابعده عن الهدى.

بينات من الآيات:

لا توال هؤلاء

! [٥٧] حين يكون مقياس الإنسان في تقييم الأشخاص و المجتمعات هو مبدؤه و دينه و رسالته، يكون ولاؤه للناس بقدر ولائهم لذلك المبدأ و الدين أو تلك الرسالة، اما إذا كان المقياس مصالحه العاجله فانه قد يوالى من يخالف دينه و رسالته، أو حتى يستهزئ بها أو يحاول الانتقاص منها، و الاستهزاء هو أسوأ أنواع الانتقاص من فكره أو شخص، حيث يزعم المستهزئ ان سخافه الفكره أو رذاله الشخص قد بلغت حدًا لا يحتاج الى دليل لردّها، بل الى كلمات ساخره يتنبه الفرد بعدها الى واقعه و واقع فكرته غير الصالحين.

و القرآن الحكيم ينهى المؤمنين من تكوين علاقات و لائيه بينهم و بين من لا يحترم دينهم و يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَ لَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ هُزُوءًا لِّلْظَاهِرِ، بالكلام و اللعب، و اتخاذ الشىء ماله للتلهيه عمليا كتقليد حركات الصلاه استهزاء، أو أداء الصلاه نفاقا (كما قال بعض المفسرين) و من المعلوم ان جميع اليهود و النصارى أو أهل الكتاب ليسوا كذلك بل إن بعضهم هو الذى يستهزئ بالدين.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ

ص: ٤١٢

فلا- تدفعكم المصالح العاجله الى الارتباط بمثل هذه الفئات، فان كرامه الإنسان و استقلاله أعز شىء عنده و لا يجوز التنازل عنهما لا- سباب مصلحيه مؤقتة كما تفعل بعض الانظمه فى بلاد المسلمين حيث يرتبطون بالغرب و الشرق أو بدوله إسرائيل الغاصبه، و يعقدون معهم احلاف الولاء لبعض المصالح العاجله، فى الوقت الذى لا تنى مؤسسات الغرب الثقافيه و الاعلاميه و أحزاب الشرق العميله و ابواق إسرائيل عن النيل من الإسلام و اهله.

و السؤال الذى يفرض علينا عبر التاريخ و دروس الحضارات البائده و المجتمعات المتخلفه هو: كيف يحترم العالم مجتمعا لا يحترم نفسه، و كم يفى العالم لمثل هذا المجتمع الناقد لكرامته و استقلاله، و كم يفى له بالعهد، و الى متى تستمر له هذه المصالح العاجله، و أساسا هل تعنى المصالح شيئا لمجتمع فقد كرامته؟! [٥٨] و حين ينادى المؤذن بالصلاه ترى هؤلاء يستهزئون بها و يتغامزون بينهم و يقولون لبعضهم: انظروا الى المسلمين يتركون أعمالهم لأداء شىء غير نافع، و هذا مثل ظاهر لما ذكرت فى الايه السابقه.

وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَ لَعِبًا ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْعَقْلِ الَّتِي تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّفَكْرِ فِي فَوَائِدِ الصَّلَاةِ، وَ مَدَى ارْتِبَاطِ سَعَادَةِ الْبَشَرِ وَ فَلَاحِهِ بِهَا.

[٥٩] بل ان هزء هؤلاء و إنكارهم على المسلمين و تناقضهم معهم ليس من أجل المصالح المتضاده و لا من أجل الاختلاف فى الدم و اللغه كما يزعمون بل من أجل الاختلاف فى القيم و المبادئ، و ان المسلمين امنوا بالله و بالرسالات.

بينما ظل أولئك كافرين عمليا بها. حيث انهم مع تظاهرهم بالايمان بالرساله فهم لا ينفذون تعاليم الرساله الا فسقا و تهاونا.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْتُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ

سوء العاقبه:

[٦٠]و الواقع ان العاقبه للمؤمنين المتقين، اما الفساق فان نهايتهم سيئه، و مثبتهم و جزاءهم شر عليهم لأنهم ملعونون عند الله بعيدون عن رحمته، و لان الله غضب عليهم و انزل عليهم العذاب الظاهر حيث جعل منهم القرده و الخنازير، و جعل منهم عبده الطاغوت، اى ابتلاهم بسبب فقدان كرامتهم و استقلالهم بالطاغوت و بالسلطات الديكتاتوريه الظالمه.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ أَى جزاء عند الله و عاقبه.

مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ -حسبما يبدو لى-الابتعاد عن رحمه الله بينما الغضب:إنزال العذاب، و قد تمثل فى الدنيا بأمرين:

وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَادِيَةِ.

وَ أَضَلُّ عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ

ای ابعء عن الجاءه...من الناحیه المعنویه.

ص: ٤١٥

اشاره

وَ إِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللَّهُ اَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (۶۱) وَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْاِثْمِ وَ الْعِدْوَانِ وَ اَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (۶۲) لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَ الْاَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ وَ اَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (۶۳) وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ اَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا اُنزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا وَ اَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا اَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ اَطْفَاها اللَّهُ وَ يَسِيْعُونَ فِي الْاَرْضِ فَسَادًا وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (۶۴) وَ لَوْ اَنَّ اَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَ لَآدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (۶۵) وَ لَوْ اَنَّهْمُ اَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْاِنْجِيلَ وَ مَا اُنزِلَ اِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَمَا اَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مَنْ تَحْتَ اَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ اُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ لِمَا يَعْمَلُونَ (۶۶)

اللغة

۶۲[الاثم و العدوان]:الفرق بينهما:ان الاثم هو الحرم كائنا ما كان.

و العدوان هو الظلم.

٤٥ لكفرنا: أصل التكفير التغطية.

ص: ٤١٧

هدى من الآيات:

فى مقابل المجتمع الاسلامى نجد المجتمع الفاسد، الذى يمثله اليهود، و يتميزون بعده صفات سلبية:

الاولى: النفاق، حيث يتظاهرون بالايمان، و لكن دخولهم فى محضر الرسول صلى الله عليه و آله يتم بالكفر، كما ان خروجهم يتم بالكفر أيضا، و الله يعلم انهم يكتمون الكفر.

الثانية: انهم يتسابقون الى قول الإثم و الى الاعتداء على حرمة الناس و على أكل أخبث الحرام.

الثالثة: ان رجال العلم و الدين قد فسدوا و لم يتناهاوا عن الإثم و أكل السحت.

الرابعة: انهم قدريون آيسون من رحمه الله، و يزعمون ان يد الله مغلوله.

الخامسه: ان رساله الله تزيدهم طغيانا و كفرا.

السادسه: انهم مختلفون بعضهم يعادى بعضا.

السابعه: ان طبيعتهم تنزع الى الحرب و الفساد.

ان هذه الصفات هي التي تدمر الكفار لأنه إذا آمن أهل الكتاب ايمانا حقيقيا و اتقوا لكفر الله عنهم سيئاتهم و لا دخلهم جنات النعيم في الاخره، اما في الدنيا فلو انهم طبقوا رساله، و نفذوا أوامر الله في التوراه و الإنجيل إذا، لعاشوا في الرفاه بحيث يأكلون من فوقهم و من تحت أرجلهم، و لكن منهم امه مقتصده تطبق تعاليم السماء، و كثير منهم فاسقون و يعملون عملا سيئا لذلك ابتلوا بهذه الصفات السيئه.

بينات من الآيات:

تارك الرساله.. صفات و تقييم:

[٦١] لكي لا يتخذ المؤمنون الأجانب أولياء يعدد الله صفات طائفه من اليهود التي تنطبق أيضا على كل امه تركت رسالات الله، و نافقت في ايمانها كالانظمه المسيحيه في العالم الغربى، أو ادعياء الإسلام في عالمننا، و ابرز تلك الصفات السيئه التي تنشأ منها سائر الصفات الرذيله النفاق.

وَ إِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِإِلْكَافِرٍ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ فَاكْفَرِ كَانَ يَصَاحِبُهُمْ قَبْلَ وَ بَعْدَ دُخُولِهِمْ عَلَى الرَّسُولِ أَوْ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا.

وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ

من النفاق و الدجل.

□
و الله لا يرى ظاهر الناس فقط، بل يرى واقعهم الكامن أيضا.

[٦٢] و الايمان يردع الفرد عن التهمه و الغيبه و قول الزور و كل الأفكار المفسده للضمير و الداعيه الى الكسل و الجبن و العداء... اما المنافقون فلأنهم لا يتمتعون برادع الايمان لذلك تجدهم يسارعون فى الإثم.

□ وَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ أَي لَا يترددون من قول الإثم و الباطل.

كما ان الايمان وازع نفسى عن الاعتداء على حرمه الآخرين بشن الحروب الاستعماريه، أو اشاعه جو الإرهاب بالقتل و الاعتقال أو التهجير كما تصنعه الانظمه الطاغوتيه، اما من لا يملك هذا الوازع فهو يسارع فى التجاوز.

وَ الْعُرْدُوانِ و ما يستهدفه هؤلاء من قول الإثم و العدوان هو أكل اموال الناس الذى يشبه قطعه الجلد التى تتكون بعد الجرح و القرع و المليئه بالجراثيم و هذا يسمى ب(السحت).

وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ [٦٣] و الفساد فى هذا المجتمع قد تسرب الى الجهاز الأعلى فيه الى رجال العلم و الدين الذين من المفروض ان يكونوا جهازا اصلاحيا فى المجتمع و لكنهم يسكتون عن الفساد.

ص: ٤٢٠

لَوْلَا يَطَّهَرُهُمُ الرَّبَّائِثُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

بل يداه مبسوطتان:

[٦٤] من الأفكار الخرافيه الفاسده التي شاعت في مثل هذا المجتمع كما عند اليهود انهم يقولون: يد الله مغلولة و انه خلق الخلق ثم تركه دون قدره على تغيير أو تطوير، و بهذه الفكره ألغوا دور الدين في الحياه، و دور الايمان بالله و التوكل عليه في بناء الحضارات.

و قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ و لان اليهود زعموا بان قدره الله محدوده فإنهم جمدوا و تخلفوا، لان الايمان بقدره الله الواسعه تنعكس على البشر انطلاقا و تقدما، لأنه يستتبع الايمان بلا محدوديه الامكانيات عند البشر المؤمن المتصل ببحر قدره الله التي لا تحد و لذلك قال ربنا:

غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ فَالذِي يَتَصَوَّرُ الْحَيَاةَ بِصُورِهِ جَامِدَةً لَا تَتَطَوَّرُ إِلَى الْأَفْضَلِ، و الذي لا يؤمن بقدره الله على إنقاذه من ويلاته هو مغلول اليدين، و الذي لا يتوكل على الله هو الاخر مغلول اليدين يعيش أبدا في أو حال الرجعيه و التخلف.

و أكثر من هذا فان اليهود ملعونون مطرودون من رحمه الله و غير قادرين على الانتفاع بالامكانيات الحاضره لديهم، لذلك قال ربنا:

و لُعِنُوا بِمَا قَالُوا

ص: ٤٢١

اي لعنوا و ابعدوا من بركات الله بسبب قولهم الفاسد، اما ربنا سبحانه فان قدرته لا محدوده، و هو ينفق من هذه القدره حسبما تقتضيه حكمته البالغه.

بَيْلٌ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ان رؤيه اليهود الجامده الى الرساله الجديده و الى كل جديد، و كفرهم بامكانيه التجديد أصبح حجابا بينهم و بين نور الرساله لذلك كلما تليت عليهم ايات الرساله ازدادوا طغيانا.

وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا لَأَنَّهُمْ كَانُوا يُزْعَمُونَ أَنْ كُلَّ جَدِيدٍ بَدَعَهُ يَجِبُ مُحَارَبَتُهُ، فلذلك كانوا يتوغلون أكثر فأكثر في خرافاتهم القديمه.

و ربما بسبب الرؤيه الجامده و الثابته الى الحياه، و اعتقادهم الراسخ بان الله لا يطور الحياه ارتبطوا بألفاظ و قوالب معينه جمدوا عليها و اختلفوا فيها، و استمرت الخلافات هذه بينهم الى يوم القيامه، و لم يدفعهم تطور الحياه الى العوده الى جوهر رسالتهم و ترك القوالب الجامده التي تشبث كل فريق بجانب منها و تعصب لها، لذلك أعقب القرآن الحكيم على السلبات السابقه سلبيه الخلافات الداخليه و قال:

وَ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَ إِطْفَأَ اللَّهُ لَنيرانِ الحربِ التي أوقدوها دليل على التدبير المباشر لربنا لشؤون الحياه، كما ان كل خطه محكمه تفشل بما يسمى بالصدفه، و كل رأى سديد ينقض بسبب ما يقال: بأنه الدهر و الليل و النهار، و كل تقدم و انتصار يتحقق

ينسب الى الحظ، كل ذلك دليل على التدبير المباشر لربنا فى الحياه و لذلك جاء

فى حديث الامام على عليه السلام :

«عرفت الله بفسخ العزائم و نقض الهمم» وَ يَشِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَ فسادهم فى الأرض نتيجه واضحه لرؤيتهم الباطله و الجامده تجاه الحياه، فهم لا يؤمنون بضروره العمل لمستقبل أفضل حتى يصلحوا الحياه، كما لا يؤمنون بان فسادهم سوف يتسبب فى دمار الحياه و تحول عيشتهم الى جحيم لا يطاق حتى ىرتدعوا عن الفساد.

و الواقع ان فكرتهم باطله، ذلك لان الله لا يحب المفسدين، فهو يجازيهم شرا بفسادهم.

[٦٥] ان كل تلك السلبيات التى تواترت على اليهود لم تكن بسبب رسالات الله الهابطه عليهم فى الكتب، بل بسبب عدم عملهم بتلك الرسالات.

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَ ذلك فى الاخره، و التقوى هو الالتزام بما يوجهه الايمان من العمل الصالح و السلوك الحسن.

[٦٦] كما ان تطبيق تعاليم السماء سوف ينشر عليهم الرفاه و الرخاء.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ

كالقرآن الحكيم، حتى لا يكون تطبيقهم للتوراه و الإنجيل تعصبا بل لأنه نازل من ربهم.

لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ حَيْثُ تَنْزَلَ السَّمَاءُ بِرَكَاتٍ عَلَيْهِمْ، وَ تَنْبِتُ الْأَرْضُ خَيْرَاتِهَا، وَ سُلْطَاتِهِمْ سَتَكُونُ عَادِلَةً، وَ كِبَارُ الْقَوْمِ يَرْحَمُونَ صِغَارَهُمْ، وَ الصِّغَارُ يُوَقِّرُونَ كِبَارَهُمْ وَ لَمْ تَكُنْ تَشِيْعُ بَيْنَهُمُ الطَّبَقِيَّةُ الْمُقَيَّتَةُ، وَ لَا يَنْمُو فِي مَجْتَمَعِهِمُ الطَّغْيَانُ بِيَدِ أَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَمْ يَطْبُقْ كُلَّهُمْ كِتَابُ اللَّهِ بَلْ.

مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ مُعْتَدِلُونَ فِي تَنْفِيْذِ الْأَمْرِ غَيْرِ سَبَاقِينَ فِيهَا وَ لَا مُقْصِرِينَ.

وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ فَلَا يَنْفِذُونَ وَاجِبَاتِ رَبِّهِمْ، وَ عَاقِبَتُهُمْ هِيَ تِلْكَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا رَبِّنَا فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ.

ص: ٤٢٤

اشاره

يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)

اللغة

٦٨[فلا تأس]:فلا تحزن

ص:٤٢٥

هدى من الآيات:

بعد ان امر القرآن الحكيم المسلمين بالولاية التامه للمجتمع الاسلامى، و نهاهم بشده عن قبول ولايه الكفار و المشركين، و بين سبب ذلك فى الدرس السابق، جاء فى هذا الدرس يؤكد للرسول، و عموما لكل من تحمل تبليغ رسالات الله، كالربانيين و الأحبار بالآ يهادنوا أحدا، و لا يساوموا أحدا فى تبليغ رساله عموما، و من الطبيعى ان يكون سياق الحديث فى هذا الموضوع الولاية أو القيادة لأنها هى التى قد يخشى الرسول من تبليغها خوف ارتداد الناس، ذلك ان قياده أهم ما تطمح إليها القوى الاجتماعيه.

و أكد ربنا سبحانه على ان التقصير فى هذا الجانب يكون بمعنى عدم تبليغ رساله رأسا، و وعد المبلغين لرسالات الله، و حفظهم من شر الناس، و انه لا يهدى القوم الكافرين.

ثم حذر أهل الكتاب من انكم لستم على شىء حتى تقيموا التوراه و الإنجيل و القرآن، ثم بين ان رساله الجديده سوف تزيد الكفار طغيانا و كفرا فلا تحزن عليهم.

و لكن ذلك كله لا يعنى ان اليهود و النصارى أو الصابئين يدخلون النار، لأنهم أصحاب كتب. كلا. بل انهم لو آمنوا بالله و اليوم الآخر و عملوا عملا صالحا فانه لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

بينات من الآيات:

و هل الدين الا الولايه

؟ [٦٧]السياسه فى اى نظام اجتماعى هى القمه،و القيادة فى السياسه هى سنام القمه و من دون سياسه صالحه فان سائر الانظمه الاجتماعيه لا- تعنى أكثر من حبر على ورق، كما انه من دون القيادة الصالحه فان السياسه لا تعنى شيئا لذلك فان الله سبحانه يذكر نبيه-هنا-بان اى تقصير فى امر تبليغ اى بند من بنود الرساله يعتبر و كأنه لم يبلغ الرساله أساسا.يقول ربنا:

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ هُنَا يطرح سؤالان:الاول:لما ذا جاء هذا التحذير فى هذا السياق؟ الثانى:لما ذا ارتبط تبليغ رساله جزء مما انزل بسائر الاجزاء..؟ للاجابه على السؤال الأخير لا بد ان نعرف:ان تقصير الرسول أو اى مبلغ لرسالات الله انما يكون بدافع اجتماعى.مثل الخوف من ذوى البطش و مراكز القوى أو الطمع فى جذب الناس و عموما لا- يكون ذلك الا- فى القضايا الحساسه مثل القيادة أو مخالفه عادات راسخه أو ما أشبهه،و إذا لم يبلغ الرسول رساله ربه فى مثل هذه القضايا فان الرساله لن تحقق هدفها إذ ان هدف الرساله هو مقاومه السلبيات الاساسيه فى المجتمع،اما القضايا البسيطة فان إصلاحها لا يغير من

واقع المجتمع شيئاً.

ثم ان الرساله التى تعجز عن مقاومه سلبيات المجتمع، أو معالجه القضايا الاساسيه فيه لا تنفع شيئاً لان كل ظاهره تخالفها الرساله قد تصبح فى يوم من الأيام ذات حساسيه فى المجتمع و لا تستطيع الرساله انئذ من مخالفتها...حتى الصلاه قد تصبح ذات يوم قضيه تستتبع الخوف و الاستهزاء فعلى الرساله التنازل عنها؟! و من هنا نعرف الاجابه على السؤال الاول، إذ ان السياق القرآنى يحدثنا عن الولايه، و الولايه قضيه حساسه بل هى أهم قضيه حساسه لذلك أكد القرآن على هذا الحكم فى هذا السياق بالذات...لذلك جاء

فى الحديث المروى عن الامام الباقر عليه السلام .

□
(ان الله اوحى إلى نبيه صلى الله عليه و آله ان يستخلف علياً عليه السلام فكان يخاف ان يشق ذلك على جماعه من أصحابه، فانزل الله تعالى هذه الآيه تشجيعاً له على القيام بما امره الله بأدائه) و المعنى: ان تركت تبليغ ما انزل إليك و كتمته كنت كأنك لم تبليغ شيئاً من رسالات ربك فى استحقاق العقوبه.

□ □ □ □ □
وَ اللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

موقف أهل الكتاب من الولايه:

[٦٨] و القضيه لا تخص المسلمين فقط، إذ ان على جميع أهل الكتب

ص: ٤٢٩

السماويه ان يطبقوا كل تعاليم الرسالات السماويه و الا فان مثلهم مثل الذى لا يملك رساله أبدا و لا فرق بينهم و بين الكفار.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسِيْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ بَيْنَمَا أَهْلُ الْكِتَابِ أَصْبَحُوا يَتَّخِذُونَ موقفا معاديا من رسالات ربهم لذلك فهم يزدادون بها طغيانا و كفرا.

وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اى لا تحزن عليهم.

[٦٩] و إذا طبق أهل الكتاب كل ما انزل عليهم من ربهم فان رحمه الله واسع... و فضله عظيم فهو يدخلهم جناته كالمسلمين.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ [٧٠] لقد أمر بنو إسرائيل، و كل أهل الكتاب ان يؤمنوا بالحق أنى كان، و اين كان، و من دون تجزئته، و لكنهم لم يطبقوا ذلك و خانوا عهدهم.

فأخذوا يبعثون ايمانهم بالرسال حسب أهوائهم المصلحيه، أو حسب تصنيفاتهم العنصريه فاذا جاءهم رسول يخالف مصلحتهم، أو من غير عنصرهم، كفروا به مما يدل على أنهم لم يؤمنوا أساسا بالحق، بل آمنوا بالأهواء و العنصريه.

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ عمليه التّكذيب للرسول هي قتل له لان أهم شيء عنده هي رسالته فلو أنها كذبت فكأنه قد قتل قتلا.

[٧١] و كان يزعم هؤلاء: أنّ قتل الأنبياء أو تكذيبهم سوف لا يخلف اثارا سلبيه عليهم، فاندفعوا الى ذلك دون ان يبصروا الحقائق بأنفسهم أو يسمعوها من ذوى النصيحة.

وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ان الدعاه و المصلحين هم عيون الامه فاذا قتلوهم، فكأنهم أعموا أعينهم، و اذا أعمى الإنسان عينه، فهل يعنى ذلك ان الحقائق تزول، أو تتغير لمجرد أنه لا يراها. كلا، بل يعنى انه سوف يتناقض معها و يدفع الثمن غالبا أمامك صخره تراها عينك و تخبرك بذلك و لكنك بدل ان تصدق عينك و تنحرف عن الصخره تغرز بمسما في عينك فتعميها جزاء نصيحتها لك بما لا يرضاه غرورك و تكبرك و طغيانك ثم ماذا، هل تنتهى المشكله - كلا بل بالعكس بعد لحظات تجد نفسك و قد ارتطمت بالصخره و تكسرت ساقك و تحطم رأسك، كذلك فعل أهل الكتاب بأنبياء الله الذين أسروا إليهم النصح فقتلوا الناصحين، و زعموا ان ذلك يخلصهم، مما يحذرهم الناصحون منه، فاذا بهم يجدونها امامهم، هنالك تاب فريق منهم، و لكن توبه أكثرهم كانت وقتيه، إذ أنهم ما لبثوا أن عادوا الى عنادهم مره اخرى.

ان هذا بعض اثار الكفر بالحق، الذى مارسه اليهود، و علينا الا نتولى اليهود لهذا السبب.

اشاره

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدْقَةٌ كَانَتْ تَأْكُلُ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)

اللغه

٧٥[صديقه]:الصديقه المبالغه فى الصدق كما يقال رجل سكبت أى مبالغ فى سكوته.

[يؤفكون]: يقال أفكه يأفكه إفا إذا صرفه، و الافك الكذب لأنه صرف عن الحق. و كل مصروف عن شيء مأفوك عنه. و قد افكت الأرض إذا صرف عنها المطر.

ص: ٤٣٣

هدى من الآيات:

الأمة الاسلاميه طليعيه المتمثله فى حزب الله هى امه طليعه مستقيمه على الحق و عليها ان تبقى كذلك، و تتجنب المزالتق، و لا تتولى اليهود أو النصارى، الذين انحرفوا عن الحق، كل باتجاه، و لكن ما دمت منحرفا عن الطريق فلا فرق أن تكون يمينا أو يسارا.

لقد رأينا فى الدرس السابق كيف أن اليهود أصيبوا بالجمود باسم المحافظه على التقاليد، و تحدوا الحق الجديد و طغوا عليه و كفروا به.

و ها هم النصارى نراهم فى هذا الدرس يخالفون الحق بصوره أخرى، حيث أنهم يؤمنون بالأساطير و يميعون الحق، فهم يشركون بالله، و يرفعون مستوى المسيح الى مستوى الربوبيه، تقليدا للكفار الذين ضلوا الطريق من قبلهم انهم انفتاحيون و لكن دون مقياس صحيح و اصيل.

و القرآن يندد بهذه الفكره و يقول بأنها شرك تسبب حرمان الجنه، ثم أنها

تؤدي الى الكفر بالله رأسا. ولماذا نشرك بالله، هل لكي نجد من يخلصنا من عذاب الله؟ أو ليس من الأفضل ان نعود الى الله لنجد عنده المغفره الواسعه، اما المسيح فلن يغنى شيئا عن الله. انه بشر مثلنا يأكل الطعام، و هو لا يضر و لا ينفع من دون الله، و الواقع ان تأليه المسيح جاء نتيجة تقليد الأساطير الكافره:

و هو غلو مرفوض في الدين.

بينات من الآيات:

دوافع الشرك بالله لدى النصارى:

[٧٢] لماذا انحرف النصارى عن المسيحيه الصحيحه، و لماذا قالوا: ان الله هو المسيح، هل لأنهم لم يفهموا حقيقه الايمان بالغيب؟ و لم يرتفعوا الى مستوى هذا الايمان فحسبوا ان الله هو المسيح؟، أو لأنهم أرادوا ان يتمسكوا بالدين تمسكا شديدا فغالوا فيه فضلوا فلكى يرفعوا منزله المسيح اشركوه بالله سبحانه؟ أو لأنهم انفتحوا على الثقافات المشركه-خصوصا-الثقافه اليونانيه، التي عشعت في الاسكندريه، و تسربت منها الى المسيحيه؟ أو لأنهم تصوروا عظمه الله، و شده بأسه و صرامه احكامه فلكى وجدوا لأنفسهم مخلصا يسمحوا لأنفسهم به فعل الذنوب قالوا: ان الله أكثر من واحد، و انه إذا أراد أحدهم عقابنا فسوف يخلصنا الثاني؟ كل هذه الدوافع قد تكون وراء الشرك عموما، و شرك النصارى خصوصا، و قد لا يكون الشرك نوعا واحدا، إذ ان الضلاله و الانحراف قد تكون عبر آلاف الطرق، اما صراط الحق فلن يكون سوى صراط واحد.

و في الآيات التاليه إشارات إلى كل هذه الدوافع التحريفية التي علينا ان

نتحذر منها عند ما نريد ان نبني أمتنا.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمِمَّنْ لِّلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ كَيْفَ يَنْهَى اللَّهُ عَن عِبَادَةِ نَفْسِهِ؟ فَإِذَا كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ اللَّهُ فَكَيْفَ أَمَرْنَا بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ؟ كلا. انه داعيه اليه قالها بكل صراحة: (اللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) ثم حذر من الشرك بالله، و بين جزاء المشرك، و أكد بأنه لا هو و لا غيره قادرين على مقاومه إرادته الله في نصره الظالم، و إنقاذه من النار.

مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ :

[٧٣] إن المسيحية المنحرفة، انقسمت على نفسها في أن الله هو المسيح أو أنه شريك للمسيح، و ذلك انطلاقا من اختلاف الأفكار الجاهلية القديمة، التي قالت حيننا بوحده الوجود، و حيننا بتعدد الوجود، و سواء كان قولهم الأول أو الثاني فهو كفر.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْزُبُ عَن رَّبِّهِ الْأَلْوَاهِي دَاتَهَا.

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ

ص: ٤٣٦

لذلك فمن أنكر التوحيد، فقد أنكر الله، إذ ليس هذا الذى يتقبل الشريك إلها. أ إله هذا الذى لا يقدر على شريكه؟! أم إله هذا الذى يعجز عن بعض الأعمال من دون شريكه؟! و إذا ما الفرق بينه و بين خلقه؟! و إذا لماذا أساسا نؤمن بالإله؟!

إننا حين نرى عجز الخلق عن بعض الأفعال، نعرف أن هناك إلها لا يدخل فى طبيعته العجز، و لا تحد قدرته حدود.

و إذا رأينا الإله عاجزا أيضا، فلا يبقى مبرر للايمان به.

وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ □
الكفر لكل من يتقبلها و لكن تخصص العذاب ببعضهم. لان من يقول بهذا الكلام دون وعى كاف قد لا يحكم عليه بالكفر، مثل بعض المتصوفه من المسلمين، الذين بغالون فى أوليائهم حتى مرتبه الألوهيه من دون شعور منهم بحقيقه ما يقولون، و إنه لكفر بالله العظيم.

عيسى ليس باله:

[٧٤] يزعم بعض النصارى أنهم يحتمون بعيسى (ابن الله) عن عذاب أبيه، لأنه ارحم منه بنا و يفند الله سبحانه هذا الزعم بطريقتين: □

الأولى: جذريه، حيث يقول:

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ □

ص: ٤٣٧

ان لا- يجد من هو أرحم به من الله و أكثر غفرانا. فلما ذا يتصور ان هناك من يخلصه من الله ما دام الله لم يسد عليه أبواب رحمته... فليعد الى ربه ليجد فى رحابه كل خير.

□
[٧٥]الثانى: ان المسيح ليس سوى بشر، و هل البشر قادر على أن ينقذ الناس من غضب الله.

ان المسيح كان قد ولد من أم و هذا أول و أبرز أدله عجزه و محدوديته، و بالتالى فهو مخلوق، ثم انه كان يأكل الطعام و من دون الطعام كان سيموت مما يدل أيضا على انه لم يكن سوى بشر، و هل يقدر من يحتاج إلى الطعام، أن يقاوم إرادته الله، خالق الطعام، و الشراب، و مالكهما.

□
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ لِذَلِكَ لَا تَصْبِحُ مَعَاذِرُهُ أَوْ عُلُومُهُ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ إِلَهٌ، لِأَنَّ كُلَّ الرُّسُلِ أَيْضًا مِثْلُهُ يَمْلِكُونَ مَعَاذِرَ وَيَعْلَمُونَ بَعْضَ الْغَيْبِ.

□ □ □
وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ فَلَيْسَ هُوَ أَوْ أُمُّهُ مِنْ نَوْعِ الْأَلْهَةِ الَّذِينَ لَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا بَغْنَى عَنِ الطَّعَامِ.

□
أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [٧٦] ثم ماذا يغنى عنكم المسيح، ما دام لا- يغنى عن نفسه غائله الجوع، إلا بالجهد و بوسيله ماديه اى بالطعام.

□ □ □
قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

و هل بإمكانكم ان تحتموا به عن الله الذى يسمع ما تقولونه ظاهرا و يعلم ما فى قلوبكم

الغلو محراب الشرك:

[٧٧] ان أهم الدوافع وراء تأليه المسيح عيسى بن مريم، كان الغلو فى الدين، و بقدر ما تكون اللامبالاه بالدين خطرا فان الغلو خطر بقدره، لأن هذا و ذاك مخالفان للحق و الحق هو محور الكون و يجب أن يكون محور حياه الإنسان أيضا.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ حِينَ أَرَادَ قَادَهُ الْكَنِيسَهُ دَعَمَ الْمَبَادِئِ الدِّينِيَّةِ تَوَجَّهُوا إِلَى الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ سَعِيَا وَرَاءَ تَرْسِيخِ مَبَادِئِهِ فِي النُّفُوسِ، وَ لَكِنَّ الْغُلُوَّ بِحَاجَةِ إِلَى إِيدِيُولُوجِيَّةٍ تَدْعُمُهُ لِذَلِكَ اتَّجَّهُوا إِلَى الثَّقَافَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَ طَعَمُوا دِينَهُمْ بِهَا، الَّتِي لَمْ تَكُنْ سِوَى خِرَافَاتٍ، أَمَلَتْهَا أَهْوَاءُ أَهْلِ الضَّلَالَةِ كَمَثَلِ خِرَافَاتِ الْيُونَانِيِّينَ عَنِ تَعَدُّدِ الْآلِهَةِ، وَ وَجُودِ قُدْرَةِ غِيْبِيَّةٍ لِكُلِّ شَيْءٍ هِيَ وَرَاءَ مَا نَرَى فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ تَنَاقُضَاتٍ، أَوْ تَفَاعُلَاتٍ إِنْ هَذِهِ الْخِرَافَاتُ، هِيَ الَّتِي تَسْرَبَتْ إِلَى الْمَسِيحِيَّةِ، فَحَوَّلَتْهَا إِلَى دِينِ الْمَغَالِينِ.

و الله نهى عن ذلك بشده قائلا:

وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

ص: ٤٣٩

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (۷۸) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (۷۹) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ
فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (۸۰) وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (۸۱)

هذى من الآيات:

اشاره

جاء القرآن الكريم فى نهايه هذه السلسله من الدروس تنديده بتولى الكفار، محذرا ان من يتولى الكفار سيكون مثلهم، حتى و لو كان منحذرا من سلسله مؤمنه كبنى إسرائيل.

فهذا داود-النبى الملك، وهذا عيسى الزاهد، كلاهما يلعان طائفه من بنى إسرائيل. علما بأن داود و عيسى كانا من بنى إسرائيل أيضا، و لكن اللعنه على بنى إسرائيل انما كانت بسبب عصيانهم و اعتدائهم...

لقد ماتت فى مجتمعهم، قيم الرساله فلم يعد أحد يهتم بها أو يدافع عنها، و لذلك ضاعت وحدتهم الفكرية و تشرذم مجتمعهم. فاصبح فريق منهم يتولى الكفار بكل صراحه، و يجر الى نفسه سخط الله العظيم.

و إذا كانت قيم الرساله حيه فى قلوبهم، إذا لم يزدوج ولاؤهم، و لم يكونوا يخونوا مجتمعهم و لكن نفوسهم خوت من الايمان و عملوا بالفسوق و العصيان.

□
لقد جاء هذا الدرس منسجما مع الدروس السابقه التى كانت تؤكد على اهميه الولاء للمجتمع المسلم و الحزب الله الواحد.

بينات من الآيات:

لعنه بنى إسرائيل:

[٧٨] اللعنه لا- تلحق البشر بسبب طينته، كما ان الرحمه لا تصيبه بهذا السبب، بل كل ما يصيب الإنسان فهو بسبب عمله... و بنو إسرائيل كان فيهم مسلمون، و كان فيهم كفار- طردهم أنبياء بنى إسرائيل- و يمثل القرآن بمثلين من أنبياء بنى إسرائيل داود عليه السلام و هو ملك و حاكم- و المفروض أن يأخذ الملك رعاياه بالسياسه و اللين، خصوصا و ان داود كان صاحب الزبور، و يدعو أبدا الى الرحمه و الصلاح- و بعد داود لعنهم عيسى عليه السلام، بالرغم من أن دعوته كانت الى السلام و الرحمه، و كان سبب طردهما الكفار بنى إسرائيل هو: ان الكفار منهم كانوا يعصون الله و يعتدون على الناس.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ .

عوامل انهيار المجتمع:

[٧٩] و انهيار المجتمع، يبدأ بعدم التزام كل فرد بواجبه، و بالتالى عصيان

اللّه فيما يخص نفسه (ترك الصلاة-الكذب) ثم يتطور الى الاعتداء على حقوق الآخرين، ثم يتطور الى اللامبالاه بالقيم، وينتهى بتشرذم المجتمع و تعدد الولاءات فيه. خصوصا الولاءات الأجنبية.

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ كَانَ لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْمُنْكَرِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَعُودُوا يَحْتَرِمُونَ الْقِيَمَ حَتَّى عَلَى صَعِيدِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ.

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ أَنْ تَرَكَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ يَعَجِّلُ فِي انْتِهَائِهِ الْأَمَّةَ.

[٨٠] وأدى عدم الاهتمام بالقيم الى اهتمام كل فرد بمصالحه و شهواته التي وجدها عند غير قومه، فباع نفسه لهم، و خان قومه.. لعدم وجود رادع من ضمير أو قيمه من دين، و كان يجد في أفكار الأجانب ما يملأ بها فراغه الفكرى، لذلك كان ينتمى إليهم.

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ [٨١] ان كل ذلك الانهيار الذى حصل فى مجتمع بنى إسرائيل كان بسبب عدم الايمان إذ أن الايمان هو المحور السليم لربط الناس ببعضهم. وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ أى غير مؤمنين حقا، و لذلك تشرذم مجتمعهم و أصبح مجتمعا ذليلا...

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (۸۲) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (۸۳) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (۸۴) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (۸۵) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (۸۶)

عداوة اليهود و موده النصارى

هدى من الآيات:

اليهود تطرفوا فى المحافظه على أفكارهم و تقاليدهم، فاستكبروا عن الحق، و عاندوا صاحب الرساله، و لم تزدهم الرساله الجديده الا جحودا و إنكارا. اما النصارى: فقد انحرفوا عن الحق بطريقه مغايره حيث انهم فقدوا مقياس الحق و الباطل فأمنوا بكل الأفكار التى وجدوا عليها صبغه دينيه، و بالرغم من أن هذا الانفتاح الواسع الذى جرهم الى الضلاله، فإنه من الممكن ان يصبح وسيله للهدايه الى الحق.. حيث انهم يستقبلون الأفكار الجديده بصدر رحب، و يستعدون للايمان بها فور سماعها.

من هنا نجد عند النصارى استقبالا يكاد يوازى فى المقدار عناد اليهود، و لذلك فاليهود هم أشد الناس عداوه للذين امنوا، بينما النصارى أقربهم موده، اما المشركون فهم كاليهود فى استكبارهم و عنادهم، و بالتالى عداوتهم للرسالين الجدد.

و الانفتاح عند النصارى- و بالذات عند علمائهم الأبرار- و لعدم الاستكبار عن الحق.. تراهم إذا سمعوا آيات الله الجديده فاضت أعينهم بالدموع للتأثير الكبير الذى تخلفه آيات القرآن فى أنفسهم.

ان بعض قساوه النصارى لا- يستهدفون(كاجبار اليهود)الذهب و الفضة، بل ان منتهى تطلعهم تزكيه الذات و إصلاح النفس، لذلك حين يجدون وسيله الى ذلك يتسارعون اليه.

بينات من الآيات:

أشد الناس عداوه و أقربهم موده:

[٨٢] لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا اما اليهود فلأنهم تركوا الحق جانبا، و تمحوروا حول ذواتهم، فألهوا عنصر بنى إسرائيل و اعتبروه عنصرا مقدسا يدور معه الحق أنى دار، و ليس العكس، و لذلك فهم لا- يقيمون أنفسهم بمقياس الحق، بل يقيمون الأفكار بمقياس ذواتهم، لذلك فهم لا يمكن إلا ان يعادوا الذين آمنوا بالحق.

و أما المشركون، فهم بدورهم تركوا الحق، و اتبعوا الهوى فعبدوا الثروه، و السلطه، و كل ما يرمز الى الثروه أو السلطه.

هؤلاء أيضا انحرفوا عن الحق، عن سابق تصميم و بإصرار، فهم أيضا يعادون المؤمنين.

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ هؤلاء كانوا يفتشون عن الحق ولكنهم لا يجدونه...لذلك تجدهم لا يستكبرون على الحق إذا سمعوه و توفرت لديهم فرصه الهدايه.

[٨٣] وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ، تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ، مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ان تأثير الحق في النفوس الطيبه شديد بحيث يحرك كل المشاعر الخيره فيها، فتلتهب النفس إيماناً و شوقاً، و أملاً، و خشيه، و تتفجر العيون دموعاً و بريقاً، و روعه و جمالاً، اما الألسن فهي الاخرى لا تستطيع ان تخفى المشاعر الجياشه.

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ انهم يخشون ان يفوتهم قطار المؤمنين لذلك يسارعون إلى الايمان، و يدعون الله بان يحسبهم من المؤمنين.

[٨٤] والسبب الذى يدعوهم الى الأيمان انهم كانوا يبحثون سلفاً عن الحق و الصلاح. و ان هدفهم فى الحياه لم يكن تأليه ذواتهم، و البحث عن العلو فى الأرض، و الفساد، (كما كان اليهود) كما لم يكن هدفهم الوصول الى شهواتهم العاجله بالثروه و السلطه، إنما كان هدفهم إصلاح أنفسهم و إرضاء ربهم، فنياتهم كانت طيبه و قلوبهم نظيفه.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ انهم يهدفون الصلاح و يعرفون أن الوسيله الى ذلك هو الايمان بالله و بالحق لذلك فهم يسارعون الى الوسيله التى تحقق هدفهم.

[٨٥] ووفى الله بما وعدهم فجزاهم بايمانهم الذى عبروا عنه بالقول الصادق جنات يخلدون فيها.

فَأَذَابُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ [٨٦] أما أولئك اليهود، و المشركون
فأنهم كفروا بسبب عباده ذواتهم، و اتباع شهواتهم ثم كذبوا بالحق نتيجة لكفرهم، لذلك كان جزاؤهم جهنم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ .

ص: ٤٤٨

اشاره

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُحَرِّمُوْا طَيِّبٰتِ مَا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَّ لَا تَعْتَدُوْا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ (۸۷) وَ كُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلٰلًا طَيِّبًا وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْ اَنْتُمْ بِهٖ مُّؤْمِنُوْنَ (۸۸) لَا يُوَٰخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِى اٰيْمَانِكُمْ وَّ لٰكِنْ يُّوَٰخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الّٰ اٰيْمَانَ فَكَفٰرَتُهٗ اِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِيْنَ مِنْ اَوْسَطِ مَا تَطْعَمُوْنَ اَهْلِيْكُمْ اَوْ كِسْوَتُهُمْ اَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِدْقًا ثَلٰثَةَ اَيَّامٍ ذٰلِكَ كَفٰرُهٗ اٰيْمَانِكُمْ اِذَا حَلَفْتُمْ وَ اِحْفَظُوْا اٰيْمَانَكُمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ (۸۹)

اللغه

۸۹ [باللغو فى ايمانكم]: لغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله.

[عقدتم]: وثقتم بالقصد و النيه.

هدى من الآيات:

فى هذه المجموعه من الآيات نرى تبياناً لأحكام الإسلام فى السلوك الشخصى و مدى علاقته بالسلوك الاجتماعى.

فالخمر-مثلاً-ليس شراباً يتناوله الشخص باختياره، بل هى فى الواقع-ممارسه اجتماعيه إذ تسبب الإضرار بالمجتمع، و اعتداء الناس على بعضهم، و كذلك الميسر. ان هذه العلاقة الوثيقه بين السلوك الشخصى و المجتمع تفرض على الإنسان مزيداً من الانضباط فيما يتعلق بحياته الشخصيه، بيد أن المحرمات ليست هى الأصل فى سلوك الإنسان كما تزعم الشعوب المتخلفه التى تحسب كل شىء حراماً إلا- بعض ما يتلى عليهم، و ينص على حليته، بل بالعكس، يرغب الإسلام فى ممارسه الحياه بحريه و انطلاق، حتى يثبت بالدليل القاطع ان الله حرم هذا الشىء المعين.

و هذه الفكره فكره الحليه العامه حتى يثبت العكس-هى مجمل ما توحى

اليه هذه الدروس التي سوف نشير إليها.

بينات من الآيات:

تحريم الطيبات

[٨٧]

جاء في حديث ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يؤخذ بعزائمه انّ هذا الحديث المأثور ليدل دلاله حاسمه على ان المبالغه في تحريم الطيبات التي ولع بها بعض المنتسبين الى الدين انما هي من عمل الشيطان إذ انها تسبب:

اولا: في التشريع الحرام عند الله: وهو نسبه حكم الى الشريعة، ما انزل الله بها من سلطان! ثانيا: تسبب في ابتعاد فريق من الناس عن الدين، لأنهم يرون تناقضا بينه وبين فطرتهم، التي تدعوهم الى التمتع، بما وفره الله للإنسان من طيبات.

وقد كانت المسيحية المنحرفة هي السبب في نشوء التيار المناهض للدين في أوروبا مع بدايه التقدم العلمى، لأن المسيحية المنحرفة كانت تحرم طلب العلم و تنسب ذلك الى الدين، وطائفه من علماء الدين المسلمين ساعدوا من حيث يعلمون أو لا يعلمون هذا التيار الغربى على النفوذ في البلاد الاسلاميه، لهذا السبب بالذات.

من هنا حرم القرآن و بكل إصرار تحريم ما أحل الله. سواء كان التحريم

ص: ٤٥١

قوليا أو عمليا و قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ بَئِذٍ إِذْ أُخْبِرْتُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ فَسَأَلْتُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهِنٌ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيهَا كَاذِبِينَ قُلْ إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ مَا كَفَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى عَنِ اللَّهِ وَإِنْ حَسِبْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُخْفَىٰ كَفَرْتُمْ وَسَاءَ مَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

فهناك حقوق للجسد يجب الوقوف عندها و عدم تجاوزها في الاستفادة من الطيبات، مثلا الإسراف في الأكل نوع من الاعتداء على حق الجسد في ان يبقى سالما.

كما أن هناك حقوقا للناس، تجب رعايتها عند ما يستفيد المرء من الطيبات، من هنا أكد القرآن على الحقوق في سياق حديثه عن الطيبات و قال:

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٨٨] و الاستفادة من الطيبات. كل الطيبات يجب الا يتحدد الا بحدود الشريعة التي جاءت لمصلحة الإنسان كفرد و كمجتمع، و هذا هو التقوى.

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ

كفاره العهد و اليمين:

[٨٩] و هناك حد آخر للاستفادة من الطيبات، هو حد الالتزام الشخصي بعدم الاستفادة من واحده من الطيبات لسبب أو اخر، و هذا يسمى باليمين.

فلك ان تحلف ألا- تستفيد مثلا- من نعمه الفواكه، و ذلك لمصلحة الفقراء و المساكين و لكن لا- يعني ذلك ان تحرم على نفسك كل شيء... و لمجرد التقشف و التزهة و من دون مصلحة أو رجحان أو سبب معقول، آتئذ يحرم عليك شرعا ان

تعود الى ذلك الشيء. لأنه يعنى التنازل عن عهدك، و التنازل بالتالى عن ارادتك و عن نفسك بذاتك.

□
يبد ان هناك مشكله هى ان بعض الناس، يستعجلون الحلف بالله، و هم لا يقصدون الالتزام الحقيقى و الاراده الثابته.

من هنا بدأ القرآن حديثه عن حل هذه المشكله ثم أوجب الالتزام باليمين و قال:

□ □ لا- يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
□ □ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ
□ □ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تشكرون الله على هدايته لكم، و تبيانه طريقه الاستفاده من الطيبات.

ص: ٤٥٣

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۹۰) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (۹۱) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ إِحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (۹۲) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۹۳)

اللغه

۹۰[الأنصاب]:الأصنام و سميت بذلك لأنها كانت تنصب للعباده، و الانتصاب القيام.

[رجس]:الرجس في اللغه اسم لكل ما استقدر من عمل، و يقال رجس يرجس إذا كان عملا قبيحا.

[٩٠] فى البشر عقل و اراده تقابلها الشهوات و الجهل، و على الإنسان ان يحكم عقله على شهواته بقدره الإراده، و قد جاءت رسالات السماء بهدف تنمية قدره الإراده فى البشر و تنمية قدره العقل حتى يتمكن من ضبط شهواته، و توجيه حياته حسب هدى عقله.

و قد حرمت رسالات السماء كلما يضر بالعقل و بالإراده ضررا بالغا. لأنه يتسبب بالطبع فى سيطره الشهوات على حياه الإنسان. و فى طليعه ما حرمته الشرائع السماويه الخمر و الميسر لأنهما يهبطان بإراده الإنسان و عقله إلى أدنى مستوى، و هما بالتالى رجس و حرام لأنهما من عمل الشيطان الذى يثير الشهوات و ينقص العقل و يضعف الإراده.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلٍ

الشَّيْطَانِ فَاجْتَبَاهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ان الفلاح الذى هو الهدف الأسمى لكل ابن أنثى فى الحياه لا يتحقق إلا بالسيطره على شهوات الذات بقوه الاراده.

اما اللهو فانه يضعف هذه الاراده و يثير المشاكل للبشر و اللهو هو ذلك الرجس الذى يدعمه الشيطان.

الخمير و الميسر من جنود إبليس:

[٩١] و الخمير و الميسر يسببان الفرقه بين الناس،بينما الإسلام يأمر بالوحده و يدعم هذه الوحده بتحريم كل أسباب الفرقه.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ الْعَدَاوَةُ تَأْتِي بِسَبَبِ سَيْطَرِهِ الشَّهَوَاتِ عَلَى الْإِنْسَانِ، فيحاول كل واحد ان يعتدى على حقوق الآخرين ليحقق هو شهواته،بينما يجب أن يقف غريمه فى موقف الدفاع،فان لم يستطع دفع الظلم عن نفسه انقلب ظالما لمن هو أضعف منه.

و هكذا يتحول المجتمع الى سلسله من الظالمين و المظلومين،و العداوه تتحول إلى بغضاء إذ سرعان ما يبحث كل طرف عن تبرير نفسى لظلمه،فينشر الحقد فى كل قلب فكل من يصبح مظلوما يحقد على ظالمه.

و لكن المشكله:ان هذا الحقد قد يتحول الى غير الظالم،بل إلى كل أبناء المجتمع فيبحث له عن متنفس يصب حقه فيه فاذا به يظلم الناس بلا سبب،

و بلا مصلحه ذاتيه بل متشفيا لنفسه الحاقده و يبقى سؤال: كيف تتسبب الخمره فى العداوه؟ الجواب: ان الخمره تذهب بالعقل، و تضعف الاراده، فيفقد الإنسان السيطرة على شهواته فتصبح شهواته هى المسيطره عليه، تسوقه الى حيث الاعتداء و الظلم.

اما الميسر فانه يعتمد على محاوله كل فريق التغلب على الآخرىن، ليس بالعمل الصالح و انما بالصدفه أو بالمكر و الشطاره.

و معلوم كيف تنتهى حاله مجتمع تسود علاقته:المغالبه و المنافسه الماكره؟! و سبب آخر لحرمة الخمر و الميسر هو:الإلهاء عن ذكر الله، و ذكر الله هو طريق فلاح الإنسان.

ان الشيطان الذى يجسد قوى الشر فى الطبيعه و يثير قوى الشر فى النفس، لا يريد توحيد كلمه البشر، بل يحاول تقويه شهوات البشر، و دعم أهوائه الذاتيه، و ليس هدف الشيطان الذى يدعو الناس الى اللهو و اللعب و الى معاقره الخمر و نسيان المسؤوليات، و يدعوهم إلى لعب القمار و الابتعاد عن العمل الصالح، و كذلك فهو لا يهدف أبدا الى إسعاد البشر.

و الله يريد من الإنسان ان يكون واعيا لمسؤولياته، عالما بان هناك رقابه مشدده عليه من الله حتى يطبق واجباته متذكرا أبدا تلك الرقابه.

اما الشيطان فيريد تناسى الله و الابتعاد عن ذكر الله بالخمر و الميسر.

و من هنا قال الله عن هدف الشيطان من الخمر و الميسر:

وَ يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ هَلْ أَنْتُمْ مَنْتَهُونَ هل أنتم منتهون عن السير في خط اللاوعى و التناسى و الغفله ان ائمن ما فى البشر هو ذكر الله، و تذكر المسئوليه و التعهد بأدائها.

□
و الشيطان يدفع بالبشر فى الخط المعاكس. أ فلا تتوب الى الله و نطرد الشيطان و نهجر كأس الغفله، و أدوات العداوه؟! □

طريق العوده:

[٩٢] و نعود الى حظيره الطاعه و الالتزام بالمسئوليه.

□
وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ بدلًا من الغفله و التناسى نلتزم بالحذر و نسلح بالتقوى.

إذا كنت فى غايه كثيفه الظلمات كثيره السباع فهل من الصحيح ان تنام و تناسى واقعك، و الاخطار المحدقه بك فالشيطان يدفع البشر باتجاه الغفله، و خط الله يدعوا الى الحذر.

□
وَ اخِذُوا فَيَا تَوَلَّيْتُمْ فَمَا عَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولُنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ نحن لسنا مسئولين عنكم، و لا- رسولنا مسئول عنكم، انما أنتم المسئولون عن أنفسكم، و انما على رسولنا: مسئوليه ابلاغكم فقط بما يجرى ثم تتحملون أنتم المسئوليه.

كل شيء حلال:

□
[٩٣] و لا يعنى تحريم الخمره أن الله يريد للإنسان ان يعيش فى ضنك

ص: ٤٥٨

العيش، لان الله لم يحرم الطيبات على الإنسان.

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِنَّمَا يَنْهَى ذَلِكَ التَّحْرِيمَ أَنْ يَبْقَى الْإِنْسَانُ فِي حَذَرٍ دَائِمٍ مِنْ ارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ، وَفِي وَعَى دَائِمٍ، وَتَحْمَلُ لِلْمَسْئُولِيَّةِ وَالْحَذَرِ، لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ:

إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّ الْهَدَفَ مِنَ التَّقْوَى هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَلَكِنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحَ لَا بَدَأَ أَنْ يَسْبِقَهُ الْإِيمَانُ، وَالْإِيمَانُ يَأْتِي قَبْلَ وَبَعْدَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَمَا قَبْلَهُ فَلِكِي يَدْفَعُ بِالْبَشْرِ إِلَى اخْتِيَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَمَا بَعْدَهُ فَلَأَنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحَ يَدْعُمُ الْإِيمَانَ وَيَقْوِيهِ فِي الْقَلْبِ مِمَّا يَمَهِّدُ لِمَرَحَلِهِ مُتَقَدِّمِهِ جَدِيدِهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. مِنْ هُنَا جَاءَ الْإِيمَانُ هَدَفًا لِلتَّقْوَى عِنْدَ مَا قَالَ رَبَّنَا:

ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا إِنَّ التَّقْوَى (أَيَّ التَّحَسُّسِ بِالمَسْئُولِيَّةِ) تَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَتَدْعُو فِي ذَاتِ الْوَقْتِ إِلَى مَسْتَوًى جَدِيدٍ وَرَتَفَعَتْ مِنْ مَسْتَوِيَّاتِ الْإِيمَانِ.

ذَلِكَ الْمَسْتَوًى هُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ لِذَلِكَ جَاءَ الْإِحْسَانُ نَتِيجَةً لِلتَّقْوَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

ثُمَّ اتَّقُوا وَاحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَهَكَذَا يَتَدَرَّجُ الْمُؤْمِنُ عَبْرَ الْمَرَاهِلِ التَّالِيَةِ:

١١/ التَّقْوَى بِهَدَفِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

التقوى بهدف تقويه الايمان.

٣/التقوى بهدف الإحسان الى الناس.

و عموما.الطعام هو وقود الإنسان المادى للقيام بهذه المراحل،بينما التقوى هى وقوده المعنوى.

و فرق كبير بين الطعام فى المفهوم التوحيدى حيث يكون تحت سيطره التقوى، و بهدف تحمل المسئوليه و الإحسان.

و الطعام فى المفهوم الشيطانى حيث يكون ضد التقوى و ضد تحمل المسئوليه.

ص:٤٦٠

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبَلِّغْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَاثُره أَيديكُمْ وَرِمَا حُكْم لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ إِعْتَدَى بِغَدِّ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۹۴) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هِدْيًا بَالِغَ الْكَعْبِهِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (۹۵) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِلسِّيَّارِهِ وَ حُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۹۶)

اللغه

[۹۶] للسياره:السياره المسافرون.

ص: ۴۶۱

الطعام يجب ان يكون بهدف العمل الصالح و الايمان و الإحسان الى الناس و لذلك يحرم من الطعام ما يخالف هذا الهدف مثل الخمر.

و قد يكون الطعام وسيله لدعم اهدافه بصوره النفى مثل ترك الطعام فى الصيام. حيث انه يقوى التقوى و الاحساس بالمسئوليه، و بالتالى الإحسان و العمل الصالح و كذلك ترك الطعام فى الحج.

فحرمة الصيد فى الحرم أو خلال القيام بمراسم الإحرام لا تعنى أن فى الطعام جرثومه، بل تعنى ان الطعام ذاته أصبح ماده لاختبار اراده الإنسان و لدعم قدرتها على ضبط الشهوات.

□
فى هذه المجموعه من الآيات يبين الله فلسفه حرمة الصيد فى الحج.

و يضع مجموعه من الروادع الماديه لمن يصطاد فى الحج أو فى الحرم حيث يجب

عليه ان يكفر عن ذنبه بمثل ما اصطاد من الحيوان، و بالتالى يجب عليه ان يقهر شهواته التى حاولت الاستفاده من الحياه بالعباء لها مجددا حتى يعرف ان اتباع الشهوات يؤدى الى الوبال.

و فى الوقت الذى حرم صيد البر، أحل الله صيد البحر فى حاله الإحرام لان الهدف هو تنميه الاراده و تربيته روح التقوى، و ليس الهدف تجويع الإنسان.

بينات من الآيات:

الصيد و امتحان الإرادات:

[٩٤] بالرغم من ان عمليه الاصطياد فى الحج تتم بصوره مشروعه و ليست استثمارا لجهد الآخرين، إذ ان صاحب الصيد هو صاحب العمل، بالرغم من ذلك فقد حرم الله هذا الصيد لانه استثمار لجهد الناس (كما فى حرمه الربا) و لا لأنه يضر بعقل الإنسان، و لا لأنه يضر بجسمه (كما فى حرمه لحم الخنزير)، و لكنه لمجرد اختبار اراده الإنسان و تنميه روح التقوى فيه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ إِذَا، فهو امتحان، و الهدف منه معرفه الذى يخشى الله بالغيب، و هو ذلك الذى استفاد من نور عقله فى اكتشاف عاقبه عمله و لم يحدد رؤيته بما يراه امام عينه، بل نظر بعيدا بعيدا. نظر الى الله الذى يراقب عمله، و يحصى عليه ذنوبه، فيجازيه عليها فخشيته.

فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ

من اعتدى على حرمة الله بعد ان بينها ربنا فانه يستحق عذابا أليما.

اهداف الحرمه:

□ [٩٥]الحكم الذى جعله الله مقياسا لامتحان هو:حرمه قتل الصيد فى حاله الإحرام،أو فى منطقه الحرم.

□ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ لِمَاذَا هَذَا الْحُكْمُ؟ لان الإحرام يهدف التجرد عن الذات،و تنميه روح التقوى.و لا تتناسب هذه الحاله مع الانتشار فى الأرض طلبا للصيد بما يحمل ذلك من اهتمامات بين الوافدين من مختلف بقاع الأرض من أجل أداء فريضه الحج فلو اهتموا-و هم يسيرون الى مكه بالصيد إذا لازدادت احتمالات الصراع بينهم على الصيد، و بالتالى تناقض ذلك مع هدف الحج الذى هو توحيد الامه الاسلاميه.

كفاره الصيد:

وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ذَلِكَ لَان لِكُلِّ حَيْوَانٍ وَحْشَى يَصَادُ مِثْلًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْآهْلِهِ وَ نَظِيرًا لَهُ فِي الْحَجْمِ وَ الشَّكْلِ وَ الْفَصِيلَةِ.

من هنا يجب دفع الكفاره حسب حجم الحيوان و شباهته،فمثلا الغزال نظير الشاه فى الحجم.

و المرجع القانونى لتمييز المثل المناسب للصيد هو الناس أنفسهم (العرف العام) الذى يعبر عنه اثنان من العدول.

يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَيُصْرَفُ هَذَا الْجِزَاءُ لِلْكَعْبَةِ وَ زَوَارِهَا الْحِجَابُ إِلَيْهَا.

هَذَا بِأَلْبَاحِ الْكُفَّةِ وَ بِإِمْكَانِ الشَّخْصِ أَنْ يُؤَدِيَ التَّعْوِضَ الْمَادَى وَ ذَلِكَ بِإِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ، حَسَبِ الصَّيْدِ، وَ بَعْدَ مَا يَشْبَعُ الصَّيْدُ أَوْ كِفَارَتِهِ (مِنَ النَّاسِ) فَلَوْ كَانَ الصَّيْدُ يَشْبَعُ عَشْرَةَ أَطْعَمَ عَشْرَةَ مَسَاكِينٍ.

أَوْ كِفَارَةُ طَعَامِ مَسَاكِينٍ وَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَصُومَ بِقَدْرِ الْأَيَّامِ الَّتِي يَشْبَعُهَا الصَّيْدُ فَمَثَلًا: بَدَلَ أَنْ يَقْدَمَ شَاهُ تَشْبَعِ عَشْرَةَ رِجَالٍ، أَوْ يَطْعَمَ عَشْرَةَ رِجَالٍ مَسَاكِينٍ، بَدَلَ هَذَا وَ ذَاكَ، بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَصُومَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ كِفَارَةَ لِّصَيْدِ الْغَزَالِ الَّتِي يَعَادِلُ الشَّاهُ.

أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ وَ خِلَاصَهُ الْقَوْلُ: أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْوِضَ عَنِ صَيْدِهِ بِقَدْرِ مَا اسْتَفَادَهُ مِنْ ذَلِكَ.

أَمَّا إِذَا كَانَ الصَّيْدُ قَبْلَ الْحُكْمِ بِحَرْمَتِهِ، أَوْ قَبْلَ الْعِلْمِ بِهَذَا الْحُكْمِ فَانَّهُ يَعْفَى عَنْهُ.

عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ

بيد ان من اصطاد، ثم كفر، ثم اصطاد بصورة متعده فان الكفار لا تزيل ذنبه بل يبقى مذنباً حتى يلاقى ربه فيجازيه على ذنبه.

وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ

أحل لكم صيد البحر:

[٩٦] ليس الهدف من حرمة صيد البر تجويع الوافدين الى البيت الحرام، بل تنميه إرادتهم و تقواهم، و منع التشاجر بينهم من هنا
أحل لهم صيد البحر لأنه لا يسبب عداً عاداً.

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَ طَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارِهِ أَي مَتَاعاً لَكُمْ أَنْتُمْ الْمَقِيمُونَ فِي الْحَرَمِ، وَ لِلسَّيَّارِهِ الْمَسَافِرِينَ إِلَى الْحَرَمِ.

وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

ص: ٤٦٦

اشاره

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلُوبَ ذَلِكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۹۷) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۹۸) عَلَيَّ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (۹۹) قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَيْكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰۰)

اللغه

۹۷[الهدى و القلائد]:الهدى ما يهدى من الأنعام الى الكعبه،و القلائد ما يقلد به الهدى علامه له.

هدى من الآيات

كان القرآن الكريم يبين لنا طائفه من الأحكام المرتبطه بتنظيم الحياه الاجتماعيه و طائفه من المحرمات التي استهدفت المحافظه على وحده الناس.

و منها ضروره الالتزام بالايمن و حرمة نقضها، و حرمة الخمر و الميسر باعتبارهما معولى هدم للمجتمع، و حرمة الصيد في الحج.

في هذه المجموعه من الآيات يبين لنا:

اولا: الهدف من الحج الذي يلخصه في أمرين يلتقيان بالتالي ليصبحا امرا واحدا و هما: اقامه حياه الناس، و تنظيمها تنظيما صالحا.

ثانيا: إيجاد وازع داخلى لدى الناس يأمرهم باتباع هدى الله و قبول أوامره، ذلك الازع هو العلم بالحقائق التاليه:

اولا: بان الله رقيب عليهم و يعلم ما يجرى عندهم.

ثانيا: الرسول ليس مسئولا عن أعمالهم بل هم المسؤولون اولا و أخيرا، و ما على الرسول الا أداء رساله إليهم.

ثالثا: بأن هناك طيبا فى الحياه و خبيثا، و انهما لا يستويان. فليس الإنسان طيبا بذاته و خبيثا بذاته بل قد يكون طيبا و قد يكون خبيثا، و عليه ان يختار لنفسه. و على الإنسان ان يستخدم عقله و يختار لنفسه اما باتجاه الطيب أو الخبيث.

و بمناسبة الحديث عن هذا الوازع يحدثنا القران فى الدرس القادم عن العلم بالاحكام الشرعيه حسبما نأتى الى ذكره:

بينات من الآيات:

رموز الحريره:

[٩٧] لماذا الكعبه و لماذا الحج إليها، هل الكعبه مقام عباده يتقرب بها الناس الى ربهم أم هى مدرسه تركى النفس البشريه.. أم هى أكثر من ذلك (مركز تجمع للامه الاسلاميه) تنظم حياتهم على الأرض و تعدهم لدخول الجنه فى الاخره؟ هى فى الواقع كل ذلك.

يقول الله عن الكعبه:

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَيْدَىٰ وَالْقَلَائِدَ هَذِهِ الْمَنَاسِكُ تَجْعَلُ الْكَعْبَةَ كَمَنْطَقَهُ حَرَمَهُ، وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ أَيَّامَ الْحَرِيمَةِ، وَالْهَيْدَىٰ

ص: ٤٦٩

و القلائد كاشياء ماديه محترمه (اى محرره لله لا لعباد الله).

□
هذه الأمور كلها رموز الحريه جعلها الله للناس قياما اى تنظيميا لحياتهم إذ ان الحريه هى أساس تنظيم الحياه الاجتماعيه ففى المنطقه الحره تجتمع الجماهير لتعبر كل طائفه عن رأيها الصريح، و يتفق الناس فيما بينهم حول ما يشاءون، و يتعاونون من أجل بناء حياتهم الكريمه، و يتحدون من أجل مقاومه الطاغوت.

اما الشهر الحرام فهو الوقت الذى يحرم فيه التجاوز على الآخرين، و يجب ان يسمح لكل الفئات خلاله بالمسير الى الحج، و لا يتعرض أحد، لهم بسوء انى كانت الدوافع الى هذا التعرض.

□
اما الهدى و القلائد فهذه الأشياء لا يجوز لأحد الاعتداء عليها لأنها ليست لأحد بل هى لله و للجميع، اى لكل الوافدين الى الحج. انها رمز الملكيه الجماهيريه، انها رمز التعاون فى الاستفاده من أشياء هذه الأرض من أجل رفاه الناس جميعا.

الحريه بين الفوضى و التحرك:

و يبقى سؤال: كيف تصبح الحريه سببا لقيام المجتمع و نحن نعلم ان الحريه قد تسبب الفوضى؟ الجواب:

اولا: ان الحريه تعنى ان كل الناس أحرار و لا يعنى بالطبع ان تكون طائفه واحده أو شخص واحد فقط هو الحر. و إذا طبقنا هذه القيمه (اى الحريه للمجتمع) فان ذلك يعنى انضباط الجميع فى نفس الوقت. إذ لا يجوز لا حد ان

يسلب حريه الآخرين بل عليه ان يحترمها.

و هذا الاحترام المتبادل لحقوق الآخرين هو أكثر ما يوفر الانضباط و التقيد.

من هنا تصبح الحريه نظاما عادلا و مستقرا.

معنى الحريه:

ثانيا:سمى القران الحريه هنا بالإحرام و الحرمه(البيت الحرام الشهر الحرام) و هذا يعنى ان الحريه هى:الكف عن الاعتداء قبل ان يكون المطالبه بالحق.

فأنت حر إذا لم تتجاوز على حقوق غيرك،و الحقوق هذه يحددها الله فى الحرم انظمه جعلها الله،و على الجميع ان يلتزموا بها حتى تتوفر لهم جميعا الحريه الكافيه.

هذا هدف من اهداف الحج،و لكنه ليس كل اهدافه،إذ ان هناك قضيه تزكيه الذات التى لا يمكن أن تحدث الا عن طريق وجود وازع فى القلب،و هذا الوازع ياتى عن طريق احساس كل فرد انه مراقب من قبل الله رقابه شامله، و بذلك يزداد شعورا بالمسؤوليه و بالتالى التزاما بها،من هنا يقول ربنا:

ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٩٨]و الله لا- يراقب الناس فقط بل و يجازيهم بشده،أو يرحمهم برحمته الواسعه،فالعبد بين ان يسقط الى الحضيض مره واحده أو يحلق فى السماء عاليا.

اعلموا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

و هذه المعادله تجعل النفس تندفع بسرعه هائله الى الامام. إذ تجد انها بين قطبين متضادين بقوه، فاما عقاب شديد و اما مغفره و رحمه فيصيح الإنسان و كأنه فى معركة حاسمه تؤدي اما الى نصر مؤزر و إما الى هزيمه نكراء.

فكيف يكون اندفاع هذا الشخص و حذره و تحسسه بمسئولياته و بالتالى تقواه؟!

من المسؤول:

[٩٩] و ليس من الممكن ان يلقي الإنسان بمسئولياته على الآخرين، فمثلا يقول: ان الله و رسوله هو المسؤول عنى، و عن تربيتى و تزكيتى و هدايتى. كلا، ان المسؤول الاول هو الإنسان نفسه، اما الرسول فهو مسئول فى حدود الدعوه فقط.

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ فَإِذَا بَلَغَ الدِّعْوَةَ إِلَى الشَّخْصِ فَإِنَّ مَسْئُولِيَّتَهُ قَدْ انْتَهَتْ وَ يَبْقَى الْإِنْسَانُ مَسْئُولًا أَمَامَ اللَّهِ.

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ [١٠٠] و الناس فريقان، طيب و خبيث، و بينهما مسافه بعيده و على المرء ان يختار لنفسه أحد الفريقين، و لكن ليعرف مسبقا ان الفريق الطيب هو الأفضل على رغم قله ابناؤه.

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَحْبَبْتُمْ كَثْرَةَ الْخَبِيثِ وَ التَّقْوَى هُوَ زَادَ الْإِنْسَانَ لِلْوَصُولِ إِلَى مَسْتَوَى الطَّيِّبِ فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّقَى اللَّهَ وَ يَحْتَمِلَ كُلَّ مَسْئُولِيَّاتِهِ بوعى و حذر إذا كان عاقلا و إذا أراد السعاده.

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ص: ٤٧٣

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ
 حَلِيمٌ (۱۰۱) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (۱۰۲) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ لَهُ وَلَا حَامٍ وَلَا كَنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (۱۰۳) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا
 مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (۱۰۴) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يُضُرُّكُمْ مَن
 ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۰۵)

اللغة

۱۰۳ [بحيره]: أصل الباب السَّيِّع، و سَمِيَ البحر بحرا لسعته، و فرس بحر واسع الجرى و فى الحديث انه صلى الله عليه و آله قال
 لفرس له وجدتها بحرا، (الناقه إذا ولدت عشرة ابطن يشقون أذننها و يسيونها).

[السائبه]: السائبه فاعله من ساب الماء إذا جرى على وجه الأرض، و يقال سَيَّبت الدابه اى تركتها تسبب حيث شاءت، و أصلها
 المخلاه و هى المسيبه، و أخذت من قولهم سابت الحبه و انسابت إذا مضت مستمره (و السائبه هى التى تسببت فى المرعى فلا
 تردّ عن حوض و لا علف إذا ولدت خمسه أبطن).

[وصيله]: إذا وصلت بمعنى الموصوله كأنها وصلت بغيرها و يجوز ان يكون بمعنى الواصله لأنها وصلت أخاها و هذا أظهر فى
 الآيه (و هو ان يكون أحدهم كان إذا ولدت له شاته ذكرا أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا يصبح من أجلها).

[حام]: هو العجل إذا ضرب عشره ابطن يحمى ظهره فلا يركب.

ص: ٤٧٥

هذى من الآيات:

العلم بالحكى الشرعى يورث الإنسان مسؤليه العمل به، و لحكمه الله سبحانه فانه يتدرج فى بيان الأحكام الشرعيه حتى يستوعبها الناس بصوره مرحليه.

و لكن بعض الناس يستعجلون فى الأمر فيحاولون معرفه الأحكام أو الحقائق مره واحده، و قد لا يستوعبون فيكفرون بالحقائق أو لا يطبقون الأحكام فيكفرون بها.

انما على الإنسان ان ينتظر الوحى حتى يهبط بالحكم الشرعى أو بالحقيقه فيسأل عنها لان الله لا ينزل العلم الا فى حينه، و بقدر استيعاب الناس له.

و بسبب الاستعجال بالعلم بالاحكام ترى بعض الناس يصدرن احكاما من عند أنفسهم ثم ينسبونها الى الله، أو يتقبلون التقاليد الجاهليه كأحكام، ثم لا

يتركونها بالرغم من مخالفتها لهدى العقل و العلم.

ان تقليد الآباء عقبه كأداء فى طريق تحمل المسئوليه، كذلك تقليد المجتمع حيث ان بعض الناس يتخذون من المجتمع عقبه لأعمالهم فيتركون بعض الواجبات لمجرد ان الناس لا يستحسنونها.

ان القران فى هذه المجموعه من الآيات يقوم بتصفيه العقبات النفسيه من امام المسئوليه و هى العجله و عدم المرحليه، و تقليد الاباء، و اتباع المجتمع.

بينات من الآيات:

المرحليه فى التشريع القرآنى:

[١٠١] الاستعجال فى فهم الحقائق سواء كانت مرتبطه بالاحكام الشرعيه أو التقاليد الاجتماعيه، و قد لا يكون القلب مستعدا لتقبل تلك الحقائق فيسبب كراهيه القلب لها أو قد يسبب كفر المسلم بها. لذلك نهى الله عن السؤال المبكر عن الحقائق قائلا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ عَنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ حِينَ يَحِينُ مَوْعِدُهَا أَى حِينَ تَشَاءُ إِرَادَهُ اللَّهُ بَيَانَهَا وَ بِمَا أَنَّ اللَّهَ لَا يَرِيدُ ذَلِكَ إِلا حِينَ تَقْتَضِي حُكْمَهُ الْمَرْحَلِيَّةَ: أَى حِينَ يَسْتَعِدُّ الْمَجْتَمَعُ لِتَقْبَلِ ذَلِكَ الْحُكْمَ أَوْ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْعِلْمِيَّةَ، فَان وَقْتُ نَزُولِ الْقُرْآنِ يَكُونُ مَلَائِمًا لِلسُّؤَالِ.

وَ إِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ

ثم ان القرآن لا يبين الحكم فى مرحله فحسب، بل و يدعم ذلك بذكر الموعظه المناسبه للحكم، و الفلسفه التى استوجبتة. كذلك يبين أن الله قد عفى عما سلف من الأعمال السيئه التى تأتى الأحكام الشرعيه لا صلاحها و تزكيه الإنسان منها.

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ وَمِنْ آيَاتِ غَفْرَانِهِ.. عَفْوُهُ عَنْ سَابِقِ الذُّنُوبِ، وَ مِنْ دَلَائِلِ حِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَبِينُ الْحَقَائِقَ إِلَّا حَسَبَ الْمَرَاهِلِ.

الاستعجال طريق الكفر:

[١٠٢] ثم بين ربنا سبب نهيه عن السؤال المبكر و قال:

قَدْ سَأَلْتَهُمْ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِتِلْكَ الْحَقَائِقِ لِأَنَّهَا جَاءَتْ قَبْلَ مَوْعِدِهَا، وَفَوْقَ مَسْتَوَاهِمُ الْمَرَحَلِ لِادْرَاكِ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ.

ان الله انزل الأحكام بصوره تدريجيّه حتى انه حرم الخمر عبر ثلاث مراحل، و لم يشرع فريضه الزكاه الا- متأخرا و لم يأذن بالجهاد الا بعد فتره حتى يكون المجتمع مهياً نفسياً للحكم الشرعى.

تحريم الطبيات:

[١٠٣] و من الامثله التى كان الجاهليون لا يكفون عن السؤال عنها هى

ص: ٤٧٨

و لأنها تخالف تشريع الإسلام بالاستفاده من الطيبات.

وَ لَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَ دَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَحْرَمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الطَّيِّبَاتِ بِلَا سَبَبٍ مَعْقُولٍ.

رسالة السماء لا تقليد الآباء:

[١٠٤] ان الله يريد من الإنسان الاستفادة من موهبه العلم و العقل و لكن الكفر يغسل قلب صاحبه و يدعه مغلقا لا يدخله نور العقل، لذلك تجده لا يستفيد من عقله بل يروح يقلد من هم أقل عقلا منه و هدى.

و الواقع ان التقليد سواء كان من المجتمع أو من الآباء فهو أكثر ما يصد البشر عن التقدم و الرقى.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ هَذَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ الْجَدِيدِ يَأْتِيكُمْ نَقِيًّا صَافِيًّا.

قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا انظر انهم يقولون حسبنا(اي نكتفى بما نجده عند الآباء) ان حركة الحياه قد توقفت فى أنفسهم و أصبحوا يكتفون بالماضى دون أى إبداع أو تطوير.

أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ اى حتى لو أن آباءهم كانوا قد ضلوا الطريق بسبب غياب مصدرى التقدم عن حياتهم و هما العلم: و هو ما يكتشفه الإنسان بنفسه، و الهدى: و هو ما ينزل

عليه من ربه.

مع ذلك يقلدونهم و قد توفرت لهم فرصتا العلم و الهدى.

الإِنسان بين الهدايه و تحدى المجتمع:

[١٠٥] و تقليد المجتمع هو الاخر يقف امام تطور الإنسان و تقدمه و كم من الناس كانوا يكتشفون طرقا جديده لحياتهم تركوها خشيه المجتمع أو حتى حياء من الناس.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِنَّ الَّذِي يَضِلُّ الطَّرِيقَ يَجِبُ أَنْ يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ السَّبْعَ، كَمَا أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْلُدَ الَّذِي اهْتَدَى إِلَى الطَّرِيقِ وَ لَيْسَ الْعَكْسُ.

ان المهتدى يسير وفق حركه الحق، و وفق سنه الله فى الكون و بالتالى فهو الذى سيصل عاجلا أم آجلا الى اهدافه، و عندئذ يخسر الضالون و يندمون على تفريطهم فى مصالحهم.

ثم ان نهايه حركه الإنسان هى الى الله مالك السموات و الأرض حيث يبين لنا من ضل و من اهتدى، و ذلك من خلال جزائه العادل، و فيعاقب من ضل، و يثيب من اهتدى.

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ قَدْ يَصِلُ الْإِنْسَانُ إِلَى جَزَائِهِ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ هَذَا هُوَ جَزَاءُ عَمَلِهِ.

ص: ٤٨١

فمثلاً: يشرب الماء الملوث فيصاب بمرض دون ان يعرف ان سبب مرضه هو ذلك الشراب، بيد ان الله لا يدع الإنسان يضل أو يهتدى حتى ينبئه و يخبره به يقيناً، أنه كان على ضلال و ان ما يعانیه من عقاب هو ثمن ضلالتة أو انه كان على هدى و ان ما اكتسبه من الثواب هو جزاء هداه.

اننا كبشر نخشى لوم الناس، فاذا سخر منا أحد انهزمنا نفسياً امام سخريته و قد نفقد الثقة بأنفسنا و نفقد الاطمئنان الى ديننا لمجرد ان أحدا سخر منا.

و قد يترك البعض طريق الهدى لمجرد ان الناس يقولون له ان هذا ضلاله.

و القرآن يبين لنا هنا بان المستقبل كفيل ببيان صاحب الحق و صاحب الباطل، فلما ذا ننظر الى أقوال الناس، و لماذا لا نثق بعقولنا و بما نكشفه بأنفسنا من حقائق، و لماذا لا نهتدى الى الصواب بحجة ان الآخرين لم يهتدوا اليه؟! دع الآخرين يتبعونك لأنك أنت و ليسوا هم على صواب و لا تخش أقوالهم لان الحقائق ستظهر قريباً.

ص: ٤٨٢

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعِيدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ إرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنْ آذَا لَمَنْ الْمَآئِمِينَ (۱۰۶) فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۱۰۷) ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (۱۰۸)

هدى من الآيات:

بمناسبة الحديث عن المسؤولية و عن دور العلم فيها(إذ العلم لا ينفصل عن المسؤولية)جاء الحديث فى الآيات هذه،عن الشهادة التى ليست بعلم، و لكنها قائمه مقامها فى إيجاد المسؤولية الدينيه،و حسب منهج القرآن،الذى لا يتحدث عن حقيقه إلا عبر الحديث عن واقعه خارجيه متصله بالحياه مباشره، و بالتالى يعطى مثلا حيا للأحكام و للحقائق.

حسب هذا المنهج تحدث القرآن هنا عن الشهاده بعد الموت،حيث ينبغى ان يشهد الشخص إذا اقترب الموت منه،شخصين عادلين،و ينقل إليهم مسئوليته الشهاده بعد الموت،و إذا كانا موضع تهمة فعليهما ان يحلفا بالله بعد أداء الفريضة قسما بأنهما لا يكذبان فى الشهاده.

و إذا تبين كذبهما فلا- يمكن الحكم بكذبهما الا- إذا حلف اثنان من المعارضين المدعين عليهما الا-ثم يحلفان على التهمة الموجهه للشاهدين،كما

يحلّفان على انهما ليسا بظالمين في توجيه التهمة الى هذين الشخصين.

إن هذا العمل أفضل طريقه لصدق الشهاده و عدم رد الأيمان.

و على الإنسان إذا أراد أن يصل الى الحقيقه، و بالذات على القاضى، إذا أراد أن يتوصل الى الحق فعليه أن يقوم بأمرين:

الف: تقوى الله و إتباع أوامره.

باء: أن يستمع الى كلّ الآراء.

و أما إذا افتقد القاضى التقوى، فانه لا ينتفع بالسماع أبدا.

بينات من الآيات:

الشهاده و الشهود:

[١٠٦] كيف يثبت الحكم الشرعى؟ اولاً: بالعلم البعيد عن تقليد الآباء، أو تقليد المجتمع، أو استعجال الأحكام الشرعيه، و هذا ما تحدثت به الآيات السابقه.

ثانياً: بالشهاده و هى تختص بالعدل من المؤمنين، و هو الرجل المستقيم الذى ينفذ تعاليم ربه، و لا يكفى فى العادل (كما توحى به كلمه العدل ذاتها) أن يكون مؤمناً أو حتى متقياً، بل عليه أن يكون مستقيماً فى تفكيره و سلوكه، فلو كان الشخص سريع الاقتناع بسيطاً فى فهم الحقائق مما يضر بالشهاده فان شهادته غير مقبوله.

و من أبرز موارد الشهادة. الشهادة على الوصيه حيث ينبغي أن يستشهد المرء حين تحضره الوفاة رجلين عادلين على وصيته، و الأفضل أن يكونا من المسلمين و ان لم يكن فيكفى أن يكونا عادلين.

إثبات الشهادة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِمَّنْ غَيْرِكُمْ أَمَا إِذَا وَجَّهَتْ تَهْمَهُ إِلَى هَذَيْنِ الشَّاهِدِينَ كَمَا إِذَا حَصَلَتِ الْوَفَاةُ فِي السَّفَرِ، فَجَاءَ الشَّاهِدَانِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ رِفَاقِ الْمَيِّتِ فِي الطَّرِيقِ وَ شَهِدَا عَلَى وَصِيهِ مَعِينَهُ، فَهَذَا تَطْرَحُ عَادَةُ عِلْمِهِ اسْتِفْهَامٌ إِذْ قَدْ تَكُونُ الْوَصِيَّةُ مَلْفَقَةً رَأْسًا فَهَذَا لَا نَكْتَفِي بِالْعَدَالَةِ الظَّاهِرَةِ (الشَّهَادَةُ) بَلْ نَطْلُبُ مِنْهُمَا أَنْ يَحْلِفَا عَقِيبَ الْفَرِيضَةِ أَنَّهُمَا صَادِقَانِ:

إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ وَ جَاءَ اثْنَانِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فَهَذَا:

تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ إِذَا كَانَتْ طَرِيقَهُ إِدْلَائِهِمْ بِالشَّهَادَةِ أَوْ حَتَّى مَلَابَسَاتِ الْوَفَاةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا إِذَا كَانَتْ مَثِيرَةً لِلشَّكِّ، وَ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَى دَلِيلٍ عَيْنِي عَلَى أَنَّهُمَا كَاذِبَانِ، وَ بِمَا أَنَّهُمَا يَنْكُرَانِ التَّهْمَةَ الْمَوْجُوهَةَ ضِدَّهُمَا، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَحْلِفُوهُمَا حَلْفًا مَغْلَظًا بَعْدَ الصَّلَاةِ وَ يَكُونُ مَضْمُونُ الْحَلْفِ هُوَ أَنَا:

لَا نَشْتَرِي بِهِ تَمَنَّا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى

أى حتى و لو كان الأمر فى صالح بعض أقاربنا فانا لا نكذب للحصول على بعض المال ليس ذلك فقط بل:

وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِذْ قَدْ لَا يَكْذِبُ الشَّخْصَ بِالْكَلَامِ، بل قد يكذب بالصمت كأن يسكت عن الحقيقه التى يعرفها و بسكوته لا يدع الحقيقه تظهر، و بذلك يرتكب إثما مينا.

إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثْمِينَ فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا.

[١٠٧] فإذا تبين ان هذين الشخصين قد ارتكبا إثما، فهناك لا يمكن إثبات الإثم هذا الا إذا شهد رجلان ضدهما، و فى مصلحه أصحاب الحق المهضوم.

فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا أَي يَقْفَانِ عَلَىٰ مَنْصَةِ الشَّهَادَةِ، و يشهدان لمصلحه صاحب الحق أن عشر على دليل خيانتهم.

مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ أَي من أصحاب الدم أو أولى الناس به من ناحيه القرابه.

فَيُقْسَمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا أَي يجب أن يحلفا قبل الشهاده بصدقهما و يشهرا على أن الشاهدين غير صادقين فى الشهاده.

وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لِمِنَ الظَّالِمِينَ أَي ما ارتكبنا عدوانا، و إذا كنا قد ارتكبنا عدوانا أو تجاوزنا الحد فإن ذلك يثبت علينا صفة الظلم و نحن سوف نستعد لمواجهة العقوبه المفروضه على الظالم.

[١٠٨] ان هذا النوع من الاستشهاد سيكون أفضل أنواع الشهاده. لأنها تستنهض ضمير الشاهد و تثير فيه وازعه الدينى.

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَي أقرب الى الشهاده المأثيه على الوجه الصحيح.

و فى ذات الوقت سيكون ذلك سببا لاطمئنان الناس بالشهادة إذ أن الشهاده تتأكد بالحلف.

أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعِيدَ أَيْمَانِهِمْ أَي يخشوا من عاقبه ردّ اليمين على الورثه بعد شهاده الشاهدين فيفتضح أمرهما. و على العموم، الشهاده طريق الإنسان الى العلم، و لكنها بحاجه الى التقوى و السماع من قبل المستمع للشهادة، إذ أن التقوى ستمنع المستمع من الحكم المسبق على الشاهد أو فى القضيه من دون دليل، و ستمنعه من الميل نحو أحد طرفى القضيه لان صاحبه من أقارب الميت، أو لأن مصلحته ستكون فى ذلك أو لمجرد الاستعجال فى الحكم من دون معرفه ان ذلك يخالف روح التقوى.

أما السماع فإنه الشرط المادى لمعرفة الحقائق بعد توفر الشرط النفسى و العقلى و هو التقوى لذلك قال ربنا:

وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا ثُمَّ اَكَّدَ الْقُرْآنُ عَلَى اَهْمِيَةِ التَّقْوَى فِي فَهْمِ الْحَقَائِقِ وَ قَالَ:

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ □ □
يَحَاوِلُ دَائِمًا أَنْ يَبْرِرَ ظَلْمَهُ أَمَامَ النَّاسِ، وَ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ وَ خِزِ الضَّمِيرِ الَّذِي يَقْضَى مَضْجَعَهُ.

ص: ٤٨٩

اشاره

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا بِإِنِّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْيَدِ وَكَهْلًا- وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَإِشْهَدْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)

اللغة

١٤[عيدا]:العيد اسم لما عاد إليك من شىء فى وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد، و لما يعود إليك من الحزن عيد.

ص:٤٩١

هدى من الآيات:

أنى كانت نتيجة المحاكمات على وجه الأرض في الدنيا في صالح أصحاب الحق أم في صالح أصحاب الباطل فان هناك محكمه اخرى تعدل و لا تجور و هى محكمه الله فى الآخرة.

و هناك لا يهدى الله القوم الفاسقين، و هناك يجمع الله جميع الناس و فيما بينهم رسل الله، فيسألهم ما إذا كان جواب الناس لكم (و بذلك لا مناص من المحكمه حتى لأنبياء الله) فهذا النبى العظيم عيسى بن مريم عليه السلام يسأله الله هناك هل انه قال للناس اعبدونى من دون الله بالرغم من ان الله عالم بأن عيسى لم يقل ذلك أبدا.

و لكن قبل أن يسأله الله يذكره و يذكر الناس بالنعم التى أنعم بها عليه و على أمه. حيث انه أيده بروح القدس، و علمه الكتاب و الحكمه، و اجرى بيده المعاجز مثل إحياء الموتى، و حفظه من كيد بنى إسرائيل.

و أمر الناس بالايمن به،و دعم موقف عيسى في بنى إسرائيل بأن أنزل عليهم مائده من السماء بطلب من بنى إسرائيل و هكذا.

و الهدف من سرد القصه هذه فى نهايه سوره المائده،ليس فقط بيان مسئوليهِ العالم الشاهد الذى عليه -حين إدلائته بالشهادة-أن يتصور موقفه أمام الله،ليس هذا هو الهدف،بل إنّه مجرد مناسبه للحديث.

أما الهدف فهو أعمّ منه،و هو بيان مسئوليهِ الإنسان فى الحياه،و لعله يشعر بتلك المسئوليه التى تتجسد يوم القيامه فى محكمه العدل الالهيهِ.

بينات من الآيات:

الرسال بين يدى الرحمن:

[١٠٩]يوم القيامه تظهر حقائق الأمور فهناك حقائق موجوده و ثابتة و لا تنتفى بمجرد نفيها أو بالسكوت عنها،إنها حقائق إن سكتنا عنها تزداد قوه و رسوخاً،و بالتالى تحيط بنا و تدمرنا.

و الاحساس بوجود الحقيقه و ظهورها فى يوم من الأيام يدفع صاحب العلم بان يكون شاهد صدق لعلمه،و لا يكتف من العلم ما يخالف مصالحه.

□
إن أبرز العلماء هم الرسل،الذين حملهم الله رسالاته،و علمه و حكمته، و هؤلاء سوف يسألون عن نتائج عملهم،بالرغم من عظمتهم:

□
□
□
يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ الرُّسُلَ بِهَدَايِهِ النَّاسِ،و بتبليغ دعوته إليهم،و الآن يسألهم عن

نتيجة أعمالهم؟ ولكن بما ان عمر الرسل قصير في الحياه، وربما أن علمهم ببواطن الناس كان في حدود تعليم الله لهم لذلك:

قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا أَيُّ إِنِّ عَلِمْنَا لَيْسَ كَامِلًا بِالْجَوَابِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي تَلْقِينَاهُ مِنَ النَّاسِ.

إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ إِذَا: لو خدعنا الرسل -فرضا- لو تظاهروا أمامهم بالايمن كذبا و نفاقا، فسكتوا عنا، يجب الا نتصور أننا طمسنا الحقيقه.. كلا. فالله هو علام الغيوب و سوف يحاكمنا.

[١١٠] و هذه قصه عيسى مع الله انظروا كيف يسأله الله باعتباره الشاهد على قومه، و كيف يكشف زيف دعاوى أتباعه: بأن قال لهم اعبدونى من دون الله.

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا كُلِّ تَلْكَ نَعْمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ عِيسَى الَّذِي مِنَ دُونِهَا لَمْ يَكُنْ عِيسَى شَيْئًا.

إن روح القدس، وهو الروح الذى يعصم صاحبه من المعصيه، و الذى يؤيد به الرسل و الائمه فقط -عليهم جميعا صلوات الله- إنه أهم نعمه يزود الله بها عبدا من عباده، و حينئذ لا- يرتكب خطيئه فيزعم الجاهلون: انه ابن الله أو ابن فيه روح من ذات الله سبحانه.. كلا.

إن الله هو الذى أيد عيسى عليه السلام بهذه الروح، و لولاه إذا لهبط فى الزلات، كما

يهبط غيره من الناس، إنَّ الله أو كل يونس بن متى لحظات الى نفسه (لحكمه بالغه) فدعا على قومه، فسجنه الله في بطن الحوت جزاء لزلته (التي لم تصل - بالطبع - الى مستوى الذنب) و كذلك معجزه عيسى الظاهره و هى كلامه فى المهد لم تكن دليلا على ألوهيته، بل على عبوديته لله، و كذلك علمه و حكمته:

وَ إِذْ عَلَّمْتِكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ يَبْدُو ان الكتاب هو الدستور التشريعى المتمثل فى التوراه، بينما الحكمه هى المواعظ السلوكيه المتمثله فى الإنجيل.

وَ إِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي
لقد كرر القرآن الحكيم كلمه يا ذنى للدلاله على أن عيسى عليه السلام إنما كان عبدا لله.

وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ لَقَدْ حَاوَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُحَارَبَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكُلِّ طَرِيقَةٍ مُمْكِنَةٍ، وَ كَانَ عِيسَى كَأَى شَخْصٍ عَاجِزًا عَنِ مَقَاوِمِهِ ذَلِكَ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ أَيْدَاهُ، إِذَا فَلَيْسَ عِيسَى إِلَهًا كَمَا يَزْعُمُ النَّصَارَى.

معجزه المائده بين الايمان بالغيب و الشهود:

[١١١] و أهم من ذلك أنَّ الله اعتمده اعتمادا و جعله رسولا.

وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [١١٢] ودعم الله موقف عيسى عليه السلام بان استجاب دعاه حين طلب منه بنو إسرائيل بأن يأتيهم بالمعجزة البينه، وذلك للدلالة على أنه نبي فعلا.

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أمرهم عيسى عليه السلام بالتقوى، لأن التقوى، تزيد الإنسان يقينا، وایمانا و صدقا و إذا زكى الإنسان نفسه استطاع أن يفهم الحقائق بدون معاجز إضافيه.

[١١٣] و لكن بنی إسرائيل ازدادوا إصرارا في طلبهم:

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ انهم قالوا: اننا بحاجة الى اطمئنان القلب و ليس غيره، كما قال إبراهيم عليه السلام لربه: (بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي).

ثم نريد ان تطمئن قلوبنا بصدق رساله و صدق الرسول قالوا: اننا نريد أن يكون موقفنا في الدعوه الى الله، موقفا حاسما. إذ فرق بين أن يكون الإنسان مؤمنا بشيء إيماناً غيبياً و بين أن يكون إيمانه إيماناً بالشهود، فأنثذ يستطيع أن يكون كلامه أكثر حسما و قاطعيه إذ قليلا ما يشك الناس في صدق المؤمنين إذا ادّعوا بأنهم رأوا البراهين بعينهم، بينما قد يتشككون في الايمان الغيبى و قد ينسبون ذلك الى صفاء النيه، و بساطه الفكر، و سداجه النفس.

[١١٤] قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا

عيداً لأولنا و آخرنا أى يكون يوماً مشهوداً يتذكره الناس و يجددون ذكره عاماً بعد عام، لتبقى ذكرى المائدة عالقته فى أذهان الجميع، و بالتالى تكون القصه عبره لكل الأجيال.

□
وَ آيَةٌ مِنْكَ وَ أَرْزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ إِنَّهَا آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْجَزَةِ اللَّهِ، وَ لَكِن عَيْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَ الرِّزْقَ الدَّائِمَ لِقَوْمِهِ.

□ □ [١١٥] قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ لِأَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الْكُفْرِ الصَّرِيحِ بَعْدَ الْإِيمَانِ النَّابِعِ مِنَ الشُّهُودِ الْعَيْنِيَّةِ، وَ بَيْنَ الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الْغَيْبِيِّ الَّذِي قَدْ لَا يَكُونُ عَمِيقًا.

□
إِنَّ اللَّهَ يَنْعَمُ عَلَىٰ عِبَادِهِ لِيَمْتَحِنَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شُكْرُكُمْ لَهُ عَلَيْهَا، وَ مَدَىٰ تَقْدِيرِهِمْ لِلنَّعْمِ وَ اسْتِفَادَتِهِمْ مِنْهَا فَإِذَا كَفَرُوا بِالنَّعْمِ فَانْه سَبْحَانَهُ لَا يَسْلُبُهَا مِنْهُمْ فَقَطْ، بَلْ وَ يَسْلُبُ مِنْهُمْ سَائِرَ النَّعْمِ حَتَّىٰ يَقُولُوا يَا لَيْتَ اللَّهُ لَمْ يَنْعَمْ عَلَيْنَا بِهَذِهِ النَّعْمَةِ قَطًّا.

□
مثلاً: النفط فى بلادنا نعمه كبيره من الله، و رزق عظيم لشعوبنا، فإذا شكرنا هذه النعمة بأداء حقوق المحرومين، و تقسيم الثروه بين الناس بالقسط فسوف تستمر هذه النعمة و تزداد.

□
أما إذا كفرنا بهذه النعمة، فاستأثر بها الكبار، و حرم منها المستضعفون، و اترف فيها الأغنياء، فإنَّ اللَّهَ لَا يَسْلُبُ ثَرَوْهُ الْفِطْرَةَ مِنَّا فَقَطْ، بَلْ وَ أَيْضًا يَسْلُبُ بَعْضَنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَنْتَشِرُ بَيْنَنَا الْحَقْدُ وَ الْبُغْضَاءُ فَيَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا، حَتَّىٰ يَأْتِيَ يَوْمٌ

نتبرأ فيه من النفط و من ثرواته و نقول:يا ليتنا كنا مجتمعا زراعيا تسود فينا المحبه و الوثام.

ص:٤٩٨

اشاره

وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا عَلَّمَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)

بينات من الآيات:

[١١٦] في حوار بين الله و بين عبده و رسوله عيسى بن مريم سأل الله عيسى: هل انه قال لأتباعه أن يعبدوه؟ و الله يعلم أن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك أبدا، ولكنه يسأله ليبين لنا أن عيسى عليه السلام ليس بعيدا عن المسؤولية بالرغم من أنه عبد مخلص لله، و لرسوله مبعوث الى خلقه.

فيكف بنا و نحن عباد الله المذنبون؟ و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني و أمي الهين من دون الله أن أولئك الذين اتخذوا عيسى و أمه الهين من دون الله، انما أرادوا التهرب من مسئوليته أعمالهم، و الادعاء: بأن عيسى و امه سوف ينقذ انهم من عذاب الله حتى و لو عملوا بالجرائم، فأراد الله ان يبين لهم: ان هذين العبدین لا يمكنهما، تحدى

أوامر الله، فيما يخصهما فكيف بما يتعلق ببعض من يدعون أنهم أتباعهما.

قَالَ سُبْحَانَكَ أَيُّ انكَ أَجَلٌ مِنْ ان يعبد أحد من دونك، بل أنت أَجَلٌ وَأَعْلَى مِنْ ان يدعى أحد أنه نذلك.

مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِذْ أَنِي مَجْرَدُ رَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ لِلنَّاسِ، وَمَسْئُولِيهِ الرَّسُولُ هُوَ التَّقِيدُ بِتَعَالِيمِ مَنْ أَرْسَلَهُ بِلا زياده و لا نقيصه، حتى و لو كان كلام الرسول حقا فان حدود مسئوليته تستوجب الا يتجاوز حدود ما أمر الله بتبليغه، فمثلا: رسول الله لم يكن يستطيع ان يشرح من القران ما لم يحن وقته، بالرغم من ان القران ذاته كلام الله الحق المبين.

إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ إِنَّ مَسْئُولِيهِ الْإِنْسَانَ أَمَامَ رَبِّهِ لَيْسَتْ كَمَسْئُولِيته أَمَامَ شَخْصٍ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ أَمَامَ نِظَامٍ أَوْ قَانُونٍ، إِذْ قَدْ يَغِيبُ عَلَى الشَّخْصِ الْعِلْمَ بِبَعْضِ أَعْمَالِ الْفَرْدِ، بَيْنَمَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، لَا يَعْلَمُ فَقَطْ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ، بَلْ يَعْلَمُ أَيضًا خَلْفِيَّاتِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ.

دور الرسول:

[١١٧] إن دور الرسول هو دور المبلِّغ و الشهيد، أما التبليغ، فإنَّ مسئوليته هي: نقل رساله الله بلا- زياده أو نقيصه، و أما الشهاده فتعني: مراقبه مدى تطبيق

ص: ٥٠١

الإفراد لهذه الرسالة، و محاوله هدايتهم الى الصراط المستقيم بيان طريقه تطبيق المبادئ، و قد أدى عيسى عليه السلام هاتين المسؤوليتين بأمانه و قال:

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ بِيَدِ أَنْ شَهِدَهُ الرَّسُولُ هِيَ شَهِادَةٌ مَحْدُودَةٌ، إِنَّهَا شَهِادَةٌ وَقْتِيَّةٌ، تَخْتَصُّ بِأَيَّامِ حَيَاتِهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الشَّهِيدُ.

فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ تَرَأَى أَعْمَالَهُمْ لِحَسَابِهِمْ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، أَمَا رَقَابَةُ اللَّهِ لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ فَتَنعَكُوسٌ فِي جَزَائِهِ لَهُمْ عَلَيْهَا جَزَاءٌ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ آجِلًا فِي الْآخِرَةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهَا، وَ هَذَا يَدْفَعُنَا إِلَى فِرَاضِ رَقَابَتِهِ عَلَى أَنْفُسِنَا إِلَّا تَصَدَّرَ مِنْ غَلْطِهِ، يَسْجَلُهَا رَبُّنَا وَ يَحَاسِبُنَا عَلَيْهَا سَرِيعًا.

وَ أَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ شَهِادَةُ اللَّهِ هِيَ: هَيْمَنَتُهُ الْمُبَاشِرَةُ عَلَى الْحَيَاةِ الَّتِي تَتَجَسَّدُ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلِصِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَ خِذْلَانِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ، وَ هِدَايَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَ الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ السُّلْطَانُ الْحَقِيقِيُّ لِلْحَيَاةِ وَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَ لَا نَخْشَى أَحَدًا أَبَدًا مِنْ دُونِهِ.

سلطان الله:

[١١٨] إن سلطان الله ليس سلطانا فعليا فقط بل و يمتد الى المستقبل، فيبيده العذاب و المغفرة.

ص: ٥٠٢

إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فِي مَوَاجِهَةِ الْفِكْرِ الْخَاطِئَةِ الَّتِي اعْتَقَدَ بِهَا النَّصَارَى فِي عَيْسَى
وَأَرَادُوا أَنْ يَتَهْرَبُوا مِنَ الْمَسْئُولِيَةِ تَحْتَ غَطَائِهَا، وَهِيَ: أَنَّ عَيْسَى وَ أُمَّهُ إِلَهَانِ يَخْلُصَانَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فِي مَوَاجِهَةِ هَذِهِ
الْفِكْرِ، نَجَدَ الْقُرْآنُ يَشْرَحُ لَنَا حَقِيقَةَ الْمَسْئُولِيَةِ، وَ يَبِينُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ أَمَامَ رَبِّهِ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَ عِلَامَتُهُ مَسْئُولِيَتُهُ عِلْمَ اللَّهِ بِهِ، وَ
رِقَابَتُهُ عَلَيْهِ، وَ شَهَادَتُهُ عَلَيْهِ، وَ جَزَاؤُهُ عَلَى أَعْمَالِهِ.

[١١٩] وَ أَكَّدَ اللَّهُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ وَ بَيَّنَّ الْجَانِبَ الْإِيجَابِيَّ مِنَ الْمَسْئُولِيَةِ وَ هُوَ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ الَّذِي أَعَدَّهُ رَبُّنَا لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وَ بِذَلِكَ بَيْنَ أَنْ الصَّدَقِ هُوَ الْإِبْتِعَادُ عَنِ التَّبَرُّبِ وَ النِّفَاقِ وَ التَّهْرَبِ مِنَ الْمَسْئُولِيَةِ بِأَسْلُوبِ
أَوْ آخَرَ، إِنَّ هَذَا الصَّدَقِ، هُوَ أَهْمُ عَمَلٍ صَالِحٍ يَقُومُ بِهِ الْإِنْسَانُ، إِذَا نَهَ يَدْفَعُكَ إِلَى تَحْمِيلِ مَسْئُولِيَاتِكَ وَ أَدَائِهَا حَسَنًا.

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِأَنَّهُمْ سَعَوْا مِنْ أَجْلِ تَطْبِيقِ
أَعْمَالِهِمْ حَسَبَ أَوْامِرِ اللَّهِ وَ التَّرَمُّوا الصَّدَقِ، وَ وَافَقَتْ أَفْكَارَهُمْ وَ أَقْوَالَهُمْ الْحَقَّ، فَإِنَّ اللَّهَ جَزَاهُمْ بِالرِّضَا، فَهُوَ رَضِيَ عَنْهُمْ وَ هُمْ
رَضُوا عَنْهُ. إِنَّ تَبَادُلَ الرِّضَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَ بَيْنَ رَبِّهِ، يَأْتِي نَتِيجَةً انْسِجَامِ الْعَبْدِ مَعَ الْحَقِّ، فِي مِمَارَسَتِهِ... وَ فِي تَفْكِيرِهِ... فِي كَلَامِهِ، وَ فِي
عَمَلِهِ.

[١٢٠] اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ.. اللَّهُ هُوَ ضَمِيرُ الْكُونَ الشَّاهِدِ.. اللَّهُ هُوَ مَدْبِرُ الْكُونَ وَ رَبُّهُ، وَ حِينَ يَنْفِذُ الْعَبْدَ أَوْامِرَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ
الْكُونَ. إِذَا نَهَ يَتَّصِلُ

بالحق.. يتصل بالضمير الشاهد.. يتصل بالقدره.. بالعلم.. بالعزيمه.

أما حين يخالف العبد ربه فانه سيواجه كل ما فى الكون فهل يقدر على ذلك؟ لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ص: ٥٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

